

رواية

الفتاة في حفرة دوان

أحلام المشايخ

2575565132

© مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، ١٤٤٦ هـ

المشايع، أحلام

في حضرة الذوات. / أحلام المشايخ - ط ١. - الدمام، ١٤٤٦ هـ

٢٦٤ ص؛ ٢١ × ١٤ سم

رقم الإيداع: ١٥٧٦٨ / ١٤٤٦

ردمك: ٧-٧٥-٨٤٩٩-٦٠٣-٩٧٨

مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع

الموقع الإلكتروني :

www.Adab-Book.Com

مركز الأدب العربي

@Services_Book

@ServicesBook1

مركز الأدب العربي

adabarabic7

aladabce@gmail.com



مركز الأدب العربي
شعاره

مسؤول النشر :
للتواصل

0597777444

المملكة العربية السعودية - الدمام

لطلب إصدارات مركز الأدب العربي

00966594447441

تنفيذ الطباعة
مطبعة الكتاب العربي - الرياض



دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي 00971569767989

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي 00201120102172

الحقوق محفوظة : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه ، أو تخزينه في نطاق
استعادة جميع المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن سابق من الناشر .

جميع العبارات و الأفكار الواردة في الكتاب تعبر عن
وجهة نظر المؤلف دون أدنى مسؤولية على الناشر .

في حضرة الذوات

تأليف

أحلام المشايخ

✕ Ahlam_m123

📷 Ahlam.novels

👤 ahlam.novels

الطبعة الأولى

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥ م

الإهداء

إلى ذاتي.

هذا الكتاب يمثل عهدي لنفسي،

وهو هدية ثمينة مني... إليّ.

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص



مدخل

يصفونني بالفتاة المظلمة، ويزعمون أنّني أنثر
الخوف في قلوب الناس، حتى إنّ بعضهم
اتّهمني بأنّني الشيطان ذاته. ومع ذلك، لن أعتذر
فأنا ضحيّةٌ قدرٍ لم أختره. ولعلّ هذه اللعنة
اختارتني لسببٍ يجهله الجميع.

الفصل الأول



كلما نظرتُ في المرأة، رأيت وجهًا مختلفًا...
أيّها هو الحقيقي؟ لا أعلم. تهت بين ذواتي حتى
لم أعد أدرك أيّها تعكس حقيقتي.

في منتصف الليل، عندما خيم السكون على باريس،
وانسحبت الحياة من الأزقة المزدحمة، كانت أضواء
المصابيح الذهبية تتلألأ وتنعكس على الأرصفة المبتلة
بالمطر، كما لو كانت لوحات فنية رسمها الزمن. عبير
الأزهار اختلط مع رائحة الأرض المبللة، وانتشر في
الأرجاء مع النسيم البارد الذي حمل معه همسات
الحياة، وكأن الرياح تهمس برقة لمن يمر: تفاءلوا،
فالحياة لا تزال مستمرة، والأمل موجود. فقط ثقوا
بمن خلق هذا الكون.

لكن لم يدم الهدوء طويلاً.

إذ سرعان ما مزقه صراخ فتاةٍ مدوّ، وكأن الرياح
قذفته في المكان، ليوقظ سكان المبنى الشاهق،
ويُشعل في قلوبهم شعوراً من الرعب العميق. في
البداية، اعتقدوا أنه مجرد كابوس يراود تلك الفتاة،
لكن مع تكرار المشهد ذاته كل ليلة، بدأت الشكوك
تتسلل إلى قلوبهم، وتضخ المخاوف في عقولهم. ما
الذي يحدث في الشقة العلوية؟

تحولت لحظات الراحة بالنسبة لهم إلى عذاب دائم،
من منتصف الليل حتى شروق الفجر، حيث كانت تتردد
في آذانهم صرخات وبكاء تلك الفتاة، التي تتوسل في
يأس ألا يتعرضوا لها بالأذى. هل كانت تلك الصرخات
ناجمة عن الألم؟ أم عن الخوف؟ أم أن هناك شيئاً أعمق
مما يبدو؟

في إحدى الليالي، خرج أحد الجيران من منزله غاضباً،
وبدا يطرق الباب بشدة، بينما يتمتم بصوت منخفض:

سأقتل هذا الرجل اللعين وابنته.

وبعد لحظات من الصمت المطبق، قُتِح الباب بعد أن
اختفى صوت الفتاة؛ ليظهر رجل في عقده الخامس،
وعلى جبينه حبات عرق متفرقة، تعكس المجهود
الكبير الذي بذله.

قال جون بصوت متعب، وكأن كل كلمة تخرج من فمه
تكلّفه جهداً:

– مرحباً، ماذا تريد؟

نظر إليه الجار بعدم تصديق، ثم قال بتهكم

ممزوج بالغضب:

- ماذا أريد؟! لا أحد في المبنى يستطيع النوم بسبب

ابنتك! قلت لنا إنها ستتحسن، لكنها تزداد سوءًا...

ثم اقترب قليلاً، وحدّق فيه بعينين مليئتين بالشك:

- هل أنتم من تؤذونها؟ هل هذه الطفلة مسجونة

بين أيديكم؟

شاحت ابتسامة شاحبة، مثقلة بالهموم، على شفتي

جون المجمعدين، وقد طغت على وجهه معالم

الاستسلام. قال بصوت هادئ، كمن اعتاد سماع مثل

هذه الكلمات:

- نحن آسفون على الإزعاج. أخبرتكم أن ابنتي تعاني

اضطرابات نفسية، لكن لا تقلقوا، سنرحل خلال هذا

الأسبوع.

ساد صمت ثقيل، نظر الجار إليه مطوّلاً، ثم تمتم

بصوت خافت، وكأن جزءاً منه بدأ يشك في كل شيء:

- هذا جيد... أتمنى لها الشفاء.

أغلق الباب ببطء، تاركًا خلفه الكثير من الشكوك التي بدأت تعصف بسكان ذلك المبنى. ما الذي يخفونه عليهم؟ وهل ما يحدث في تلك الشقة مجرد مرض نفسي، أم أن هناك شيئًا آخر؟

استدار جون ببطء، ليجد تانيا تحقق به بصدمة واضحة، وعيناها تتسعان برعبٍ مكبوت. اجتاحت جسدها رعشة خفيفة، لكنها حاولت التماسك، وهي تسأله بصوت مرتجف:

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

- هل حقًا سنعود إلى ذلك المنزل؟

مرر جون يديه بتوترٍ شديد بعضهما فوق بعض، كأنه يبحث عن إجابة لا يملكها. رفع نظره إليها، وقال بنبرة يائسة:

- لم يعد لديّ خيار آخر...

اتسعت عينا تانيا بالمزيد من القلق، وازدادت نبضات قلبها في صدرها، اهتز صوتها وتلعثمت كلماتها وهي تقول:

- لكن ذلك المنزل... لقد كان نهاية كامبلا. لا أريد

أن يتكرر المصير ذاته مع لارا!

ذكرى كاميلا عادت لتثقل أنفاس تانيا. كانت كاميلا أكثر من مجرد صديقة، فهي والدة لارا، كاميلا اختفت فجأة في ظروف غامضة، واللغز حول موتها لم يُكشف حتى الآن، مما جعل العودة إلى القصر، حيث بدأت تلك النهاية، أشبه بكابوس مستمر. حتى ذكر اسم القصر كان كفيلاً بإشعال الفزع في أعماقها

تبادل جون نظرة مع تانيا، ثم همس بصوت خافت ومرهق، كأن كل كلمة يرددتها تزيد من ثقل حمله:

- لا أستطيع، تانيا البقاء. لارا ليست مجنونة. لن أضعها في المصحّة. لن أسمح بذلك أبدًا

ثم التفت إليها، وعيناه تحكيان عن سنواتٍ من الحزن والخوف المكتوم:

- والصحافة؟ إذا علموا بما يحدث، فلن يرحمونا. الجميع يعلمون أن الانتخابات على الأبواب، ولو وصلت إليهم أي شائعة عن حالة لارا، قسينسفون سمعتي ولن يرحموا ابنتنا أيضًا.

تنفست تانيا بعمق، وعيناها تملؤهما الذكريات
المظلمة التي تعود إلى الماضي، متذكّرةً خبراً صحفياً
كاذباً استهدف جون في الماضي. وقالت بصوتٍ يائس
محاولةً أن تردعه:

- لكن بقي شهر فقط، والجميع يُجمعون على أنك
الأقرب للفوز. أليس هذا ما كنت تحلم به؟

قاطعها جون بنبرة صارمة، وكأنها وضعت أصابعها
على جرحٍ لا يريد الحديث عنه:

- سأنسحب. كل ما يهمني الآن هو لارا.

حاولت أن تفتح فمها مجدداً، لكن نظراته الحاسمة
كانت كافية لإسكاتهما. قال بصوت منخفض حازم:

- تانيا، انتهى النقاش. سنعود إلى الريف.

كانت تريد الصراخ، أن تقول له إنه يرتكب خطأ فادحاً،
لكن شيئاً آخر قاطع أفكارها.

خشخشة خفيفة في الغرفة. صوت الباب ينفتح ببطء،
كأنه يكشف عن شيء لم يكن من المفترض أن يُرى.

التفتا معًا نحو المدخل... ليجدا لارا.

لكنها لم تكن لارا المعتادة.

وقفت هناك بثقةٍ غريبة، كانت فتاة مختلفة تمامًا.
مشعة بابتسامة عريضة غير مألوفة، ترتدي فستانًا
أحمر قانيًا، وقد غطّت وجهها بالكثير من المساحيق
التي أخفت ملامحها الشاحبة المعتادة. خطت خطواتٍ
واثقة إلى داخل الغرفة، نظرت إليهما برقةٍ غريبة،
وقالت بصوتٍ ناعم يفيض بالمرح، لكنه لا يشبه صوتها
المعتاد أبدًا:

- مرحبًا، أنا إلين. أريد أن أذهب للاحتفال، هل
ترافقاني؟ سيكون الأمر ممتعًا جدًّا!

ثم رمشت بعينيها عدة مرات، وأضافت
بسخرية لاذعة:

- يبدو أن لارا الغبية قد أرهقتكما كثيرًا.

اقتربت متمائلة نحو والديها، حاوطتهما بذراعيها، ثم
تابعت بحماسة:

- هيا بنا، دعونا نستمع وننس أمر تلك البائسة.

كانت كلماتها كطعنة في القلب. شعر جون وتانيا وكأن صاعقة ضربتهما في اللحظة ذاتها. التفتا بعضهما نحو بعض عاجزين عن استيعاب ما يجري. شحب لونهما، وتجمدت أوصالهما من هول المفاجأة.

وضعت تانيا يدها المرتعشة على فمها، ودموعها تساقطت بغزارة على وجنتيها. همست بصوت متكسر، بالكاد خرج من بين شفتيها:

- لقد باتت تملك ثلاث شخصيات... لقد خسرنا ابنتنا، جون.

حاول جون أن يبقى متماسكًا، لكن صوته ارتعش، وخرج واهنًا وهو يرد عليها:

- لم نخسرها... سوف تعود...

ثم التفت إلى إلين مجددًا، وهو يحاول التمسك ببذرة أمل واهية، كأن كل كلمة يقولها قد تُعيد إليه ابنته الحقيقية

في صباح اليوم التالي، وبينما كانت الشمس لا تزال تختبئ خلف الأفق، كان جون وتانيا يجمعان حقائبهما في صمتٍ ثقيل، كأن الكلمات أصبحت عبئًا إضافيًا لا طاقة لهما به. لم يكن ثمة حديث بينهما، فقط نظرات متبادلة مُرهقة مليئة بالهمسات الداخلية التي لا يستطيعان التعبير عنها... كان كل شيء يبدو فارغًا، وكل حركة قاما بها كانت كأنها عبء إضافي، كأن الماضي قد تحول إلى ثقل لا يطاق. حملا أمتعتهما وخرجا من شقتهم الفاخرة في باريس، تاركين وراءهما الذكريات كلها التي لم تعد تعني شيئًا.

انطلقت السيارة تشق طريقها نحو الريف، وسط صمت طويل لم يقطعه سوى صوت المطر، وهو ينهال فوق الزجاج، وكأن السماء تبكي بصمتٍ على شيء لم يُفصح عنه بعد. كان الطريق طويلًا، ولكنه لم يكن أطول من الأفكار التي اجتاحت عقولهم... أفكار لم تكن تخص الحاضر فقط، بل كانت ممتدة إلى الماضي، إلى كامبلا التي لا تزال ذكرها ترفض أن تُمحي.

عندما توقفت السيارة أمام أبواب القصر الحديدية، شعرت تانيا بارتعاشٍ خفيفة، وكأن روحها تنتفض احتجاجًا على هذه العودة. أما جون، فدفع البوابة بصعوبة، بينما اجتاحت عقله تلك الذكريات التي لم يفلح الزمن في طمسها. كل زاوية من هذا المكان كانت تحمل بصمة من الماضي، من زوجته الراحلة التي اختفت في ظروف غامضة لم تُفك ألغازها بعد.

مرّت ساعات على وصولهم، وبينما كان القصر يلفه السكون، جلست لارا خلف نافذتها الواسعة، تتأمل المشهد الخارجي الممتد أمامها. امتدت الحقول الخضراء على مد البصر، تراقصت الأشجار مع نغمات المطر بإيقاعٍ هادئ، لكن هذا الهدوء لم يكن سوى ستارٍ يخفي العاصفة التي تعصف داخلها. كانت نظراتها قاتمة، خالية من الحياة، جسدها بدا غريبًا عليها، خاملاً، كما لو أن الأدوية المهدئة قد فصلتها عن واقعها شيئًا فشيئًا. لم تعد تعرف من هي... كانت تتنقل بين شخصياتها المختلفة كأنها أطياف مفقودة، لا تعرف كيف تعيد اكتشاف نفسها.

تحولت غرفتها إلى عالمٍ منقسم، كل زاوية تعكس طابعًا لشخصية مختلفة تسكنها. لم تكن وحدها في هذا الجسد، لم تعد تدرك نفسها، لكنها تعلم من والدها أن نينا، وسارة، وإلين قد استحوذن على أجزاء منها... وكلما حاولت التشبث بوجودها، سحبها الظلام أكثر إلى أعماقه.

طرق جون الباب بخفة، يحمل معه ابتسامة باهتة، كأنها شبحٌ ابتسامة فقدت روحها. عندما دخل، كانت لارا تحقق فيه بالنظرة الفارغة نفسها التي لم تفارقها منذ أشهر. جلس بجانبها، ووضع يده على رأسها برقةٍ، ولكن اليد كانت مترددة، غارقة في الخوف. همس بصوت خافت، متحشرج من ثقل الكلمات:

– هل أخبرك بشيء مفرح، صغیرتي؟

لم ترد، لكن نظرتها الثابتة كانت كافية ليدرك أنها تسمعه، وإن كانت لا تبالي. تابع حديثه، متجاهلاً الصمت الذي يفصل بينهما:

- وجدتُ طبيبًا عربيًّا يثني عليه الجميع. قيل إنه نجح في شفاء حالات فيئوس منها... تحدثت معه، وأكد لي أنه سيأتي نهاية الأسبوع. ستتحسنين، صغيرتي، وستعودين إليّ كما كنتِ... ابنتي الجميلة المدللة.

توقف، متوقعًا منها أي رد، لكن بدلًا من ذلك، تحولت نظرتها إلى غضبٍ مفاجئ، وارتسم على شفتيها تعبير عدواني مظلم، لا يشبهها إطلاقًا. ثم فجأة، خرج صوتها حادًّا، مختلفًا، كأنه لا ينتمي إليها:

- لن أقابل أي طبيب، يا جون... لقد سئمتُ منكم جميعًا.

تجمد جون في مكانه، وقشعريرة باردة اجتاحت عموده الفقري. للحظة، أحس أن الزمن عاد به إلى الوراء، إلى اللحظة التي أصيبت فيها كاميلًا بذلك المرض الغامض. لكنه لم يكد يستوعب الموقف، حتى عادت ملامح لارا إلى الجمود، كأن شيئًا لم يكن.

انحنى أمامها، وأمسك يديها الباردتين كقطعة ثلج، ثم قبلهما بحزنٍ عميق. خرج صوته بالكاد، مليئًا بالرجاء:

- سأخلّصك من تلك الأرواح التي تسكنك... أعدك.
ولكن رجاءً، صغيرتي... انظري إليّ، لمرة واحدة فقط،
كي أعلم أنك ما زلت هنا.

ارتفع صوته تدريجيّاً، كأنه يسعى لإنقاذها من
الغرق. فجأة، تراجعت لارا للخلف، وعيناها تتسعان من
الخوف، وكأنها لا تعرفه بعد الآن. في تلك اللحظة،
دخلت تانيا إلى الغرفة، وأمسكت بذراعيه بقوة
لإيقافه.

- جون، ماذا تفعل؟! أنت تخيفها! انظر إليها...
إنها مذعورة.

تراجع جون ببطء، ونظر إلى لارا ثم إلى تانيا،
وكانهما أصبحتا شخصين بعيدين عنه. كانت كلماته
ضعيفة، وكأنها جرح عميق أصاب تانيا في قلبها.

- أنا أتألم على ابنتي... قلبي يحترق. لكنك لا
تشعرين بي... لأنها ليست ابنتك.

سقطت الكلمات على تانيا كصاعقة، واتسعت عيناها
غير مصدقة، قبل أن تغرق بالدموع. همست بصوتٍ

- ليست ابنتي؟! كيف... تتجراً على قول ذلك؟

أدرك جون خطأه الفادح، فهرع ليعانقها معذراً،
وصوته يرجف من شدة الندم:

- أنا آسف، عزيزتي... لم أقصد ذلك. الخوف
ينهشني، لا أعرف ما الذي أقوله... سامحيني.

أشاحت تانيا بوجهها عنه، ثم همست بصوت مخنوق:

- اخرج الآن... ودعني معها.

أطاعها على مضض، وخرج تاركاً الباب موارباً. اقتربت
تانيا من لارا التي ما زالت متصلة في مكانها، ثم
أمسكت بيدها برفق، همست بحنان:

- لا تخافي... لن يؤذيك أحد. تعالي، صغیرتي،
استلقي حتى تنامي بهدوء.

استجابت لارا، رغم خوفها، واستلقت في حضن تانيا
الدافي، حيث لا تزال هناك بقايا أمومةٍ صادقة تحاول
احتواءها. مرّرت تانيا أصابعها بين خصلات شعرها،

- اشتقنا إليك، صغیرتی. أنتِ قوية... لن ينتهي بكِ الأمر كما حدث مع أمكِ... لن أسمح بذلك.

كان صوتها ينساب كنسيمٍ دافئ وسط ليلة باردة، وكأنها تحاول أن تزرع الأمل داخل الفتاة الممزقة. ومع كل لمسة، ومع كل كلمة، بدأت أنفاس لارا تهدأ تدريجيًا، حتى غفت أخيرًا في سباتٍ ثقيل.

نهضت تانيا بهدوء، وغادرت الغرفة بحذر، ثم أغلقت الباب خلفها. بينما كانت تسير في الممر الطويل، لم تستطع مقاومة الرغبة في النظر إلى جدران القصر الباردة وما تحمله من ذكريات تشبه الأشباح في كل زاوية.

قبل سبعة عشر عامًا، كانت كاميلا قد فقدت نفسها في هذا المكان.

واليوم، هي تخشى أن تفقد ابنتها لارا بالطريقة نفسها.

كان المنزل غارقًا في سكون مريب، ذلك النوع من السكون الذي يبدو ثقيلًا، وكأنه يخفي شيئًا يتحرك في الظلال. خارج النوافذ، كانت الرياح تعصف بقوة، تصحب معها زخات المطر التي تضرب الزجاج بإيقاع عشوائي. بدا كل شيء وكأنه مشهد من كابوس لا ينتهي.

في الطابق العلوي، كانت لارا مستلقية على سريرها، جسدها يتلوى وكأنها عالقة بين عالمين. تقلبت مرارًا، أنفاسها متسارعة وكأنها تحاول الهروب من شيء يطاردها في الخفاء.

وفجأة، دوى صوت رعد خافت في السماء، مزق السكون لثوانٍ قبل أن يختفي. فتحت عينيها ببطء، ولكنها لم تكن تلك النظرة الخائفة المعهودة للارا. هاتان العينان كانتا تحملان بريقًا غريبًا، مليئًا بالحياة والطغيان. ابتسامة واسعة ارتسمت على شفثيها، لكنها لم تكن ابتسامة بريئة، بل مزيجًا من السخرية والانتصار. نهضت بحركة سريعة وحادة، وكأنها أصبحت

شخصًا آخر، ثم قالت بنبرة واثقة مشوبة بالتهكم:

- أخيرًا... استعدت السيطرة!

تقدمت بخطوات ثابتة نحو المرأة. نظرت إلى انعكاسها بتأمل، ثم قطبت حاجبيها بغضب حينما رأت شحوب وجهها. همست وهي تميل رأسها قليلًا:

- تلك الكئيبة تفسد جمالي. كم أكره ضعفها. لن أسمح لها بالظهور مجددًا... أبدًا.

أخرجت صندوقًا صغيرًا من أحد الأدراج، كان مزخرفًا بنقوش غريبة، كأنه يعود إلى عصر قديم. فتحت به حرص، وأخرجت أدوات التجميل. بدأت ترسم على وجهها بإتقان، تضيف الألوان وكأنها تخفي خلفها قصة معقدة. ابتسمت لنفسها بعد أن انتهت، ثم قالت بتفاخر:

- كم أنت مذهلة، إلين... العالم لن يستطيع مقاومة جمالك.

توجهت إلى خزانة الملابس، اختارت بعناية ثوبًا يعكس ثقته، وانتعلت حذاءً بكعب عالٍ. أضافت بعض

الإكسسوارات البراقة، ثم وقفت أمام المرأة تلقي
نظرة أخيرة، وهمست لنفسها بنبرة واثقة:

- هذا الجسد لا يليق إلا بإلين.

بخطوات خفيفة وسريعة، تسلمت إلين من المنزل
دون تشعر بها أي عين، تاركة خلفها عالمًا يغط في
ظلامه المعتاد.

كانت الأضواء الملونة تتراقص بجنون على أنغام
الموسيقى الصاخبة، وسط حشد من الناس الذين بدوا
وكأنهم يهربون من واقعهم إلى عالم صاخب من
النسيان. وسط هذا الزحام، كانت إلين تقف على منصة
الرقص، تلفت الأنظار بحركاتها المليئة بالجرأة
والحماس. رفعت كأس الشراب عاليًا، وصاحت بصوت
عالٍ:

- أنا إلين! أجمل فتاة هنا! هذه ليلتي!

جذب صوتها الانتباه. عيون كثيرة كانت تراقبها، لكن
شابًا واحدًا كان أكثر جرأة. اقترب منها بابتسامة

مغرورة وقال:

- أنتِ محقة... لم أر فتاة بجمالك هنا من قبل.

ابتسمت له إلين ابتسامة ملؤها الغرور، مدت
يدها وصافحته:

- إلين... حديثة العهد هنا.

رد الشاب بالنبرة الواثقة نفسها:

- مارت. سررت بلقائك، إلين. هل انتقلت مع عائلتك؟

هزّت رأسها بابتسامة ساخرة وقالت:

- لا. أتيت وحدي. الحرية أجمل بدون قيود.

تصاعد حديثهما وسط الضجيج، الضحكات، والأنوار
الراقصة. لكن وسط كل ذلك، كان هناك شيء يتحرك
في أعماق إلين، إحساس خفي، غريب، أشبه بوخزة
في أعماق وعيها، لكن سرعان ما تجاهلته، ورفعت
كأسها من جديد.

لكن فجأة، توقف كل شيء.

جمدت في مكانها، اختفت بسمتها، وبهتت أنوار

عينيها التي كانت قبل لحظات تشتعل بالحياة. شحبت ملامحها، نظرتها أصبحت خاوية، بلا روح.. شدت قبضتها على كأس الشراب الذي كانت تحمله ونظرت إليه باشمئزاز قبل أن ترميه أرضاً بقوة. الكأس تحطم إلى شظايا تحت قدميها. وصوته شق صخب الموسيقى للحظات قصيرة، لكنها كانت كافية ليلتفت الجميع نحوها. تمتعت بصوت خافت، لكنه كان يحمل ظلامًا دفينًا:

- تلك الساقطة... كيف تجرؤ على استخدام جسدي بهذا الشكل؟!

مارت الذي كان يقف مصعوقًا مما يحدث، اقترب منها وسألها بقلق:

- إلين؟ هل أنت بخير؟ ماذا يحدث؟

رفعت رأسها نحوه ببطء. لكن النظرة في عينيها لم تكن نفسها. نظرت إليه بازدراء، وقالت بصوت مختلف تمامًا:

- أنا نينا. إلين اختفت ولن تعود. والآن... ابحث

لنفسك عن رفيقة أخرى!

تراجع مارت خطوة إلى الخلف، تجمد مارت في مكانه، عيناها مليئتان بالدهشة والخوف. تقدمت نينا نحو مرآة صغيرة كانت معلقة على الجدار القريب، ونظرت إلى انعكاسها بعمق. مررت أصابعها على وجهها ببطء، ثم همست بحقد دفين كلماتها تتسرب كالسم:

- لن تعودى يا إلين... هذا الجسد لى الآن.

أوقفت سيارة أجرة، وتوجهت إلى المنزل، بينما مارت المصدوم، بقى فى مكانه، يحاول استيعاب ما يحدث.

عندما دخلت نينا المنزل، دفعت الباب خلفها بقوة، جعلت صوت ارتطامه يتردد فى أرجاء المكان، وكأنها تعلن عن حضورها بطريقة مهيبه ومخيفه. وقفت للحظات فى المدخل، وعيناها القاسيتان تمسحان جون وثانيا بنظرة تعلوها السخرية واللامبالاة. كانا يقفان فى الصالة، وجهاهما شاحبان، وأعينهما تفضحان قلقًا

عميقًا وخوفًا مكبوتًا. كانت تانيا تفرك يديها بعصية
مفرطة، بينما بدا جون كمن يحمل عبئًا ثقیلاً لا
يستطيع الإفلات منه.

ارتسمت على شفتي نينا ابتسامة باردة، خالية من
أي شعور إنساني، وقالت بنبرة مشحونة بالتهكم:

- لا داعي للذعر. تلك الحمقاء أخذتنا إلى النادي
الليلي، لكنني... كالعادة، أنقذت الموقف. ها أنا هنا،
بخير، وبكامل سيطرتي.

كان صوتها يقطر لؤمًا، وكانت كلماتها كخناجر خفية
تخترق صدريهما. حاول جون استيعاب كلامها، وبصوت
متوتر يملؤه القلق، سألها:

- هل... هل رأيك أحد هناك؟

رفعت نينا حاجبها بازدراء، وكأن سؤاله أهان ذكاءها،
ثم انحنت برأسها قليلًا وأجابت بسخرية:

- يا جون، هل تظن أنني حمقاء مثلها؟ تدخلت في
اللحظة المناسبة. تلك الغيبة كانت تتحدث مع شاب،
يبدو عليه الانبهار، وكأنه التقى بفتاة أحلامه. لكنني

حرصت على تحويل حلمه إلى كابوس. ربما هو الآن
جالس في منزله، يتساءل بذهول عن تلك الفتاة التي
تحدثت إليه... أي شخصية منها كانت الحقيقية؟

كانت كلماتها كطعنة خفية، لكنها لم تترك فرصة
للرد. استدارت على عقبيها، متوجهة نحو السلالم
بخطوات ثقيلة، لكنها واثقة. توقفت عند الدرج،
والتفتت إليهما ببرود، وقالت وكأنها تُلقي أوامر:

- سآبدل ملابسي وأكمل الرسم. لا أريد أي إزعاج.
هل هذا واضح؟

وقف جون في مكانه، وكأن ثقل الكلمات جعله عاجزاً
عن الحركة. خفض رأسه، وأخذ نفساً عميقاً، ثم نظر
إلى تانيا بعينين مليئتين بالأسى، وقال بصوت مرتجف:

- كلما سيطرت إحدى شخصياتها، شعرت أنني أفقد
لأنا أكثر. إنها تختفي ببطء... أمام أعيننا، ولا نستطيع
فعل شيء لإعادتها.

أقتربت تانيا منه، وربّتت على كتفه بحنان، لكن يدها
المرتجفة فضحت قلقها. حاولت أن ترسم ابتسامة

مطمئنة على شفيتها، وقالت بصوت خافت
يشوبه التردد:

- علينا أن نتمسك بالأمل، جون. الطبيب سيأتي
قريبًا... ربما يكون لديه الحل الذي ننتظره.

لكن كلماتها بدت وكأنها لم تصل إلى قلبه. ظل
ينظر إلى السلاسل التي اختفت خلفها نينا، وقال بصوت
مفعم باليأس:

- هل ستعود ابنتي يومًا؟ هل ستنظر إلينا يومًا،
وتعرف من نحن؟

حاولت تانيا أن ترد عليه بكلمات مشجعة، لكن الصمت
كان أبلغ. هي نفسها كانت تعلم أن الأمل يضعف يومًا
بعد يوم، مع كل لحظة تزداد فيها نينا سيطرة على ما
تبقى من لارا.

عندما دخلت نينا المنزل، جلست أمام لوحة بيضاء،
كأنها تنتظر أن تُلقى بأسرارها المظلمة على القماش.
كانت أصابعها تتحرك بخفة، لكن كل حركة كانت
مشحونة بطاقة غريبة، أشبه برغبة مُلحة في كشف

شيء لا يمكن قوله بالكلمات. بدأت الخطوط تتشابك؛
بدت عشوائية في البداية، لكنها سرعان ما تحولت إلى
رموز وأشكال غامضة، تحمل في طياتها ذكريات دفيئة
أو أسرارًا مرعبة لا يفهمها سوى عقلها المشتت.
طغت الألوان الداكنة على اللوحة، كأنها انعكاس
للعاصفة التي تعصف بروحها.

وسط الظلام الثقيل الذي يبتلع الغرفة، انكسر
الصمت بصوت غاضب يتردد داخل أعماق لارا، صوت إلين
يصرخ باحتجاج ممزوج بالمرارة:

- لماذا دائمًا تُفسدين كل شيء؟ لماذا لا
تدعيني أعيش؟

توقفت نينا للحظة، كأن الصوت قطع حبل أفكارها،
ثم انحنى رأسها قليلًا وابتسمت ابتسامة باردة تحمل
في طياتها لؤمًا عميقًا. أجابت بصوت منخفض لكنه
حاد:

- لأنك لا تفهمين شيئًا، إلين. أنتِ وسارة مجرد
ظلال... مجرد بقايا لا تستطيعان فعل شيء. أما أنا...

فأنا الوحيدة التي ترى الصورة كاملة. أنا التي تحكم هذا الجسد.

لم يمر وقت طويل حتى اقتحم صوت ثالث هذا الحوار الداخلي، صوت سارة، الذي بدا هادئًا لكنه مشحون بالسخرية اللاذعة:

- أوه، نينا... تظنين أنكِ تمسكين زمام الأمور؟ لا أحد يسيطر هنا، ولا حتى أنتِ. والسر الذي تخفيه لن يظل مدفونًا إلى الأبد.

تصلبت يد نينا فوق اللوحة، ثم توجهت ببطء نحو المرأة أمامها. انعكاسها كان مختلفًا؛ عيناها تحملان بريقًا مطلقًا، أشبه بعاصفة تحتدم في صمت. حدقت في نفسها طويلًا قبل أن تهمس بصوت يكاد يُسمع:

- لن أسمح لأيٍّ منكن بأن تقترب من أسراري. ما أخفيه... سيبقى مدفونًا معي مدى الدهر.

صرخت إلين فجأة، صوتها يحمل غضبًا لا مثيل له:

- لا يهمني ما تخفيه، أيتها العجوز الشمطاء! إذا أفسدت متعتي مجددًا... أقسم إنني سأقتلك!

ابتسمت نينا وهي تلقي نظرة خاطفة على اللوحة،
وكأنها ترى شيئاً لا يراه أحد غيرها:

- أوه، إلين... أنتِ تعرفين جيداً أنني أستمتع
بالمطاردة... وبصراع البقاء.

قاطعتها سارة بهدوء مخيف:

- وماذا لو لم يكن البقاء لك هذه المرة؟

صمتت نينا لحظة، ثم تظاهرت بالضحك، لكن عينيها
ضاقتا بحدة:

- إذا، جرّين... لكن تذكرن، من يبدأ الحرب، عليه أن
يكون مستعداً للنهاية. والنهاية، يا عزيزتي، ليست
دوماً سعيدة.

لا تزال إلين غاضبة بشدة. قاطعتها بصوت مرتجف
لكنه مليء بالتهديد:

- لقد سئمت منك! دائماً تتحدثين وكأنك الملكة هنا،
لكنك مجرد وهم... كما نحن.

تجمد الجو لثوانٍ قبل أن تنفجر نينا بضحكة قصيرة.

بدأت الضحكة تتصاعد شيئاً فشيئاً حتى أصبحت هستيرية، تعكس لذة غامضة في التلاعب والسيطرة. ملأت ضحكاتها الغرفة، وكأنها تحدُّ لكل من يحاول كبحها.

لكن طرقات الباب قطعت هذا الضجيج. التفتت نينا بسرعة نحوه، عيناها متوهجتان بالغضب، قبل أن تقول بحدة:

- قلت لكم، لا أريد أي إزعاج أثناء الرسم! أليس هذا واضحاً؟

دخل جون بخطوات مترددة، متمسكاً بابتسامة متعبة تخفي قلقه المتصاعد. قال بصوت هادئ لكنه مهزوز:

- ضحكاتك العالية أقلقتنني. أردت فقط الاطمئنان عليك.

نظرت إليه نينا ببرود، ثم أشارت بيدها نحو الباب وهي تقول بلهجة قاطعة:

- كما ترى، أنا بخير. ابنتك بخير الآن. هل تسمح لي بالعودة إلى عملي؟

تأملها جون للحظة، كأنه يبحث عن أي أثر لابنته الحقيقية خلف هذه الشخصية الباردة، لكنه لم يجد شيئاً. أوماً برأسه بحزن، ثم استدار ليغادر. قبل أن يغلق الباب خلفه، سمع صوت ضحكاتها الهستيرية تعود من جديد، وكأنها تتحدى كل ما تبقى من أمل داخله.

توجه جون إلى الشرفة، استند إلى الجدار بظهره، وأذناه تلتقطان صدى تلك الضحكات التي لم تعد تخص ابنته التي يعرفها. وقف هناك، غارقاً في أفكاره، يتساءل ما إذا كان الطبيب القادم سيحمل معه بصيصاً من الأمل، أم أن لارا قد ضاعت إلى الأبد.

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص



@N_BHS2

الفصل الثاني



تعمق في دهاليز نفسك المعتمدة، ستجد أن
أعمق مخاوفك لا تكمن في الخارج... بل في
داخلك، لكنك لا تجرؤ على استكشافها.

مرّت أيام الأسبوع ببطء قاتل، وكأن عقارب الساعة قد أصابتها لعنة جعلتها تثبت مكانها، تاركة جون وتانيا يعيشان في ظل صمت ثقيل لا يخلو من توتر وترقب.

كل شيء بدا وكأنه يراقب بصمت: الجدران، النوافذ، وحتى الأثاث. قرر جون اتخاذ إجراءات مشددة لمواجهة ما لا يمكنه فهمه، فوضع خادمة لمراقبة ابنته ليلاً ونهاراً، وحارساً خارج المنزل لمنعها من الهروب مجدداً. لكنه كان يعلم في أعماقه أن هذه الإجراءات لا تعني شيئاً أمام ما يواجهونه.

وفي صباح رمادي مشحون بالانتظار، جاء اليوم الذي طالما حلم به جون. حطّت طائرة الطبيب العربي في مطار شارل ديغول، تحمل معها رجلاً قيل عنه الكثير، وكأن أمل العائلة الممزقة بين يديه.

في قاعة الوصول، وقف ميشيل، أحد رجال جون الموثوقين، يحمل لافتة صغيرة كُتب عليها: (الدكتور إلياس).

كانت عيناه تجولان في المكان، تلتقطان كل حركة،
كأنه يبحث عن شيء مجهول.

تقدّم رجل في العقد الثالث من العمر، مظهره أنيق
وبسيط، لكن عينيه تحملان بريقًا غامضًا يثير
التساؤلات. مدّ يده مصافحًا ميشيل، وقال بصوت ثابت:
- مرحبًا، أنا الدكتور إلياس.

ابتسم ميشيل، لكن داخله كان مزيّجًا من الراحة
والحيرة. كان هذا الطبيب يبدو مختلفًا عن كل ما
تخيله. ردّ قائلًا:

- أهلاً بك، دكتور. السيد جون ينتظر قدومك
بفارغ الصبر.

ابتسم إلياس برفق، لكن عينيه كانتا تتأملان اللافتة
والناس من حوله، وكأنه يقرأ شيئًا لا يُرى. قال بنبرة
هادئة:

- أحيانًا، الوصول ليس هو الجزء الصعب... بل ما
يأتي بعده.

صعد الاثنان إلى السيارة، حيث تجاذبا أطراف الحديث أثناء رحلتهم إلى مدينة آنسي، تلك الجوهرة الفرنسية الساحرة بأزقتها القديمة ومبانيها الرومانسية. تبعد المدينة عن باريس حوالي 550 كيلومترًا، لكن جمالها يجعل الطريق إليها وكأنه نزهة ممتعة.

عندما توقفت السيارة أمام المنزل الكبير، بدا المشهد كأنه مأخوذ من لوحة كلاسيكية؛ أبواب ضخمة، وحديقة واسعة تخفي في زواياها أسرارًا قديمة. لكن رغم جمال المكان، كان الجو مشحونًا بشيء لا يمكن تفسيره، وكأن المنزل نفسه يتنفس تحت وطأة عبء ثقيل.

داخل المنزل، كان جون يجوب الصالة الواسعة كمن ينتظر حكمًا وشيئًا. قالت تانيا وهي تحاول كبح توترها:

- اهدأ، يا جون. توترك يصيبني بالجنون!

ردّ بنبرة مشحونة:

- كيف يمكنني أن أهدأ؟ لا يمكننا تحقّل المزيد
من الأخطاء!

رّن جرس الباب فجأة، كأنه ينذر بحدث غير عادي.
اندفع جون ليفتحه، ليجد أمامه رجلًا طويل القامة،
ملامحه مطمئنة، لكن عينيه تحملان غموضًا يصعب
تجاهله.

مدّ إلياس يده قائلاً بصوت هادئ:

- السلام عليكم.

تلعثم جون للحظة لعدم فهمه التحية، لكنه تدارك
الأمر قائلاً بصوت متحشرج من التوتر:

- أهلاً بك يا بُني، كنا ننتظرك بفارغ الصبر.

دخل إلياس بخطوات ثابتة، وكأن المكان يدعوه إلى
استكشافه. عيناه لم تفوّتا أي تفصيلة؛ من النقوش
القديمة على الجدران إلى الظلال التي تلعب على
السقف بفعل ضوء المصابيح. جلس بهدوء على أريكة

من الطراز العتيق، وألقى نظرة خاطفة على جون الذي
بدا وكأنه يحمل ثقل العالم على كتفيه.

بدأ جون الحديث بنبرة ودية:

- كيف كانت رحلتك؟

أجاب إلياس بابتسامة خفيفة، لكن صوته كان يحمل
دفنًا يُخفي خلفه عمقًا غامضًا:

- كانت طويلة لكنها ممتعة. هذه البلاد ساحرة،
وجمالها يجعلك تنسى عناء السفر.

بعد دقائق من الحديث، قطعت تانيا الصمت ودعتهما
إلى تناول العشاء. كانت المائدة ممتلئة بأشهى
الأطباق، وكأنها محاولة يائسة لإخفاء التوتر الذي
يحيط بالمكان.

بعد العشاء، ارتشف إلياس قهوته ببطء، وعيناه
تأملان جون، الذي كان يحدق في الأرض بصمت. بادره
بسؤال منخفض النبرة، لكنه يحمل ثقلًا كبيرًا:

- كيف حال ابنتكم؟

رفع جون رأسه ببطء، كمن يستجمع قوته لمواجهة سؤالٍ يتمنى لو لم يسمعه. نظر إلى الطبيب نظرة تعكس عمق ألمه، وقال بصوت مكسور:

- لم تعد ابنتي... الشخصيات الأخرى سيطرت عليها تمامًا. لم يبقَ من لارا شيء.

ابتسم إلياس ابتسامة هادئة، لكن خلف هدوئها كان هناك إصرار وأمل لا يتزعزع. قال بصوت واثق، وكلماته أشبه بضوء يتسلل إلى عتمة الغرفة:

- لكل ظلامٍ نور، مهما بدت العتمة أبدية.

نظر جون إليه بلهفة، كأنه يغرق ويتشبث بحبل إنقاذ أخير. سأله بصوت مختنق بالأمل والخوف معًا:

- هل تعتقد أن ابنتي سترى النور مجددًا؟

أجاب إلياس بثقة مطمئنة، ونبرة تحمل عزاءً في جواهرها:

- ابنتك، بإذن الله، سترى النور. الله يرى معاناتكم،

ويرحمكم أكثر مما نتصور. العلاج يبدأ من هنا... من التوكل على الله والإيمان برحمته.

شعر جون وكأن كلمات إلياس لامست جرحًا عميقًا في قلبه، لكنها لم تكن مجرد كلمات؛ كانت وعدًا يحمل بصيصًا من الأمل. قال بصوت مفعم بالإصرار:

- أضع كل آمالي بين يديك. أعلم أنك ستشفي ابنتي.

ابتسم إلياس بلطف وحنان، وقال:

- الأمل بالله وحده، والشفاء بيده. أنا هنا سبب صغير أرسله الله ليكون عونًا لكم. أسأل الله أن ينفع بي. الآن، هل يمكنني رؤية الفتاة؟

نهض جون واقفًا، وكأن الكلمات بثت في روحه حياة جديدة. قال بحماس:

- بالطبع.

قاد جون الطبيب إلى الطابق العلوي، تتبعه تانيا، التي كانت تنظر بين الحين والآخر إلى الطبيب، وكأنها تحاول قراءة نواياه. كانت خطواتهم تتردد في أنحاء

المنزل، لتكسر السكون الثقيل الذي يلف المكان.

لفتت انتباه إلياس التفاصيل الدقيقة في تصميم المنزل. كانت الجدران مزخرفة بنقوش مستوحاة من الفن اليوناني والروماني، وكأنها تحكي قصصًا عن أمجاد قديمة. الأعمدة الطويلة والإضاءة الخافتة، التي تبرز تفاصيل الزخارف، أعطت المكان طابعًا مهيبًا، لكن خلف كل هذا الجمال كان هناك شعور غريب يسيطر على الأجواء.

مع كل درجة يصعدھا على السلم، شعر إلياس بشيء لا يمكن تفسيره، وكأن الهواء يزداد كثافة، والهاالة المحيطة بالمكان تخفي شيئًا. قطع تأملاته صوتُ جون، الذي توقف عند باب داكن يحيط به إطار أبيض مزين بنقوش تمثل أساطير قديمة، وقال بتردد:

- هل تريدني أن أدخل معك؟

ابتسم إلياس ابتسامة مطمئنة، لكن نبرته كانت حازمة:

- لا داعي لذلك، سأقابلها بمفردي.

ظل جون مترددًا للحظات، ثم أومأ ببطء، وكأن جزءًا منه لا يزال متوجسًا. أشار بيده للطبيب أن يتفضل، لكنه لم يستطع إخفاء القلق الذي ارتسم في عينيه.

تقدم إلياس نحو الباب بخطوات هادئة، لكن مع كل خطوة، شعر بشيء غامض يثقل الأجواء. كان الصمت خلف الباب يبدو كثيفًا، وكأن الغرفة نفسها تنتظر دخول هذا الضيف الغريب. طرق الباب ثلاث طرقات بطيئة، متأنية، كأنما كان يستعد لدخول عالم لا يعرف ما قد يخفيه وراءه. ^{جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص}

بمجرد أن وطئت قدماه عتبة الغرفة، شعر بتغير غريب في الجو. كان الهواء هنا مختلفًا، مشبعًا بطاقة ثقيلة، كأن كل زاوية تخبئ في طياتها أسرارًا لم تُكشف. توقف قليلًا ليلتقط أنفاسه، وعيناه تلامسان المكان، تحاولان فك شفرة العالم الغامض الذي يحيط به. كان هناك شيء في الهواء يبدو وكأنه يهمس له بأن هناك قصة لا ترويها الكلمات.

كانت الغرفة أشبه بمتحف للأفكار المدفونة؛ أكوام

من الكتب المتناثرة على الأرض، ورسومات غريبة على
الجدران أظهرت صراعًا مريعًا بين العقل والروح، ودفاتر
مفتوحة، كما لو أنها تنتظر أن يكمل أحدهم كتابتها
بعد غياب طويل. كان كل شيء ينبض بحياة خفية، كأن
الزمن نفسه لم يمر هنا.

على السرير، جلست فتاة شاحبة، منكبة على كتاب
قديم، عيناها مثبتتان على الصفحات، لكنها بدت
وكأنها تهرب إلى عالم بعيد عن هذا الواقع الثقيل. لم
ترفع نظرها عند دخول إلياس، لكنها شعرت بوجوده.
وقف إلياس للحظات يراقبها بصمت، ثم قال بصوت
هادئ، لكنه مملوء بالثقة:

- السلام عليكم.

رفعت الفتاة عينيها ببطء، نقلت بصرها بينه وبين
الجدران المحيطة بها، كما لو كانت تحاول إيجاد كلمات
ملائمة لهذه اللحظة الغريبة. أمالت رأسها قليلًا،
وكأنها تزن وجوده، ثم قالت ببرود:

- لا أفهم ما تقول.

حافظ إلياس على ابتسامته الهادئة، لكنه انتبه إلى أن هذه الجملة ليست مجرد رد، بل كانت قناعًا يخفي خلفه دفاعًا قويًا وحذرًا. رد بلطف، لكن بلغتها:

- مرحبًا، أنا الدكتور إلياس.

تقدم ببطء وجلس على كرسي مقابل لها، واضعًا جسده في وضعية غير مهددة، لكنه كان يراقب كل حركة، وكل تفصيل صغير في الغرفة، لأنه يعلم أن كل شيء هنا له معنى. بعد لحظة من الصمت، الذي كان يثقل الجو، سأل بنبرة لطيفة:

- هل أنت لارا؟

عندها فقط، رمقته بنظرة أطول، كما لو أنها كانت تنتظر السؤال. ظل إلياس ثابتًا، لا يتقدم ولا يتراجع، يعطيها المساحة لتقرر بنفسها كيف ستتعامل معه. بعد لحظة صمت، أغلقت الكتاب بحركة بطيئة، وعدلت جلستها، ثم قالت بصوت خافت، أشبه بالهمس:

- أنا... سارة.

ظل إلياس محافظًا على هدوئه، لكن عينيه كشفت

عن اهتمام متزايد. قال بابتسامة خفيفة، وكأنما يحاول
فتح باب موصد:

- سعيد بلقائك، سارة. تبدين قارئة نهمة، هذه
الكتب من حولك تقول الكثير عنك.

نظرت إلى الكتب للحظة، وكأنها تراها لأول مرة، ثم
قالت بصوت مبحوح، لكنه يحمل صدقًا خفيًا:

- الكتب تأخذني بعيدًا... بعيدًا جدًا عن كل شيء هنا.
رد إلياس وهو يتأملها، عيناه مليئتان بالملاحظة
الدقيقة، كما لو كانتا عدسة مكبرة تلتقط كل تفصيل:

- أحيانًا، تكون القراءة وسيلتنا الوحيدة لخلق عالم
جديد، عالم أكثر احتمالًا. لكن، ماذا لو واجهنا العالم
الحقيقي هنا؟ ألن يكون ذلك أكثر قوة؟

تجمدت أناملها فوق غلاف الكتاب، وارتعشت
شفتاها للحظة، وكأنها سمعت شيئًا لمس جزءًا دفينًا
في داخلها. لكن، قبل أن تتمكن من الإجابة، كان
هناك شيء آخر يحدث في أعماقها...

داخل عقلها...

بدأت الأصوات تتداخل في رأسها، وكأنها تشتبك
في صراع غير مرئي.

إلين بصوت مرح ومشغب:

- يا إلهي! هذا الطبيب وسيم جدًا! سارة، لماذا لا
تدعينني أتولى زمام الأمور؟ أعدك أنني سأجعل
الجلسة ممتعة... وربما رومانسية قليلًا!

سارة بهدوء وقوة، وكأن كلمات إلين مجرد رياح
خفيفة لا تزعجها:

- إلين، هذا ليس وقت المزاح. نحن هنا للحصول على
مساعدة حقيقية. لا أريد أن يكون وجوده عبثيًا.

إلين بضحكة خفيفة:

- عبثيًا؟ آه، دائمًا ما تجعلين الأمور تبدو كأنها جلسة
فلسفية! فقط دعيني أضف بعض البهجة. أعتقد أنني
سأجعل الأمور أكثر مرونة.

نينا بصوت بارد وحذر، وكان هناك شيء خفي في

كلماتها، كالظلال التي تراقب كل حركة:

- دكتور آخر؟ كم واحدًا جاء وذهب؟ لا شيء يتغير.

كلهم يحاولون، وفي النهاية... يرحلون.

إلين بمزاح واثق:

- آه، نينا، دائمًا ما تكونين شعاع الأمل في عالمنا!

على الأقل، دعي الرجل يجرب حظه. يبدو أنه يملك

حضورًا قويًا، أليس كذلك؟

نينا بنبرة غامضة ومشحونة:

- الحضور وحده لا يعني شيئًا. ما يهمني هو ألا

يحاول كشف ما يجب أن يبقى مخفي.

سارة بحزم هادئ:

- نينا، كفاكِ تشكيكًا في كل شيء. ربما هذا الطبيب

مختلف، وربما لديه طريقة تجعلنا نفهم أنفسنا أخيرًا.

علينا أن نحاول.

إلين بصوت مرح:

- هل سمعتِ ذلك يا نينا؟ حتى سارة المتزنة لديها

أمل! وهذا أمر نادر. لذا، لا تفسدي علينا هذه الفرصة.

نينا بصوت منخفض يقطر تهديداً خفياً:

- لا أحد يفسد أي شيء، ولكن... لن أسمح له
بالاقتراب أكثر مما ينبغي. تذكر ذلك.

إلين بابتسامة مستفزة:

- كما توقعت... نينا تجعل الأمور دائماً أكثر إثارة.
لكن لا تقلقي، سأكون هنا إذا احتجتِ إلى قليل من
السحر لإنقاذ الموقف.

سارة بتنهد ونبرة هادئة لكنها حاسمة:

- هذا يكفي. إلين، لا وقت للدعابات الآن. نينا، أرجوكِ
كفي عن وضع العقبات. دعنا نحافظ على هدوئنا. هذا
الطبيب جاء لمساعدتنا، وأريد أن أكون واضحة وصريحة
معه. لا مجال للعبث.

إلين بتنهيذة مصطنعة:

- حسناً، حسناً. سأترك القيادة لك الآن، لكن إذا
شعرتِ أن الأمور تحتاج إلى لمسة من البريق، فأنتِ

تعرفين أين تجدينني.

نينا بهمس غامض مغمور بالسرية:

- أتمنى فقط ألا يفتح أبوابًا يجب أن تظل موصدة.

شعرت سارة بتسارع أنفاسها، وكأن الغرفة تضيق عليها. كلمات نينا الثقيلة وتوتر الأجواء جعلتها تشعر بارتباك يتسلل إلى أعماقها. تغيرت ملامحها تدريجيًا، وارتسفت في عينيها علامات خوف غير مألوف. تراجعت خطوة إلى الخلف ببطء، وكأنها تحاول الهروب من شيء غير مرئي.

همست بصوت مرتجف بالكاد مسموع:

- من... أنت؟

تحرك إلياس ببطء، حرصًا على ألا يشعرها بالخطر، ثم قال بصوت عميق ومطمئن:

- أنا الدكتور إلياس. لا تخافي، أنا هنا لمساعدتك. أريدك أن تشعرني بالأمان، ولن أتركك وحدك.

لكن كلماته، رغم دفئها، لم توقف العاصفة التي

كانت تعصف داخلها. ارتفعت الأصوات في رأسها،
تضج بفوضى من الصراعات. وضعت يديها على أذنيها،
وكأنها تحاول صدّها. تقلّص جسدها، وانكمشت على
نفسها مثل طفلة مذعورة تبحث عن ملجأ، وتوسلت
بصوت مرتعش، متقطع كأنفاسها اللاهثة:

- اصمتي... أرجوك، اصمتي!

مدّ إلياس يده برفق، ووضعها على ذراعها بلمسة
خفيفة، كأنها محاولة لطمأننتها دون اقتحام عالمها.
صوته كان أشبه بنسيم هادئ وسط العاصفة:

- لا تخافي من هذه الأصوات، استمعي لها. أحياناً،
لفهم شيء ما، علينا مواجهته أولاً.

ارتعشت جفونها، وفتحت عينيها ببطء. نظرتها
مضطربة لكنها مستسلمة لهذا الصوت المختلف.
لمسة إلياس بثّت شيئاً من الطمأنينة، وكأنها أول
شعاع نور يخترق ظلاماً متراكماً.

خفض إلياس صوته أكثر، وكأنه يخاطب
قلبها مباشرة:

- أنا هنا لدعمك. إذا كانت هذه الأصوات تحاول التحدث، فاسمحي لها. أحيانًا، الاستماع هو الخطوة الأولى نحو السيطرة.

أغمضت عينيها مجددًا، كأنها تحاول للمرة الأولى الإصغاء حقًا. في تلك اللحظة، كان الصمت في الغرفة يحمل توترًا خفيًا، يخفي خلفه حربًا مشتعلة داخل عقلها.

إلين بضحكة مرحة:

- رأيتهن؟ حتى هذا الطبيب الذكي يريدني أن أظهر! هيا، لارا، دعيني أتحدث! سأجعل الأمر ممتعًا، كما هي حياتي دائمًا.

نينا بنبرة مشوبة بالقلق، تحاول أن تخفي ارتباكها خلف حدة كلماتها:

- هذا الطبيب... استطاع إقناعها بسرعة! لا يعجبني هذا. عليه أن يتعد قبل أن يكشف أمورًا يجب عدم كشفها.

إلين بضحكة ساخرة ناعمة:

- أوه، نينا، دائمًا ما تقلقين! لكنكِ محقة، إنه ذكي.

لقد جعل لارا تنصت إلينا... ربما هو مختلف؟

سارة بهدوء وعمق:

- ربما هو المنقذ الذي انتظرناه. لكن لنفهمه أولًا. لا

مجال للأخطاء هنا.

فتحت لارا عينيها ببطء، وكأنها تحاول إدراك ما يحدث، ثم رفعت رأسها ببطء شديد، تنظر إلى إلياس وكأنها تبحث عن إجابة.

قال إلياس برفق:

- هل تقول لك الأصوات شيئًا الآن؟

أومأت برأسها، وكأن الكلمات ثقيلة على شفيتها. لاحظ إلياس تلك الرجفة الطفيفة في أصابعها، فابتسم ابتسامة صغيرة تبعث على الطمأنينة، وقال:

- أنا واثق أنك قوية بما يكفي لتفهميها وتضعي لها حدودًا. السيطرة تحتاج إلى صبر، وأنا هنا لأكون بجانبك في كل خطوة.

ظهر شبح ابتسامة على شفتيها، لكنه تلاشى
سريعًا، وكأنها خافت من التعلق بهذا الأمل الجديد.
همست بصوت خافت بالكاد مسموع:

- أريد أن أنام... هل يمكنك أن تتركني وحدي؟

**لم يجبها على الفور، بل راقب عينيها
المتعبتين، كأنه يتأكد من أنها طلبت ذلك عن
قناعة، ثم ابتسم برفق:**

- كما تريدن، لكن تذكّري دائمًا، أنا هنا إذا
احتجت إليّ.

نهض إلياس من مكانه، خطاه هادئة، لكن عينيّه
أخذتا تتجولان في الغرفة... كانت المساحة حوله أشبه
بمرآة تعكس العوالم المتعددة التي تتصارع داخل لارا.
كل زاوية تحمل بصمتها، كأنها امتداد لشخصياتها
المختلفة؛ مزيج من الفوضى والتناقض والسر المدفون
في أعماقها.

أقترّب إلياس من زاوية نينا أولًا، وكأن الهواء حوله
أصبح أثقل مع كل خطوة. كانت الجدران مغطاة

برسومات غامضة، وألواح معلقة برموز مبهمة، وبعضها متكئ على الأرض في انتظار الاكتمال. الألوان الداكنة سيطرت على هذه الزاوية، ولم تكن الرسومات عشوائية، بل بدت وكأنها أجزاء من أحجية غامضة تخفي وراءها سرًا أعمق مما يمكن تفسيره. انسحب ببطء، وعيناه لا تزالان على اللوحات، وكأنها تحمل قصة لم تكتمل بعد، قصة تنتظر من يجرؤ على قراءتها.

ثم انتقل إلى زاوية سارة، حيث بدت الغرفة وكأنها ملاذ من الهدوء والنظام. رفوف مليئة بالكتب الكلاسيكية والروايات العميقة، وآلة كمان مستندة إلى كرسي مغطى ببطانية صوفية. كل شيء في هذه الزاوية يعكس شخصية تسعى للسلام، قوة تتشبث بالنظام وسط عالم مليء بالفوضى.

واصل سيره إلى ركن إلين، الذي بدا وكأنه ينبض بالحياة. رفوف مكتظة بمستحضرات التجميل والعطور، ومرآة طويلة تزينها أضواء صغيرة تُضيء بريقًا دافئًا. كانت الملابس الأنيقة مرتبة بعناية، بجانب حقائب

وأحذية فاخرة. وعلى الجدران، عبارات تشجيعية مثل:

(الحياة مغامرة، عِشها بلا خوف!)

وأخيرًا، وقف أمام الزاوية الأكثر هدوءًا... الزاوية التي تنتمي إلى لارا الحقيقية. كانت بسيطة بشكل موجد؛ مجرد سرير صغير مواجه لنافذة كبيرة تغطيها ستائر بيضاء شفافة. لا صور، لا ألوان زاهية، لا أثر لشخصياتها الأخرى هنا... فقط مساحة صامتة، تحمل إحساسًا غريبًا بالعزلة والانتظار. الضوء المتسلل عبر الستائر كان خافتًا، لكنه بدا وكأنه يحاول أن يهمس لها برسالة صامتة:

(يومًا ما، سيجد هذا النور طريقه إلى قلبك.)

وقف إلياس هناك للحظات، غارقًا في تأمل الغرفة. كانت تلك المساحة الصامتة تحكي أكثر مما يمكن لأي كلمات أن تصفه. تمتع في نفسه بصوت منخفض:

(لكل زاوية في هذه الغرفة سر، ولكل سر مفتاح.

سأجد الطريق إليهم جميعًا بإذن الله.)

ثم استدار وخرج من الغرفة بهدوء، تاركًا خلفه عالمًا

مليئًا بالأسرار، لكنه كان مصممًا على فك طلاسمه.

كان جون يقف متوترًا أمام الباب المغلق منذ أن دخل إلياس إلى غرفة ابنته. حاول جاهدًا استراق السمع لما يجري، لكن صوت الحديث الخافت بالداخل لم يكن كافيًا لطمأنته. كان الترقب يضغط على صدره كأنفاس ثقيلة، حتى كسر الصمت صوت لارا المذعور:

- اصمتي... أرجوك، اصمتي!

انتفض جون وكأن صاعقة أصابته، هرع نحو الباب محاولاً اقتحامه، لكن يد تانيا أوقفته بقوة لم يكن يتوقعها. أمسكت به وقالت بصوت حازم يشوبه الخوف:

- دع الطبيب يتصرف، جون. أثق أنه يعرف ما يفعله.

التفت إليها، وعيناه تمتلئان قلقًا وشكًا:

- لكنها... هذه بداية نوباتها، تانيا! أنتِ تعرفين ما

يحدث بعدها!

شدّت تانيا على يده، محاولة أن تبعث فيه بعض
الطمأنينة رغم ارتجافها الداخلي، وقالت:

- أعلم. لكن علينا أن نثق به هذه المرة. يبدو
مختلفًا... هناك شيء في هدوئه يجعلني أشعر أن
الأمر تحت السيطرة.

ظل جون صامتًا، يتأرجح بين الخوف والثقة، حتى عمّ
المكان فجأة هدوء غريب. لم يكن هدوءًا مألوفًا، بل
أشبه بسكون يحمل شيئًا غير متوقع. نظر جون إلى
تانيا بذهول وهمس:

- توقفت... كيف؟ كيف فعل ذلك؟

حبست تانيا أنفاسها للحظة، ثم قالت وهي تمسك
بيده بشدة:

- يا إلهي... لقد فعلها!

لم تمض سوى دقائق معدودة حتى انفتح الباب
ببطء، وخرج إلياس بخطوات هادئة، ووجهه يحمل
ابتسامة مطمئنة، لكن خلفها بريق تعب وحذر.

اندفع جون نحوه وكأن لسانه يسبق جسده،
وسأله بلهفة:

- كيف؟ كيف استطعت أن توقف نوبتها؟

توقف إلياس للحظة، وكأنه يريد أن يترك لكلماته أثرًا
أعمق، ثم قال بصوت واثق، لكن مليء بالتعاطف:

- ابنتكم لم تكن بحاجة إلى أن تُسكت الأصوات
داخلها، بل أن تستمع إليها. الخوف الذي يسيطر
عليها ليس إلا انعكاسًا لصراع داخلي يحتاج إلى
الاعتراف به وفهمه. عندما بدأت تستمع لما بداخلها،
هدأت تدريجيًا.

شعر جون بالارتباك، وكأن كلام الطبيب فتح له نافذة
جديدة على معاناة ابنته لم يدركها من قبل. تلعثم
وقال:

- ولكن... هل يعني ذلك أنها ستتحسن؟

وضع إلياس يده على كتف جون، وقال بنبرة هادئة
تحمل يقينًا:

- كل خطوة نحو الفهم هي تقدم. نعم، ستتحسن،
لكن الأمر يحتاج إلى صبر وإيمان. العلاج رحلة طويلة،
لكن نهايتها تستحق. أريد منكم أن تدعوا لها، أن
تؤمنوا بأنها قادرة على تخطي هذا.

تدخلت تانيا بصوت مهتز، وكأن كلمات إلياس أعادت
إليها بريق الأمل:

- كيف ندعو لها؟ ماذا يجب أن نقول؟

ابتسم إلياس بخفة، وكأن السؤال أعاد إليه ذكرى
قديمة، وقال:

- علّمني والدي دعاء بسيطًا لكنه قوي: (اللهم إننا لا
نملك حيلة من أمرنا إلا الدعاء، وأنت صاحب الأمر كله،
فانظر لنا بعين رحمة). هذا الدعاء يحمل كل شيء...
الرجاء، الصبر، واليقين.

تبادل جون وتانيا نظرات مترددة، لكنها مليئة بالأمل.
أمسك جون بيد الطبيب بقوة، وقال بصوت خافت لكنه
ممتن:

- شكرًا لك. لا أعلم كيف أصف ما نشعر به الآن. لقد

منحتنا شيئاً فقدناه منذ زمن... الأمل.

ابتسم إلياس برفق وقال:

- الأمل دائماً موجود، فقط علينا أن نبحث عنه في أعماقنا ونتمسك به. استمروا في الدعاء، وثقوا بالله وبقدرتكم على تجاوز هذا.

بينما عاد إلياس إلى الغرفة، وقف جون أمام الباب مجدداً، لكن هذه المرة شعر أن ثقله قد خفّ قليلاً. أغلق عينيه وهمس في داخله:

يا الله، إن كنت تسمعني... نحن بحاجة إليك. كن معنا.

كانت تلك اللحظة، رغم بساطتها، بداية لرحلة إيمان جديدة داخل قلب جون. رحلة قادته ليدرك أن النور لا يختفي أبداً، بل يظل ينتظر من يفتح له الباب.

في صباح اليوم التالي، استيقظ إلياس وهو يشعر بطاقة غريبة تجتاحه. كانت غرفته هادئة بشكل مريب،

وكان الجدران أنفسها تحتفظ بأسرار هذا المنزل. تأمل
النافذة الكبيرة المطلّة على الحديقة؛ المطر يتساقط
برفق، يرسم على الزجاج خطوطًا ملتوية، فيما بدت
الأشجار العالية وكأنها تحرس المكان بصمتها. كان
المشهد ساحرًا، لكن شعورًا خفيًا بالترقب تسلل إلى
داخله.

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

كان الجناح الذي خصصه له والد لارا بعيدًا عن بقية
المنزل، يعكس هدوءًا غامضًا لا يتناسب مع التوتر الذي
يشعر به القصر. أثاث الغرفة كان بسيطًا بشكل غريب
مقارنةً بفخامة المنزل؛ سرير أنيق، مكتب خشبي قديم
يزخر بالكتب، ومكان مخصص للجلوس والاسترخاء،
كأنما أُعد بعناية ليناسب عقلًا يبحث عن الهدوء وسط
العاصفة.

بينما كان يحتسي قهوته، اخترق سكّون الصباح
صوت موسيقى صاخبة صدحت في أنحاء القصر، وكأنها
تحاول تمزيق الصمت المخيم عليه. رفع إلياس حاجبيه
بدهشة، لكنه لم يلبث أن سمع طرقات متسارعة على
بابه، تلاها دخول جون وتانيا بوجوه شاحبة وعيون

مليئة بالتوجس.

قال جون، وهو يلهث من شدة التوتر:

- إنها ليست لارا... إنها إلين! لقد ظهرت فجأة!

أوما إلياس بهدوء مدروس، وكأنه كان ينتظر هذه اللحظة، ثم قال بصوت مطمئن:

- دعوني أتعامل معها.

في غرفتها، كانت إلين تعيش لحظتها كما لو أنها ملكة العالم. وقفت أمام المرآة، تراقب شعرها المبتل ينسدل على كتفيها بعث، وابتسامة مأكرة ترتسم على وجهها. تناولت المقص من درج خزانة، وبدأت تقص أطراف شعرها بخفة ودقة، وهي تهمس لنفسها:

- أخيرًا، سأحرر هذا الجسد من فوضاه.

بعد دقائق، نظرت إلى نفسها في المرآة بانبهار، ثم قالت بابتسامة واسعة:

- الآن أصبحت كما ينبغي أن أكون.

أطلقت ضحكة قصيرة، وشغلت الموسيقى بأعلى صوت، لترقص كأنها تهرب من شيء ما يطاردها. وضعت مساحيق التجميل بعناية، وارتدت فستانًا أنيقًا يعكس شخصيتها الجريئة.

لكن الطرقات العنيفة على الباب قطعت نشوتها، فالتفتت نحوه بضيق. تجاهلت الأمر لبضع لحظات، ثم سمعت ثلاث طرقات خفيفة، مختلفة عن الطرقات الأولى، لتدرك أن إلياس هو من خلف الباب.

أوقفت الموسيقى، وفتحت الباب برشاقة، وابتسامة مشرقة تعلو شفيتها:

- أخيرًا! كنت بانتظارك، دكتور إلياس.

نظر إليها إلياس بعينين متفحصتين، ثم قال بابتسامة هادئة:

- وأنا كذلك، إلين.

وقف جون وتانيا خلفه بذهول، فتقدم جون بخطوات ثقيلة، وقال بصوت مخنوق:

- لقد... لقد قصصتِ شعر ابنتي!

رفعت إلين حاجبها بسخرية لاذعة وقالت:

- نتحدث وكأنها فقدت كنزًا! كان تالفًا... لقد جعلتها
أجمل بفضلي.

قالت تانيا، وهي تمسك بيد زوجها محاولة تهدئته:

- دعنا نترك الطبيب معها، سنفسد كل شيء إذا
بقينا هنا.

نظرت إلين إلى إلياس بجرأة، وقالت بصوت يحمل
خليطًا من الثقة والمرح:

- تفضل، دكتور. أظن أنك تنتظر فرصة كهذه.

قال إلياس بعد لحظة تأمل:

- ما رأيك أن نتحدث في الفناء الخارجي؟ أعتقد أن
الجو هناك يساعد على الحديث بشكل أفضل.

ابتسمت إلين بخفة وأجابت:

- فكرة رائعة، سأحضر لنا القهوة.

جلس إلياس في الفناء الخلفي الواسع، حيث كان
النسيم العليل يحمل رائحة المطر ممتزجة بعطر الأزهار
المحيطة. تأمل المكان بعينيه الهادئتين قبل أن تقطع
أفكاره خطوات إلين الرشيقة. وضعت كوب القهوة
أمامه بخفة، وقالت بابتسامة مشرقة:

- استمتع بقهوتك، لقد أعددتها خصيصًا لك.

رفع إلياس عينيه إليها مبتسمًا، وأخذ رشفة بطيئة،
ثم قال بمكر:

- لا يمكنني إنكار أن قصة شعرك الجديدة جميلة
جداً... تبدين مختلفة، لكنني لا أستطيع تحديد السبب.

شهقت إلين بهجة، وعيناها تشعان بالفخر:

- أتعلم؟ كنت أعلم أنك ستلاحظ! لقد فعلت ما كان
يجب فعله منذ زمن... تخلصت من كل ذلك البؤس الذي
كانت تحمله لارا.

أوماً إلياس برأسه وهو يراقب حركاتها الدقيقة:

- تغييرات جريئة مثل هذه تحتاج إلى شخصية

قوية مثلك.

ثم رفع حاجبه بخفة وأضاف:

- ربما في يوم من الأيام تصطحبيني في جولة تسوق، من الواضح أنك تملكين ذوقًا مميزًا.

تألقت عيناها بحماس، وضكت قائلة:

- أوه، سيكون ذلك رائعًا! سأجعلك تبدو أكثر أناقة بالتأكيد. ثم مالت نحوه بنظرة مليئة بالتحدي:- لكن قل لي، ماذا تريد أن تعرف عني؟

وضع إلياس كوبه بهدوء، وأسند ظهره إلى الكرسي، ثم قال بصوت منخفض:

- أخبريني، منذ متى وأنت هنا؟

لمعت عيناها بغموض للحظة قبل أن تقول وهي تلعب بخصلات شعرها:

- منذ زمن طويل جدًا... لكنني لم أحصل على فرصتي حتى وقت قريب، لأن نينا تفضل إبقاء كل شيء تحت سيطرتها. ثم ضيّقت عينيها وأضافت بغمزة:- لكنني

أقوى مما تظن.

نظر إليها إلياس بتركيز، وقال بهدوء:

- لماذا تمنعك نينا من الظهور؟

تبدلت ملامحها لوهلة، وكأنها تزن كلماتها،
ثم همست:

- لأنها تخفي شيئاً... شيئاً لا تريد لأحد أن يعرفه.

رفع إلياس حاجبه مستفسراً:

- وما الذي تخفيه؟

أشاحت إلين بوجهها وكأنها تتجنب الإجابة، وقالت
بصوت خافت:

- أسرار... سمعتها تتحدث إلى نفسها في الليالي
المظلمة... أحياناً تهمس بأشياء غريبة. ثم ابتسمت
بإشراق مصطنع وغيرت الموضوع:- لكن لماذا نتحدث عن
نينا؟ دعنا نستمتع بهذه اللحظة.

لم يفوّت إلياس ارتباكها الخفي، لكنه اكتفى
بمراقبتها بصمت، وقال مبتسماً:

- أنتِ مميزة يا إلين، وتجلبين الحياة إلى المكان.

ابتسمت بفخر، وقالت بمزاح:

- هذا ما أقوله دائماً، صحبتي ممتعة ولا تُمل.

نظر إليها إلياس نظرة عميقة قبل أن يقول
بصوت منخفض:

- إلين... أخبريني شيئاً... عندما تنظرين في المرأة،
من ترين؟

توقفت إلين للحظة، ولمعت عيناها بغموض:

- سؤال مثير للاهتمام... أحياناً، أرى نفسي بوضوح،
كما تراني الآن.

مال إلياس للأمام قليلاً وهمس:

- وأحياناً؟

مالَت إلين رأسها للخلف، وضحكت بصوت ناعم:

- أحياناً... أرى عيوناً ليست لي.

رفع إلياس حاجبه قليلاً، ثم سأل بصوت هادئ:

- وعيون نينا... كيف تبدو؟

صمتت إلين للحظات، ثم نطقت بهمس وكأنها
تخشى أن يسمعها أحد:

- باردة... مثل شخص يراقبك طوال الوقت، لكنك لا
تراه حقًا.

أمال إلياس رأسه قليلًا، وهو يقول بمرح:

- ربما ينبغي لي أن أتعرف على نينا أيضًا... أشعر
بفضول لمعرفةتها.

ابتسمت بتردد، وشدّت على أسنانها وهي تصغي
بإذعان لصوت نينا المزمجر بغضب، والذي يخبرها أنها
لن تظهر. تغيرت تعابير إلين على الفور، انعقد حاجباها
وضغطت على شفتيها. مرّت ثوانٍ من التوتر، ثم قالت
بحدة مصطنعة:

- نينا تقول إنها لا تهتم بأمثالك. هي تؤمن أن
الرسم هو علاجها الوحيد، ولا تحتاج إلى طبيب ليخبرها
بما يجب أن تفعله.

تأملها إلياس بصمت، ثم قال بلطف:

- لا بأس، يبدو أن الوقت لم يحن بعد. ثم أضاف
بابتسامة خفيفة:- ماذا عن سارة؟ هل يمكنني التحدث
إليها؟

تنهدت إلين، وكأنها تكره فكرة أن تُستبدل،
وقالت بإصرار: جميع الحقوق محفوظة لقناة رقش

- لكن تذكر، أنا الأفضل هنا!

ضحك إلياس برفق وقال:

- بالطبع، لا يمكن لأحد أن ينافك.

أغمضت إلين عينيها ببطء، وعندما فتحت عينيها،
اختفت الحيوية التي كانت تشع منها، وظهرت سارة
بملاحها الهادئة، وعينيها العميقتين. نظرت إلى
فستانها المبالغ فيه، وقالت بهدوء:

- هذا لا يشبهني... أريد تغييره.

ابتسم إلياس بتفهم، وقال:

- بالطبع، خذي وقتك، سأكون بانتظارك.

نهضت سارة برزانة واتجهت إلى غرفتها. أمام المرأة، تأملت انعكاسها بسخريّة قبل أن تتخلص من الفستان وتعود إلى ملابسها المريحة. نظرت إلى شعرها المقصوص، لمستّه بحذر، وكأنّها تحاول استيعاب التغيير، ثم حملت آلة الكمان وخرجت إلى إلياس.

عند نزولها، التقت جون، الذي نظر إليها بحزن صامت. بادلت نظراته بابتسامة هادئة، وكأنّها تخبره بأنّها بخير رغم كل شيء. وعندما وصلت إلى الفناء، جلست بهدوء أمام إلياس.

ابتسم إلياس وهو ينظر إلى الكمان في حجرها، وقال:

- هل أستطيع سماعك تعزفين؟

أومأت بخجل، وقالت بصوت خافت:

- إن كنت ترغب في ذلك حقاً.

أوماً إلياس بحماس:

- بكل تأكيد، أعتقد أن اليوم سيكون من أجمل أيامي.

أخذت سارة الكمان بين يديها كأنها تمسك بقطعة من روحها، ثبَّتته برفق على كتفها، وأغمضت عينيها للحظة، كأنها تهمس لذاتها بأسرار لم تبح بها لأحد. ثم انطلقت أناملها بحذر على الأوتار، وكأنها تلامس خيوطًا من الذكريات، ليبدأ اللحن بالانسياب برقة، يحمل بين نغماته شجنًا عميقًا وصوتًا لا يسمعه سوى القلب.

كان إلياس يراقبها بصمت، يشعر بأن كل نغمة تبوح له بجزء من قصة لم تُكتب بعد. امتزج عزفها بصوت المطر المتساقط بلطف، وكأن الطبيعة كلها تشاركها الحنين. مع كل حركة لقوس الكمان، كان الألم ينساب كجدول هادئ، يحمل معه أحزانًا دفيئة وأحلامًا لم تكتمل.

وحين توقفت، كان الصمت أكثر تعبيرًا من الكلمات. سمعت تصفيقًا ناعمًا من خلفها، فاستدارت لتجد والديها واقفين، والدموع تلمع في أعينهما. كانت

نظرتهما تحمل مزيجًا من الحب والدهشة، وكأنهما
يريان جزءًا من ابنتهما لم يرياه من قبل.

مسح إلياس دمعة أفلتت من عينيه، وقال بصوت
دافئ يحمل الكثير من المشاعر:

- لقد لامست موسيقاك أعماقي، كأنها تخبرني
بحكاية سكنت قلبك لسنوات.

ارتجفت شفتاها بابتسامة خجولة، ثم قالت بصوت
واهن، لكنه مشبع بالسعادة:

- أنا سعيدة؛ لأنها وصلت إليك.

أوماً إلياس بحنان، وقال:

- أتمنى أن أسمع المزيد منك... فموسيقاك قادرة
على التحدث بما تعجز عنه الكلمات.

احتضنت سارة كمانها كأنه ملجؤها الوحيد،
وقالت بهمس:

- الموسيقى عالمي، هي الشيء الوحيد الذي
يمكنه تفسير ما أشعر به.

نظر إليها إلياس بعينين تفهمان أكثر مما تقول،
وسأل بلطف:

- وكتبك؟ هل تمنحك الإحساس ذاته؟

ارتسمت ابتسامة خافتة على شفثيها، ثم رفعت
عينيهما نحوه، وقالت بصوت مبحوح مليء بالشغف:

- الكتب تأخذني بعيدًا عن كل شيء... تجعلني أطلق
خارج حدود هذا الجسد. هناك، بين السطور، أكون
شخصًا آخر... أو ربما كل الشخصيات التي أردت أن
أكونها يومًا.

أغمض إلياس عينيه للحظة، كأنه يستوعب كلماتها
بعمق، ثم قال برفق:

- ربما هذه الشخصيات ليست مجرد هروب، بل هي
مرآة لما تبحثين عنه في داخلك.

شردت سارة قليلًا، كأنها تحاول الغوص في أعماق
أفكارها، ثم قالت بصوت منخفض أقرب إلى الهمس:
- ربما...

ابتسم إلياس، وأراد أن يخفف من وقع الحديث، فقال
بنبرة مازحة:

- حسنًا، أخبريني عن نوع الكتب التي تحبينها، ربما
أجد في مكتبتي كتابًا يشبهك.

نظرت إليه سارة بعيون خجولة، ثم قالت
بابتسامة صغيرة:

- لن أخبرك... أريدك أن تختار لي كتابًا تراه قريبًا
مني، يعكس روحي.

رفع إلياس حاجبه بمكر، وقال وهو يبتسم بثقة:

- آه، يبدو أنك تختبريني، حسنًا، ليكن هذا
التحدي بيننا.

ضحكت سارة بخجل، ثم عادت إلى اللعب بأوتار
كمانها برفق.

كان إلياس يراقب سارة وهي تمرر أناملها بلطف
على أوتار الكمان، وكأنها تستمد منه طمأنينة خفية.
لاحظ أن ذكر نينا قبل قليل أثار اضطرابًا واضحًا لدى

إلين، والآن، أمامه، تبدو سارة أكثر هدوءًا، لكن في عينيها شيء آخر... شيء يشبه الحذر.

تحدث إلياس بصوت هادئ، وعيناه تراقبانها بتمعن:

– هل تحدثتِ مع نينا من قبل؟

توقفت أصابع سارة للحظة فوق الأوتار، ثم نظرت إليه بعينين تحملان مزيجًا من الفضول والتردد.

قالت بصوت منخفض، وكأنها تزن كلماتها:

– قليلًا... أو بالأحرى، هي تحدثت معي.

مال إلياس بجسده قليلًا إلى الأمام، وقال بنبرة مشجعة:

– وماذا قالت لك؟

زمت سارة شفتيها، وأخذت نفسًا عميقًا قبل أن تهمس:

– نينا لا تحب الحديث كثيرًا... هي تراقب أكثر مما تتكلم.

قال إلياس بهدوء:

– تراقب من؟

ترددت سارة للحظة، ثم نظرت إلى الجانب، حيث نافذة الفناء تعكس ضوء المصابيح الخافت.

همست:

– الجميع. لكنها تهتم بلارا أكثر من أي شخص آخر... أحيانًا أشعر وكأنها تلاحقها حتى في أحلامها.

رفع إلياس حاجبه باهتمام، واستند إلى مسند الكرسي، وكأنه يحاول فك شفرة كلماتها.

– هل تخيفك نينا، سارة؟

نظرت إليه سارة لحظة طويلة، ثم أعادت نظرها إلى الكمان بين يديها. لم تجب مباشرة، بل مرت أصابعها على الأوتار بحركة بطيئة، كأنها تبحث عن الإجابة بين النغمات.

قالت بصوت خافت لكنه حاسم:

– لا... لكنها تجعلني أشعر بعدم الارتياح.

همس إلياس بحذر:

– لماذا؟

تنهدت سارة ببطء، وكأنها تحاول العثور على الكلمات المناسبة، ثم قالت:

– نينا... ليست مثلنا. ليست مثل إلين، ولا مثلي. نحن نعيش اللحظة، نُظهر أنفسنا، نرغب في أن نكون هنا. لكن نينا... هي شيء آخر.

نظر إليها إلياس بعمق، محاولاً استيعاب كلماتها، ثم تحدث بهدوء مدروس:

– إذا، أنتِ تعتقدين أن نينا ليست مجرد جزء من لارا؟
ضحكت سارة ضحكة خافتة، لكنها لم تكن ضحكة سعيدة، بل أقرب إلى سخرية حزينة.

همست بنبرة جادة:

– أحياناً أشعر أن نينا هي الأصل... ونحن مجرد ظلال.
ظل إلياس صامتاً للحظة، يستوعب كلماتها الثقيلة.
أخذ ينظر إليها بصمت، وقد أدرك أن هذه الجلسة لم تكشف له فقط عن سارة... وإلين، بل أعطته لمحة

صغيرة عن الغموض الذي يحيط بنينا، وعن السر الذي
ما زال مخفًى بين نغمات غير مكتملة.

في المساء، وبعد يوم طويل مليء بالتحديات، جلس
إلياس مع جون وتانيا في غرفة المعيشة الفسيحة.
كانت رائحة الشاي الدافئ تملأ الأجواء، بعد أن خلدت
لارا إلى النوم. جمعهم مكان واحد، لكن عقولهم كانت
غارقة في عوالم مختلفة.

بالنسبة لإلياس، كان اليوم شاقاً، لكنه لم يكن دون
جدوى. أمضى ساعات طويلة في تحليل شخصية لارا،
يراقبها، يستمع إليها، يحلل ردود أفعالها، محاولاً
كشف خفاياها. نجح في التواصل مع اثنتين من
شخصياتها، لكن نينا ظلت غائبة، ترفض الظهور أو
التفاعل، وكأنها تختبئ خلف جدار غير مرئي. كانت تلك
العزلة المتعمدة تثير قلقه، لكن ما زاد الأمر غموضاً
هو إحساسه العميق بأنها تخفي أمراً أكثر ظلمة مما
يبدو على السطح. منذ اللحظة الأولى التي شاهد

فيها رسوماتها، شعر أن وراءها سرًا غامضًا، لكنه لم يكن يريد استباق الأحداث أو مشاركة شكوكه مع والديها قبل أن يتحقق مما يجول في خاطره.

قطع أفكاره صوت جون وهو يسأل بقلق:

- كيف كان يومك مع لارا؟

أمسك إلياس بكوب الشاي، تأمل سطحه للحظة قبل أن يضعه على الطاولة ويعدّل جلسته. التفت إلى جون، وقال بنبرة جمعت بين الهدوء والثقل:

- بشكل عام، كان يومًا جيدًا. بدأت أتعرف أكثر على صراعاتها الداخلية، وأفهم بعض الدوافع وراء تصرفاتها. تحدثت مع اثنتين من شخصياتها، لكن نينا لم تظهر. أعتقد أنها تحتاج إلى الوقت والثقة... وهذا ما سأعمل على تحقيقه.

توقف للحظة، ثم أضاف بحزم:

- لدي خطة، لكن نجاحها يعتمد على تعاونكم معي. غدًا ستكونون جزءًا من الجلسة العلاجية.

تبادلت تانيا وجون نظرات القلق، قبل أن يسأل جون
بصوت خافت:

- وماذا لو لم تظهر نينا؟ هل هذا يعني أن
الشفاء مستحيل؟

ابتسم إلياس بهدوء، محاولاً طمأنته:

- السؤال ليس إن كانت ستظهر، بل متى. ومع الصبر
والتوجيه الصحيح، سيحين الوقت المناسب، بإذن الله.
نظر إليهما بجدية قبل أن يتابع:

- ما لاحظته هو وجود فجوة عاطفية كبيرة بينكم
وبين لارا. هي لا تشعر بالأمان معكم، بل حتى
شخصياتها الأخرى لا تتقبلكم بسهولة. هذا الجفاء
يجب أن يُكسر، لأن بناء جسر الثقة هو مفتاح التقدم.
خففت تانيا رأسها قليلاً وقالت بتردد:

- لكن... ماذا لو رفضتنا؟ بالكاد تتحمل وجودنا. نينا
تكرهنا، وسارة فقط من تبدي بعض التقبل، أما إلين...
فرايتها اليوم تحقق فينا وكأنها تبني بيننا وبينها

جدارًا لا يُكسر. أشعر وكأننا في متاهة لا مخرج منها.

صمت إلياس للحظة، قبل أن يرفع عينيه ويسأل بجديّة:

- هل لاحظتم أي تصرفات غريبة على نينا؟ أي شيء قد يبدو... غير مألوف؟

ساد الصمت للحظات، وكأن السؤال أيقظ في الأذهان ذكريات لم يجرؤا على مواجهتها. تبادل جون وتانيا النظرات المترددة، وكأنهما يتساءلان إن كان عليهما التحدث أم لا. وأخيرًا، تنهد جون بعمق، وكأنه يحمل ثقلًا كبيرًا، وقال ببطء:

- في الحقيقة... نعم، لطالما كان هناك شيء غريب بشأن نينا.

رفعت تانيا عينيها بسرعة، بدا عليها التوتر وكأنهما يخفيان سرًا لم يكن من المفترض أن يُكشف. لكن إلياس حافظ على هدوئه، منتظرًا أن يسمع المزيد. تابع جون بصوت خافت، وكأنه يخشى أن يسمعه أحد غيرهم:

- نينا كانت أول شخصية ظهرت عند لارا، وكان ذلك عندما كانت في الثامنة من عمرها. لكنها لم تكن مثل باقي الشخصيات... كانت مختلفة، غامضة، ومقلقة. كانت تظهر في الليل فقط، أما في النهار، فتبقى لارا طبيعية تمامًا. كانت تتحدث مع أشياء لا نراها، وتتصرف وكأنها تعلم أمورًا لا يمكن أن يدركها طفل في عمرها. والأسوأ من ذلك... كانت تشعر بقدومنا قبل أن ندخل الغرفة.

ارتفع حاجبا إلياس قليلًا، لكنه بقي محافظًا على هدوئه وسأل بقلق:

- وماذا بعد؟

ازدادت أنفاس تانيا اضطرابًا، وكأنها تحاول مقاومة الذكريات التي بدأت تقتحم عقلها، لكن الكلمات خرجت منها رغما عنها:

- في إحدى المرات، رأيتها تتصرف بطريقة غريبة ومريبة. سألتها لماذا تفعل ذلك، فأشارت إلى زاوية الغرفة، وقالت...: (هم يريدونني أن أفعل ذلك). منذ

ذلك اليوم، بدأت لارا تبتعد عنا شيئاً فشيئاً.

تبادل إلياس وجون نظرات القلق، بينما تابع الأخير بصوت متهدج:

- لارا لم تعد تتحدث إلينا منذ سنوات. حاولت كثيراً التقرب منها، لكن كل محاولاتي باءت بالفشل. كانت تحقق في الفراغ وكأنني غير موجود. في لحظة ما، شعرت أنني أزيد حالتها سوءاً، فقررت أن أبتعد وأترك لها مساحة. كنت أظن أن ذلك سيمنعها بعض الراحة... لكنه كان أكبر خطأ ارتكبته. لقد زادت المسافة بيننا أكثر.

لم يستطع جون كبح دموعه، فانفجر بالبكاء، وكأنه يفرغ سنواتٍ من الألم والندم. وضعت تانيا يدها على كتفه، تحاول تهدئته رغم دموعها التي انسابت بصمت:

- كل ما فعلناه كان بدافع الحب... لكن يبدو أننا كنا نؤذيها بدلاً من مساعدتها.

راقبهما إلياس بصمت، ثم قال بصوت ثابت:

- ما حدث في الماضي لا يمكن تغييره، لكن يمكننا إصلاح المستقبل. الشفاء ممكن، لكن عليكم أن تكونوا جزءًا من الحل. هذه ليست معركة أخوضها وحدي، بل تحتاج إلى تضافر جهودنا جميعًا. تذكروا... (لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها)، ولارا تحتاج إلى أن تشعر أنها ليست وحدها في هذا العالم.

مسح جون دموعه، ثم رفع رأسه، وقال بصوت يحمل بريقًا من الأمل:

- أثق بك، دكتور إلياس... أعلم أنك ستعيد ابنتي إلينا.

ابتسم إلياس بثقة وقال:

- الثقة بالله أولاً، ثم بي. لنبدأ العمل معًا... كل خطوة، مهما بدت صغيرة، قد تُحدث فرقًا كبيرًا.

في صباح اليوم التالي، استيقظ إلياس مبكرًا وتوجه إلى الطابق السفلي. كان صوت احتكاك الأثاث بالأرضيات الخشبية وضوضاء العمال يملآن المكان. في وسط الفوضى، وقف جون وهو يعطي التعليمات

بصوت حازم، محاولاً ضبط كل التفاصيل.

عندما لمح جون إلياس، قال بحماس:

- تعال، ألقِ نظرة!

تقدم إلياس ببطء نحو الغرفة، وملاحم الفضول ترتسم على وجهه. وعندما دخلها، اتسعت عيناه دهشة.

كانت الجدران مزينة بألوان هادئة تنبض بالطمأنينة. كل زاوية من الغرفة حملت تفاصيل مدروسة بعناية، عكست لمسات مستوحاة من شخصيات لارا المختلفة.

تحدث جون وهو يشير إلى الغرفة بفخر:

- خصصت هذه الغرفة لجلساتك مع لارا. أردتها أن تكون مكاناً تشعر فيه بالأمان، مكاناً يعكس عالمها الداخلي.

ابتسم إلياس وقال بودٍّ:

- الغرفة مذهلة، شكرًا لاهتمامك بالتفاصيل. لكن تذكر... الشفاء لا يأتي من الغرف أو الأثاث، بل من

الثقة التي نبنیها معها.

اكتسى وجه جون بالحزن، وقال:

- أعلم ذلك. أردت فقط أن تكون هذه المبادرة بداية
لتصالنا معها... ومع شخصياتها.

رَبَّتْ إلیاس على كتفه قائلاً بنبرة مشفقة:

- أنا ممتن لمبادرتك. أتمنى أن تلامس هذه الغرفة
قلب لارا.

ثم أضاف بحماس:

- والآن... لنجرب جلستنا الأولى في هذه الغرفة.

توجّه إلیاس نحو غرفة لارا وطرق الباب ثلاث مرات.
لم يسمع أي إجابة. جرّب طرق الباب مجدداً، لكن
الصمت ظلّ سيّد المكان. تملّكه شعور غريب، ففتح
الباب بحذر.

ما رآه جعله يتجمّد في مكانه. كانت الغرفة في حالة
فوضى عارمة! قصاصات ورقية متناثرة على الأرض،

والنافذة مفتوحة على مصراعيها، والهواء البارد
يتسلل إلى الداخل. لم يكن هناك أي أثر للارا.

ارتجفت يده وهو يلتقط إحدى الأوراق الملقاة.
كانت مكتوبة بخط مرتجف:

- لا تتعب نفسك أيها الطبيب... لن يُسمح
لها بالشفاء.

قرأ إلياس الجملة أكثر من مرة، وكأن عقله يرفض
استيعاب ما يراه. بدأ يشعر بالاختناق، وكأن الغرفة
تضيق عليه. وضع يده على رأسه، وصاح بأعلى صوته:
- جون!

سمع جون وتانيا صرخة إلياس المنذرة بالشؤم،
فَعَلِمَا أن كارثة قد حدثت في الأعلى. هوت قلوبهما
من مكانها، ولم تحتل تانيا الموقف، فخرّت مغشيًا
عليها، كأنها تحاول الهروب من معرفة ما جرى. أما
جون، فتجمّد مكانه، والكتب التي كان يحملها
تساقطت من بين يديه بلا وعي. حاول التحرك، لكن
قدميه بدتا وكأنهما مقيّدتان، وكأن الأرض تثقل

كاهله.

نزل إلياس مهرولاً، يقفز السلام، شاحب الوجه،
مرتعش اليدين، وأفكاره تتصارع داخله. قال بصوت
أشبه بالزئير:

- لارا هربت من غرفتها! لماذا لم ينتبه أحد
لاختفائها؟

تحرك جون ببطء شديد، وكأنه يحاول التحرر من
القيود التي كبلته، ثم اندفع مسرعاً وكأنه يسابق
الزمن، ليصل إلى الحارس الذي كان يقف وعلى وجهه
الارتباك والخوف. رمقه جون بحدّة، وجسده يرتعش من
شدة غضبه، ثم تحدّث وهو يضغط على أسنانه:

- هل رأيت لارا؟

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

أجاب الحارس بتلعثم:

- لا.

سقط أرضاً بعد أن لكمه جون على وجهه، ثم ركض
كالمجنون يجوب الحديقة، وهو يصرخ بصوت باكٍ:

- لارا... لارا!

كان الجو عاصفًا، والسماء ملبّدة بالغيوم السوداء التي تنذر بالمطر، مما زاد الرعب في قلوبهم. كان إلياس يبحث في الغابة القابعة خلف المنزل، وصوت أزيز الأشجار يملأ المكان، كأنها تتبادل الأسرار مع الرياح.

رأى طيفًا سريعًا يتحرك بين الأشجار، فخفق قلبه بعنف وأخذ يتبعه بسرعة، ثم توقّف فجأة، وهو يلهث بعد سماع صوت أنينٍ منكسر قادم من خلف إحدى الأشجار. تقدّم نحو الصوت بخطوات هادئة، واتسعت حدقاته عندما وجدها جالسة على ركبتها، جسدها النحيل يرتعش كعصفورة مبتلّة، وملابسها الخفيفة بالكاد تحميها من قسوة البرد. كانت تبئنّ بألم.

اقترب منها بخطوات حذرة كي لا تجزع منه، وقال بصوت خافت:

- لارا... لارا.

توقّفت عن الأنين، لكنها لم تلتفت نحوه، وتكوّرت

على نفسها بخوف، كأنها تحاول الاختباء من شيء ما.
جثا إلياس بجانبها على ركبتيه، محافظاً على نبرة
هادئة:

- لارا، هل تسمعينني؟

مدّ يده بتردد، ولمس ظهرها برفق شديد، محاولاً أن
يبعث في روحها الطمأنينة:

- لا بأس... أنا هنا لمساعدتك. أنتِ بخير الآن.

عندما لم يجد منها أي ردّة فعل عنيفة، نزع معطفه
ووضعه عليها، ثم أكمل حديثه:

- هيا، دعينا نعدّ إلى المنزل، والداكِ قلقان عليكِ.

انتفض جسدها، واتسعت عيناها كأنها ترى شيئاً لا
يستطيع أحد رؤيته. هزّت رأسها بقوة، وهمست بصوت
مرتعش:

- إنه قادم... إنه قادم... لن يدعني.

شعر إلياس أن السيطرة بدأت تفلت من بين يديه،
فألقي نظرة خاطفة إلى المكان حوله. كان يشعر

بشيء يتحرك في الظلال، متزامناً مع حركة الرياح
الغاضبة، وكأن الطبيعة تتآمر عليه.

حاول جاهداً محادثتها، لكن حركتها ازدادت عنفاً،
وصوتها ارتفع أكثر، كأنها تغرق في دوامة من
الخوف. للحظة، شعر بالعجز، وكأن الفشل أحكم قبضته
عليه. إلا أن رحمة الله امتدت إليه، فألهمه أن يقرأ
القرآن ليثبت قلبه أولاً ويبدد خوفها. استجمع أنفاسه
وبدأ يقرأ آية الكرسي. كان صوته في البداية مهتراً،
ولكن سرعان ما ثبت وارتفع مع كل كلمة. فجأة، هدأت
الرياح وسكن المكان، وكأن كل شيء حوله يصغي في
خشوع لقوة الكلمات. نظر إليها، وقد سكنت هي
أيضاً، واستقرت أنفاسها، وكأنها غطت في سبات
عميق.

تنفس إلياس بعمق، وكأن الهواء أخيراً وجد طريقه
إلى رئتيه. شعر أن جبلاً ثقيلة قد أُزيحت عن كاهله،
وتتم بصوت مفعم بالامتنان:

-الحمد لله... الحمد لله.

سمع صوت جون الباكي من خلفه وهو يقترب
منهما، وقد خارت قواه وسقط جاثيًا على ركبتيه:

- هل هي بخير؟

وضع إلياس يده على كتف جون المرهق، وقال
بصوت مطمئن:

- الحمد لله، هي بأمان الآن.

رفع عينيه إلى السماء التي بدأت تمطر بغزارة، ثم
حمل لارا بين ذراعيه بصمت، وسار وجون يسير خلفه
بخطوات ثقيلة. كان المطر يغسل أثر الخوف عنهما،
لكن داخلهما كان مليئًا بقلق جديد.

ومع اقتراب خطواتهما نحو المنزل، لمح إلياس تانيا
تراقبهم من النافذة، وقد بهت لونها من الخوف.
ركضت نحوهم بخطوات واسعة، ودموعها تسابق
عبراتها، وقالت بصوت مليء بالرعب ونظراتها
تتفحصها:

- لماذا تحملها؟ هل أصابها مكروه؟

قال لها جون بتعب، ويبدو أنه يتألم:

- إنها بخير، عزيزتي. لقد لطف الله بنا.

عندما دخل إلياس المنزل وهو يحمل لارا، لاحظ كيف أن تانيا وجون كانت أعينهما تتبادل نظرات مرعوبة، وكأنهما يعيشان كابوسًا قديمًا عاد إلى الحياة.

وضع إلياس لارا على الأريكة، ثم نظر إليهما مستفهمًا:

- ما بكما؟ لماذا تبدوان وكأنكما رأيتما شبحًا؟

أجاب جون بسرعة، وهو يخفي ارتجاف صوته:

- إنها فقط صدمة... لم نتوقع أن نجدها هناك.

لكن إلياس لاحظ كيف كان ينظر إلى يديه، وكأنهما ملوثتان بشيء خفي، وكأنه تذكر شيئًا لا يريد مواجهته.

سألت تانيا بصوت مهتز:

- أين وجدتها بالضبط؟

أجابها إلياس، وهو يتأمل ردة فعلها:

- كانت جالسة على ركبتها وسط الغابة، وكأنها
تسمع شيئاً لا أسمع.

عند هذه الجملة، شهقت تانيا بصوت خافت، بينما
عَضَّ جون شفته في توتر.

لكن قبل أن يسأل إلياس المزيد، قالت تانيا بسرعة،
محاولة تغيير الموضوع:

- يجب أن نضعها في سريرها، لا بد أنها مرهقة.
رغم ذلك، شعر إلياس أن هناك شيئاً لم يُقل...
وأنهما يعرفان أكثر مما يظهرانه.

الفصل الثالث



داخل كلِّ شخصٍ مِنَّا عالمٌ آخرٌ غيرُ الذي يُظهرُه.
عالمٌ تسكنه أفكارٌ وأرواحٌ مختلفة، بعضها مُظلمٌ،
وبعضُها مُضيءٌ. هل سألتَ نفسك يوماً: أيُّ
منهما يعكسُ حقيقتك؟

كان إلياس جالسًا في مكتبه، تحيط به سكينة الليل التي لا يقطعها سوى صوته. كان يتلو القرآن بصوت عذب، كأنما يُنشد روحه إلى عالم آخر. شعر بطمأنينة عميقة تغمره، فهو يعلم أن هذه الكلمات التي يرتلها هي الجسر الذي يربطه بالسلام وسط العاصفة، وهي المفتاح لفهم كل ما يدور حوله.

قطع عليه خلوته صوت طرق خفيف على الباب. ختم قراءته بقوله:

- صدق الله العظيم.

ثم أردف بصوت هادئ يحمل طمأنينة اللحظة:

- تفضل.

دخل جون بخطًا مترددة، تعلو وجهه ابتسامة خفيفة، وكأنما يخشى أن يعكر هذا الهدوء. قال معتذرًا:

- هل أقاطعك؟

ابتسم إلياس ابتسامة ودودًا، وقال بصوت مطمئن:

- لا بأس، لقد انتهيت للتو.

وأشار بيده إلى الكرسي أمامه.

جلس جون على الكرسي مترددًا، محاولًا إخفاء التوتر الذي بدا جليًا في عينيه. شبك أصابعه معًا، ثم نظر إلى إلياس وقال بصوت يشوبه الفضول:

- أعتذر إن كان سؤالني في غير محله، لكن... ما الذي كنت تقرأه للتو؟ لقد شعرت بسكينة عجيبة بطريقة لا أفهمها.

توقف لحظة، وكأنه يستجمع شتات أفكاره، ثم أضاف بصوت متردد:

- لقد سمعتك تقرأه في الغابة أيضًا.

وضع إلياس يده برفق على المصحف أمامه، كأنه يكرم كلام الله، ثم رفع رأسه بابتسامة دافئة تحمل في طياتها الاحترام والهدوء. قال بصوت منخفض، مفعم بالسكينة:

- كنت أقرأ القرآن، كتابنا المقدس في الإسلام. إنه كلام الله، وبه نجد السكينة والطمأنينة في كل ظرف.

كانت عينا جون تتسعان ببطء، وتلمعان بشعور غريب
لم يختبره من قبل. بدا وكأنه يحاول استيعاب ما
يسمعه، بينما داخله يتقد بفضول لم يعرفه من قبل.

قال جون بصوت متردد يحمل رجاءً خفيًا:

- هل يمكن... أن تقرأ لي بعضًا منه؟

نظر إليه إلياس بابتسامة دافئة، وقال بصوت حنون:

- بالطبع، سأكون سعيدًا بذلك.

فتح إلياس المصحف بلطف، وأخذ يرتل الآيات بصوت
شجي عميق، كأنه ينبعث من قلب الكون نفسه.
تسربت كلماته إلى أرجاء الغرفة، تنساب برفق، لكنها
تحمل قوة خفية، كأنها تهمس بشيء لا يُرى، تحذّر
من ظلام لا يُلمس، وتُذكّر أن هناك نورًا أعظم
يحميهم.

جلس جون منصتًا، لكنه لم يكن مجرد استماع عادي.
كل كلمة نطق بها إلياس وكأنها تخرق شيئًا بداخله،
شيئًا لم يكن يعلم بوجوده، كأنها تسحب ستارًا كان
مسدلاً منذ زمن. لكنه ما أن سمع إلياس يتلو:

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) الحديد: 16

حتى شعر بقشعريرة باردة تسري في عموده الفقري، وانقباض خفيف في صدره، كأن الكلمات تحرك شيئاً عميقاً بداخله، شيئاً ظلّ صامتاً لكنه لم يمت، أو تلامس جرحاً لم يلتئم رغم مرور الزمن.

نظر إلى يديه، ولاحظ ارتجافة خفيفة. لماذا يشعر بهذا؟ لماذا هذه الكلمات، رغم أنه لا يفهم معناها بالكامل، تجعله يشعر كأنه... يرى نفسه من زاوية أخرى؟ كأنها تطرح عليه سؤالاً لم يطرحه من قبل، أو ربما سؤالاً تهرب منه طويلاً.

في صباح اليوم التالي، كانت لارا مستلقية على سريرها، تحقق في السقف بينما صوت المطر والرعد ينساب بتناغم إلى أذنيها. كان السكون الخارجي ينعكس الضجيج الذي يدور داخل عقلها.

إلين، بصوت مرتعش والكلمات تختنق في حلقها:

- ما حدث بالأمس كان مخيفًا جدًا... شعرت
أننا سنموت.

ثم أكملت بصوت متهدج، وكأنها تحاول
كبت دموعها:

- لا أريد أن أعيش هذا مجددًا.

سارة، بصوت خافت وهادئ، نطقت كلماتها بحذر:

- كان مربكًا للغاية... لكن...

توقفت لوهلة، وكأنها تحاول ترتيب أفكارها،
ثم قالت:

- ما يقلقني هو أن نينا لم تبدُ عليها أي
علامات خوف.

إلين، بصوت يعلوه الغضب:

- نينا؟ بالطبع هي نينا. أنا متيقنة أنها تعرف أكثر
مما تقول لنا.

سارة، بهدوء ظاهري يخفي توترها، لكن داخلها
قلق دفين:

- نينا ليست مثلنا. لقد كانت دائماً... مختلفة. لكنها الآن تبدو أكثر غموضاً، وكأنها تخفي شيئاً.

إيلين، بحدة وارتباك:

- إنها ترفض التحدث مع الطبيب! بل إنها تتهرب منا أيضاً. ألا تلاحظين؟ لم تعد تكلمنا إلا نادراً.

سارة، وهي تفكر بصوت مرتفع:

- أجل... لقد توقفت عن الحديث معنا تماماً، وكأنها تراقبنا فقط. تراقب كل شيء بصمت... وكأنها ليست مجرد شخصية مثلنا، بل شيء أكبر.

شعرت لارا برجفة خفيفة تسري في جسدها، وكأن كلماتهن تضغط على أعصابها. كان قلبها ينبض بعنف، وكأن شيئاً خفياً يحاول الظهور. قالت بصوت متقطع، وكأنها تخشى الإجابة:

- عندما أفقت... وجدت نفسي في الغابة. إذا لم تكن أنتن من أخذني هناك... فمن فعل؟

ساد الصمت للحظات، وكأن الجميع يخشون الحديث

عن الاحتمال الأكثر رعبًا.

سارة، بصوت خافت يتخلله غضب مكتوم:

- أعتقد أنها... نينا. هي من أخذتك.

إلين، بقلق متزايد، وهي تحاول أن تجد تفسيرًا:

- لكن لماذا؟ لماذا تفعل ذلك؟ لماذا تقودنا إلى

أماكن لا نعرفها؟

سارة، بغضب مكبوت تحاول السيطرة على

ارتجاف صوتها:

- ربما لأنها تعرف ما يحدث. أو ربما لأنها جزء مما

يحدث. ربما هي ليست منا أصلًا.

طرق الباب ثلاث طرقات، لينتشل لارا من أفكارها

المشوشة. اعتدلت في جلستها ببطء، وقالت بصوت

مثقل بالضيق:

- تفضل.

دخل إلياس بابتسامته الهادئة الواثقة، التي كانت

دائمًا تحمل شيئًا من الأمل، وقال بصوت ودود:

- صباح الخير.

ردت لارا بصوت خافت بالكاد يُسمع، وكأنها
تخشى الكلام:

- صباح الخير.

نظر إليها إلياس بتمعن، ولاحظ شحوبها والتوتر
الذي يغلف ملامحها، ثم قال بصوت هادئ لكنه محمل
بالاهتمام:

- كيف تشعرين اليوم؟

ترددت لارا للحظة، وكأنها تبحث عن إجابة بين فوضى
أفكارها. امتعضت ملامحها وزفرت بضيق:

- لا أعلم.

ابتسم لها إلياس، وقال مشجعًا:

- أرى أنك أفضل من السابق بكثير.

حدقت في وجهه بنظرات تائهة، ثم أطرقت برأسها
واحتضنت ساقها، وقالت بصوت منخفض:

- لا أعلم... ربما.

اقترب منها، ومدّ يده وهو يبتسم بدفء:

- هيا بنا، أريدك أن تري نفسك في المرآة.

ترددت كثيرًا وهي تنظر إلى يده الممتدة. رفعت
بصرها إلى عينيه، إلى هاتين العينين اللتين شعرت
وكأنهما نافذة أمان وسط العاصفة. أخيرًا، وضعت
يدها النحيلة في يده، وساعدها على النهوض.

سار بها نحو المرآة، وقال بصوت هادئ لكنه عميق:

- انظري إلى نفسك جيدًا، وأخبريني ماذا ترين.

بدأت. تتأمل تقاسيم وجهها الشاحب، وعينيها
الذابلتين، وشفتيها المتشققتين. أغمضت عينيها بآلم
وهمست:

- أنا لست بخير.

وضع إلياس يده على كتفها، وقال برفق:

- هل تريدين التحدث عما حدث بالأمس؟

ترددت لارا، ثم نظرت إلى المرآة مجددًا... للحظة،
لاحظت أن انعكاسها يبتسم بغموض. شهقت وتراجعت

خطوة، عيناها اتسعتا برعب:

- أنا لست وحدي.

غطت وجهها بيديها، بينما ارتعشت أنفاسها.

أراد إلياس الحديث، لكن لارا رفعت رأسها إلى المرأة مجدداً. هذه المرة، كسا وجهها ظلام مخيف، وقالت بنبرة ناهية:

- لن تفهم... بعض الأشياء لا تُقال.

تراجع إلياس خطوة للخلف. للحظة، ظهر الذهول على وجهه، لكنه سرعان ما استعاد ثباته، وقال بصوت ثابت:

- أيّا كان من يتحدث الآن... لن أسمح لك بإيذاء لارا.

ثم أكمل بتحدّ:

- سأصل إليك.

ابتسم انعكاس لارا ابتسامة غامضة، ثم عادت ملامحها الطبيعية سريعاً. خفضت رأسها، وقالت بصوت عادي مليء بالتوتر:

- كل شيء مشوش... أنا لا أفهم.

إلياس، بصوت مطمئن:

- أنا هنا لمساعدتك على الفهم.

اقترب منها، وقال بحزم:

- لكن يجب أن تثقي بي، وتخبريني بكل شيء.

أطرقت لارا برأسها بإذعان. في داخلها، سمعت صوت

إلين يقول: *جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص*

- كلنا سنتعاون مع الطبيب. سنخبره بكل شيء.

بينما كانت تستمع إلى صوت إلين، شعرت بشيء

يتغير داخلها. وكأن يدًا خفية تحاول السيطرة عليها.

فجأة، سمعت صوت نينا بوضوح وهي تقول بغضب:

- هذا الطبيب لن يساعدنا. إياك أن تخضعي لأوامره.

صرخت لارا بصوت مرتجف ومتهدج:

- اخرجي من رأسي!

فجأة، انطفأت المصابيح تمامًا، وغرقت الغرفة في

ظلام دامس. سمعت لارا همسات تحيط بها من كل مكان، همسات مشوشة، لكنها استطاعت التقاط جملة واحدة بوضوح:

- أنتِ لي... دائماً كنتِ لي.

تسارعت أنفاسها بشكل مرعب، وشعرت بضغط غير مرئي على جسدها، كأن شيئاً يحاول السيطرة عليها. في تلك اللحظة، أمسك إلياس بيدها بقوة، وهمس بحزم:

- أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق.

ارتجفت يد لارا، لكنها شعرت بحرارة غريبة تنساب عبر أصابعها، كأن نوراً دافئاً اخترق ذلك الظلام الثقيل. للحظة، سمعت نينا تصرخ داخل عقلها، صرخة طويلة مليئة بالغضب... ثم، فجأة، هدأ كل شيء.

فتحت لارا عينيها ببطء، تشعر بصداع حادٍّ يفكِّك رأسها. أبصرت والدها يجلس بجانبها ووالدتها عند قدميها. تأقّلت المكان بنظرةٍ مضطربة قبل أن تسأل

بصوتٍ خافتٍ مملوء بالخوف:

- أين أنا؟

مسح جون على رأسها برفق، محاولاً تهدئتها:

- أنتِ بأمان الآن، لا تخافي.

حاولت لارا الجلوس بصعوبة، متشبثةً بالغطاء، وألقت
نظرةً متوترةً حولها، ثم تمتعت:

- هذه ليست غرفتي... أريد غرفتي.

اقتربت تانيا منها واحتضنتها برفق،
محاولةً طمأننتها:

- حبيبتي، اهدئي. هذه الغرفة خصّصها والدك
لجلساتك مع الطبيب. لا شيء يدعو للقلق.

نظرت لارا إلى والدها بعينين متوسلتين، ثم همست
بصوت بالكاد يُسمع:

- أين الطبيب؟ أريد إخباره بشيء.

شعرت تانيا بسعادةٍ غامرة، إذ كانت هذه أول مرة
منذ وقت طويل تسمح لارا لهما بالاقتراب منها.

التأثر. التفتت تانيا، وصوتها مختنق بالدموع، وقالت:

- إلياس... إنها تريد التحدّث معك.

كان إلياس يراقبهم من بعيد بصمت. تقدّم بخطواتٍ هادئةٍ نحو السرير، وعندما وصل أمام لارا، قال بابتسامة دافئة ونبرة مطمئنة:

- أهلاً لارا، كيف تشعرين الآن؟

تراجعت لارا قليلاً عن والدتها، وأسندت ظهرها إلى السرير. شعرت برجفةٍ خفيفةٍ تسري في جسدها، وبدأت تضغط على يديها بقوة. بعد لحظةٍ من الصمت، همست:

- أعتقد أن نينا هي من أخذتني إلى الغابة.

تفاجأ جون، وفتح فمه ليتحدّث، لكن نظرةً حادّةً من إلياس جعلته يصمت فوراً. جلس الطبيب على كرسيٍّ قريب، ثم قال بهدوء:

- وكيف عرفتِ أنها نينا؟

ازداد توتر لارا، وارتجف صوتها وهي تجيب:

- تحدّثت مع إلين وسارة... وأخبرتاني بذلك.

رفع إلياس حاجبيه ببطء، ثم سألها بنبرة عميقة
تخفي اهتمامًا بالغًا:

- تحدّثت معهما؟ مع أصواتك الداخلية؟

أومأت لارا برأسها بخوف:

- نعم.

توقف إلياس للحظة، كأنه يزن كلماته، ثم
قال بلطف:

- هل يمكنني التحدّث إلى إحداهن الآن؟

تردّدت لارا، لكنها بعد لحظاتٍ، أغمضت عينيها وقالت
بصوتٍ منخفض:

- بالطبع...

بدا وجه لارا مختلفًا فجأة. ملامحها تحوّلت من التوتر
إلى الثقة والغضب. جلست باستقامة، ورفعت رأسها
بشموخ. بدأت بتعديل شعرها وملابسها بإيماءاتٍ تنمُّ
عن استياء.

ابتسم إلياس ابتسامةً صغيرة، وقال بهدوء:

- مرحبًا، إلين.

ردّت إلين بابتسامةٍ عذبة، رغم استيائها الواضح:

- مرحبًا بك.

اقترب إلياس قليلًا، وسأل بنبرةٍ جادة:

- أخبرتني لارا أنك تحدّثتِ معها ومع سارة عن نينا،

هل هذا صحيح؟

تلاشت ابتسامة إلين، وحلّ محلّها قلقٌ واضح:

- نعم، تحدّثنا جميعًا، ونحن متفقات على أن هناك

خطبًا ما بها.

سألها إلياس وهو يراقبها بتركيز:

- وما هو هذا الخطب؟

أجابت بصوتٍ متوتر:

- نينا تعرف ما حدث في الغابة. لقد كانت هادئة

جداً، وكأنّها تعلم بما يجري، بينما نحن كنا خائفات.

توقّفت قليلاً، ثم أردفت بصوتٍ يكسوه القلق:

- أعتقد أنها متحالفة معهم.

جاء صوت جون محمّلاً بالدهشة:

- متحالفة؟! مع من؟

إلين، بصوتٍ مليءٍ بالرّيبة:

- لا أعرف... لكنها مختلفة دائماً. لأول مرة نشعر

أنها ليست معنا، بل ضدّنا. حتى إنها توقفت عن
التحدث معنا.

أمسكت تانيا بيد لارا، وقالت بخوف:

- لكن نينا جزءٌ منك، أليس كذلك؟ هل يمكن
أن تؤذيك؟

إلين، بصوتٍ خافت:

- ربما... وربما لا. نحن لسنا واثقات.

تنهد إلياس بعمق، وقال بصوتٍ يحمل حذراً:

- إذا كانت نينا ترفض التحدث معي، وتوقّفت عن

الحديث معكن أيضًا، فهذا يعني أن لديها أسبابها الخاصة... ربما تشعر بالخطر، أو ربما هي مصدر الخطر.

عمّ الصمت المكان، وغرق كلُّ في أفكاره. فجأةً، تحوّلت أنظار الجميع نحو لارا، وهي تُمسك بورقةٍ وقلم، وترسم خطوطًا متشابكةً ومتتاليةً بسرعةٍ غريبة. اتسعت عيناها برعبٍ مع كلِّ خطٍّ تخطّه، وجسدها يهتزُّ كأنَّ قوّةً خفيّةً تدفعه.

حاول جون الاقتراب منها، لكنَّ إلياس أشار إليه بيده كي يتراجع. ظلّوا جميعًا مشدوهين، إلى أن رمت لارا القلم بعنف، ثم رفعت الورقة نحوه بيدٍ مرتعشة، فيما كانت تلهث كما لو أنها عادت تَوًّا من سباقٍ طويل.

اقترب إلياس بحذر، والتقط الورقة من يدها. حلق فيها بدهشةٍ، وقد بدا له كأن تلك الرسومات خرجت من كابوسٍ مخيف. التفت نحو لارا، وقال بصوتٍ خافتٍ مفعمٍ بالذهول:

- من أنتِ؟

جاء ردُّ لارا بصوتٍ لا يُشبه صوتها إطلاقًا، بدا أقرب

إلى فحيحٍ شيطاني:

- أنا مَنْ سيوقفك... أنتَ وتلك الكلمات التي تتلوها كلَّ ليلة.

ارتسمت ابتسامةٌ صغيرة على شفتي إلياس، لكنَّ عينيهِ لم تُخفيا نظرة التحدي. وضع يده على رأسها، وقال بنبرةٍ ساخرة:

- إذًا، كلماتي أثَّرت فيكم؟

هزَّت رأسها بعنفٍ، كأنها ترفض لمسه، لكن إلياس ثبَّتَها بيده بحزمٍ، وتنفس بعمق وهو يردد بصوتٍ منخفض:

- بسم الله الرحمن الرحيم...

بدأ بتلاوة بعض الآيات، فازداد ارتعاش لارا، واشتدَّت مقاومتها، لكن صوته راح يعلو تدريجيًّا، كأن الكلمات تُثقل حركتها أكثر فأكثر. فجأة، أطلقت صرخةً مدوِّية، ثم سقطت مغشيًّا عليها.

تفقد إلياس نبضها وأنفاسها بخوفٍ واضح، فبدا

أنها قد وقعت في نومٍ عميقٍ أقرب إلى الإغماء. زفر
إلياس بارتياح، بينما تبادل جون وزوجته تانيا نظراتٍ
مرعوبة. تقدّم جون بخطواتٍ متردة والتقط الورقة
التي سقطت على الأرض. ما أن وقعت عيناه على ما
كُتب فيها حتى شعر بدوارٍ شديد، فترنح إلى أقرب
كرسي ورمى بنفسه عليه. هزعت تانيا نحوه وهي
تمسك بيده:

– ماذا بك؟!

ناولها جون الورقة على الفور، فانتزعتها بسرعة.
اتسعت عيناه بذهول قبل أن تصرخ:

– يا إلهي... كيف عرفتُ هذا؟!

بدأت تانيا ترتجف وهي تحدّق في المكان برعب، ثم
همست بصوتٍ مدعور:

– لكن... ذلك الشيء... كيف عرف أنها انتحرت؟!

في تلك اللحظة، تقدم إلياس وانتزع الورقة من يد
تانيا، محدّقًا فيها بعينين تضيقان شغًا. قال بصوتٍ
متوجس:

- ماذا رأت لارا في هذه الرسمة؟

تنهد جون بعمق، وقد ثقل صدره بالحزن. أخذ الورقة مجدداً وحدّق فيها طويلاً حتى انهمرت دموعه الحارقة عليها.

زفر إلياس بضيق، ثم قال بنبرة حادة:

- أريد معرفة الحقيقة وراء هذه الرسمة.

مسح جون دموعه بضعوبة، ثم أشار بإصبعه المرتعش إلى الرسم، وقال بصوتٍ متحشرج:

- المرأة المشنوقة على جذع الشجرة... إنها...
والدة لارا.

اهتز صوته قبل أن يضيف بصوتٍ متهدّج:

- لقد... انتحرت.

خيّم صمت ثقيل على الغرفة بعد كلماته، إلا أن نظرة إلياس لم تكن هادئة. حدّق بهما بعينين متجمّدتين، وكأن عقله يعيد تحليل كل شيء من جديد. فجأة، أطلق ضحكة قصيرة، لكنها لم تكن ضحكة مرح، بل

امتلات بالمرارة والسخرية.

هزّ رأسه ببطء وهو ينظر إلى جون وتانيا، نظرة جعلتهما يتلعان ريقهما بقلق. ثم، فجأة، ضرب الطاولة بقبضته، مُحدثًا صوتًا مدويًا جعل تانيا تنتفض في مكانها، بينما أشاح جون بوجهه. التمعت عينا إلياس بالغضب وهو يقول بصوتٍ خفيض، لكنه مشحون بالاحتقار:

- كيف تجرؤان على إخفاء أمرٍ كهذا؟! كنتما تشاهدانني وأنا أبحث عن الحقيقة، بينما أنتما تعرفانها منذ البداية؟!

تحرك ببطء، ثم التقط الورقة من يد جون وحدّق فيها طويلاً قبل أن يرفع نظره إليهما، وعيناه تقدحان ازدراءً.

ارتجفت نظرات تانيا وهي تحدّق في إلياس بعينين مغمورتين بالذنب. وضعت يدها على فمها، وامتلات عيناها بالدموع، لكنها لم تحاول الدفاع عن نفسها. كانت يداها ترتجفان وهي تهمس بصوتٍ مكسور:

- لارا لا تعرف شيئاً عن موت والدتها... أخبرناها أنها توفيت في حادث سير. لم نخبرك أيضاً، لأننا ظننا أن إخفاء الحقيقة هو الأفضل... كنا نريد حماية لارا... كنا خائفين.

أخذت تفرك يديها بتوتر وهي تضيف:

- لكن... ذلك الشيء... كيف عرف أنها انتحرت؟!

شعر جون بأن أنفاسه تتسارع، وكأن جدران الغرفة تضيق عليه. تراجع خطوة إلى الوراء، ثم همس بصوت بالكاد يُسمع: جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

- نحن آسفان... كنا نظن أن إخفاء ماضي والددة لارا هو الصواب، خشينا أن تسأل عن شيء لا نستطيع إدراكه... لكننا كنا مخطئين طوال الوقت.

مرر إلياس يده على وجهه بضيق، ثم التفت إلى جون بحدة:

- لماذا... انتحرت والدتها؟

غامت نظرات جون، وكأنها حملته إلى الماضي

البعيد. شحب وجهه بطريقة مخيفة، وارتجفت يداه
بينما انعكست على ملامحه صراعات داخلية مريرة.
شعرت تانيا باضطرابه، فوضعت يدها على كتفه برفق،
كما لو كانت تحاول انتشاله من دوامة الذكريات.

انتبه جون بعد لحظات، وقال بصوتٍ متألم، كاشفًا عن
جراحٍ قديمة لم تندمل:

- كانت حياتنا أجمل ما يكون... تزوجنا وعشنا هنا
أجمل أيامنا. رُزقنا بلارا وكنا في قمة السعادة.

رفع نظره نحو تانيا، وعيناه تغرقان بالدموع:

- حتى تانيا تشهد على ذلك.

زحّت تانيا شفتيها المرتعشتين، بينما هربت دمعة
عصيّة من عينيها لتتبعها أخرى. هزّت رأسها تأكيدًا
لكلامه، فيما تابع جون، وهو يمسح دموعه:

- لكن بعد سنواتٍ من الحياة السعيدة، انقلبت حياتنا
رأسًا على عقب خلال شهرٍ واحد. بدأت زوجتي تتغير
تدريجياً... صارت تحدث نفسها كثيرًا، وتجلس طوال
الليل أمام المرأة... وأحيانًا أجدها عائدةً من الغابة في

تنهد بعمق وكأنه يعيد فتح جرحٍ غائر:

- حاولتُ كثيرًا أن أفهم ما تمرّ به، لكنها كانت تراوغ
وتخفي الحقيقة. الأطباء قالوا إنها تعاني من انفصام
الشخصية... لكنها بدأت تكرهني، وكأنني عدوها
اللادود. أهملت لارا، بل وصارت قاسيةً عليها. وعندما
كنت أعود من عملي، أجد آثار تعذيبٍ على جسد
طفلي الصغيرة.

شعر بضيقٍ شديد، وتابع بصوتٍ يقطر ألمًا:

- عندها أدركتُ أن الأمر خرج عن السيطرة. اتصلت
بتانيا، فهي صديقة كاميلا الوحيدة منذ الطفولة، ولارا
تحبها كوالدتها. ظننت أنها قد تساعدني على فهم
ما عجزتُ عن إدراكه.

وضع جون رأسه بين يديه من شدة الإرهاق، فتدخّل
إلياس بهدوء:

- دع تانيا تكمل عنك.

هزّت تانيا رأسها موافقةً، وقالت بصوتٍ عميقٍ يحمل
معاناةً لا يعلمها إلا الله:

- عندما سمعت بما حلّ بكاميلًا، شعرتُ بأسى شديد،
وقررت أن أقف بجانبها مهما كلفني الأمر. استقلتُ
أول رحلة، وجئتُ إلى هنا.

تنفست بعمق قبل أن تسترسل:

- عندما دخلت منزلهم، ذهلتُ مما رأيته... كاميلًا
كانت تحمل سكينًا، وجون يحتضن لارا محاولًا حمايتها
منها. صرختُ برعب: (كاميلًا! ماذا تفعلين؟!) فسقطت
السكين من يدها، واستدارت نحوي مبتسمةً بلهفة، ثم
اقتربت وعانقتني.

توقفت للحظة، وكأنها تستعيد صورةً مؤلمة، قبل
أن تتابع:

- لبرهة، شعرتُ أن صديقتي لا تزال بخير... لمستُ
وجهها الذابل بدهشة. كيف تغيّرت بهذه الصورة
المخيفة؟! منذ شهرين فقط، كنا نحتفل بعيد ميلاد لارا
السابع، وكانت كاميلًا مليئةً بالحيوية. همستُ لها:

- لماذا أصبحت بهذا النحول والذبول؟!

فأجابتنى بصوتٍ مبحوح:

- هم يريدونني هكذا.

وحين سألتها: من هم؟ لم تُكمل... فقط ضحكت ضحكةً هستيرية جعلت لارا تبكي برعب، وكأنها تحاول إخماد ضحكات أمها العالية.

فجأة، قطع حديث تانيا صوت لارا المذعور وهي تصرخ:

- لا... لا... لا، لا أريد أن أتذكر الماضي!

اندفع إلياس نحوها محاولاً تهدئتها، غير أن بكاءها أخذ يتعالى شيئاً فشيئاً حتى اهتزت أركان المنزل تحت وطأة صرخاتها.

بعد أن أرخى الليل سدوله، وخبّ السكون على المنزل باستثناء صوت الرياح التي تصفع الأبواب والنوافذ كما لو كانت تحذر من أن الهدوء مستحيل

هنا... كان إلياس يسير وسط الغابة ممسكًا مصباحًا
يدويًا يوجّهه صوب طريقٍ ترابيٍّ أمامه.

لم يكن يسمع سوى وقع خطواته الحذرة على
الأوراق اليابسة، وحفيف الأشجار بفعل الرياح، وضير
الحشرات الذي يزيد المكان رهبةً وغموضًا. كلُّ شيء
حوله موحشٌ، لكنه شعر بأن الغابة تختزن الكثير من
الأسرار.

في أثناء تقدّمه، لاحظ رموزًا متشابهةً متناثرة على
جذوع الأشجار، وكأنها خيوط لغزٍ كبيرٍ يربط بين كلِّ ما
يُحيط به. حتى بلغ شجرةً عملاقة، فرفع مصباحه ليجول
حولها، وتوقّف خلفها تمامًا. اتّسعت عيناه بعجزٍ عن
التصديق، حين رأى جذعًا كُثّا حُفرت فيه رموز غريبة،
تشبه ما رسمته لارا.

ثبت المصباح بين شفّتيه، وبدأ يبحث في جيوب
بنطاله بيدين مرتعشتين. أخرج ورقة لارا، وفتحها
متفحّصًا الرموز بعينين متوتّرتين. همس في نفسه:

- إنها الشجرة التي انتحرت عندها والدّة لارا.

اقترب ولمس أحد الرموز بحذر، فباغته فحيحٌ مخيفٌ
يتسرّب إلى أذنيه:

- لقد كشفت سرّنا... والآن حان موتك أيّها الوضيع...
شقّ الرعد السماء فجأة، فاهتزّ قلبه في صدره
وتقطّعت أنفاسه. ثم تلاشى كلّ شيءٍ دفعةً واحدة.
فتح إلياس عينيه ببطء، فوجد نفسه على سريرهِ وسط
عرقٍ بارد. أدرك أنه كان كابوسًا، فشقق مرتاحًا وهو
يتمتم:

- يا إلهي... ما هذا الحلم؟!

نهض من فراشه واتّجه للوضوء، ثمّ وقف يصلي
بخشوع. وما أن فرغ، حطّ جبهته على سجادته، وناجى
ربّه بصوتٍ يملؤه الرجاء:

- يا رب، غارت النجوم ونامت العيون، وأنت الحيّ
القيّوم الذي لا تأخذه سنةٌ ولا نوم. يا حيّ يا قيّوم،
كُنْ معي في هذا المنزل، وهبني القوّة والثبات،
وألبسني الإيمان لأعالج تلك الفتاة. احمني ومَنْ معي
من شرّ الشياطين وتمردها، فأنت خالقهم، والقادر

وحدك على كفّ عبثهم.

ما أن انتهى من دعائه حتى شعر وكأن كيأنا غاضبًا
يجتاح المكان بقوة، إذ سقط رّف الكتب بعنفٍ شديد،
كأنّ يدًا خفيّةً تريد تحذيره من المضيّ في دعائه. غير
أنّ ذلك منح إلياس ثقةً أكبر، فأحسّ أن الله معه ولن
يخذله.

ارتسمت على وجهه ابتسامة هادئة، وقال بصوتٍ
عالٍ مليءٍ بالتحديّ:

- لن توقفني حركاتكم التافهة. لستُ ضعيفًا ما دام
الله معي، وكلمات القرآن تُزلزل عروشكم.

أخذ نفسًا عميقًا، وبإيمانٍ وثقةٍ عاليةٍ بأن الله
سينصره، بدأ يتلو سورة الفلق. ارتفع صوته تدريجيًا،
فتذبذبت أنوار المنزل بشدّة، وسمع كأن صراخًا مكتومًا
يجتاح الأجواء، يُلقي بثقله على طاقة المكان.

توقفت الأضواء عن الوميض، وعمّ المنزل هدوء
ثقيلٌ، قطعه صوت ارتطام عنيف أمام باب غرفة إلياس.
هرع نحو الباب، فتحه بقلق ليجد لارا ملقاة على الأرض،

بلا حراك.

ركضت تانيا وجون نحوها في حالة من الهلع. قالت
تانيا، وصوتها يرتجف:

- ما الذي يحدث في هذا المنزل؟!

ثم شهقت وهي تقترب من لارا، وتضع يدها
على وجهها:

- يا إلهي... ماذا حدث لها؟!

وقف جون خلفها، وحدث في إلياس بحدة، وصوته
يموج بالغضب والخوف:

- تحدث أيها الطبيب الفاشل! ماذا فعلت؟!

رفع إلياس رأسه ببطء، ملامحه متجمدة من الصدمة
والغضب. حدّق في جون بعينين تقدحان شرراً، وقال
بصوت منخفض، لكنه مليء بالسخط:

“ماذا قلت؟”

شعر جون فجأة بالارتباك، وكأن الكلمات خرجت منه
دون وعي. فرك وجهه بيده، وأخذ نفساً عميقاً، ثم

قال وهو يخفض رأسه:

- أنا... آسف. لا أعلم كيف قلت ذلك.

تجاهل إلياس الاعتذار، وتمتم بغضب مكتوم، وهو
يحدق في جون:

- إذاً بدؤوا بالتلاعب بعقله... يريدون زرع
الفوضى بيننا.

ثم قال بصوت مسموع، وهو ينحني نحو لارا:

- تعال، ساعدني في حملها.

اقتربا من لارا لرفعها، لكنها فجأة فتحت عينيها،
ونظرت إليهم نظرة حادة، عقدت حاجبيها وقالت بصوت
بارد:

- أنا سارة.

تراجع الجميع للحظة من وقع المفاجأة. سألتها
إلياس، وهو يساعدها على النهوض:

- سارة، هل تتذكرين ما حدث؟ هل شعرت بشيء
غير طبيعي؟

سارت سارة نحو الأريكة، وجلست عليها ببطء. أخذت
نفسًا عميقًا، ثم قالت بنبرة هادئة:

- شيء أشبه برياح عنيفة، كانت تتنقل بسرعة،
وكأنها تحاول الهرب. عندما بدأت تتلو تلك الكلمات،
شعرنا بشيء يتحرك داخل لارا. كان أشبه برياح عنيفة،
تتنقل بسرعة جنونية، وكأنها تحاول الهرب.

توقفت قليلًا، وكأنها تحاول استجماع أفكارها،
ثم أضافت:

- كانت إلين تبكي بشدة، بينما كانت لارا تتلوى على
الأرض من شدة الألم. أما نينا...

قاطعها إلياس بقلق: جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

- لكن نينا ماذا؟

ردت سارة بتفكير عميق، وعيناها تنظران إلى الأفق:

- نينا لم يكن لها أي أثر. اختفت تمامًا.

بدت الصدمة على وجه تانيا، فجلست بجانب سارة
وأمسكت بكتفها، قائلة برعب:

- نينا كانت دائماً تحميها... لماذا تغيّرت؟!

لكن جون بدا وكأنه في عالم آخر، يتأمل السقف بعينين شاردتين.

تجاهل إلياس حالة جون مؤقتًا، وركّز على سارة، سائلًا:

- وكيف وصلت لارا إلى باب غرفتي؟

ردت سارة بابتسامة غريبة، وتحولت نبرتها إلى شيء من المرح:

- أعتقد أن لارا كانت تنوي قتلك.

ثم أطلقت ضحكة قصيرة.

تغيّرت ملامح إلياس فجأة، وقال بحدة:

- إلين؟

اختفت ابتسامتها على الفور، وقالت بصوت جاد:

- نعم، أنا هنا. ما مررنا به اليوم كان مخيفًا جدًا. لكن

الأكثر رعبًا هو اختفاء نينا.

جلس إلياس أمامها، مستجمعًا أفكاره، وسأل:

- أين تعتقدين أنها ذهبت؟

بدأت إلين تلعب بطرف شعرها بتململ، ثم قالت بثقة:

- نينا قوية جدًا، أقوى منّا جميعًا. لا أحب أن أمدحها، لكنها ليست شريرة. ربما اعتقدنا في البداية أنها متحالفة مع تلك القوى، لكنني لا أظن ذلك الآن. أعتقد أنها خائفة... لأنها تعرف أشياء نخشى حتى التفكير فيها، وسبب اختفائها هو أن شيئًا ما يمنعها.

قاطعتها فجأة سارة، وقد تغيرت نبرتها لتصبح أكثر هدوءًا:

- معك حق، يا إلين. أعتقد أنها تخشى ذلك الشيء الذي تحرك داخل لارا. منذ وصولك، شعرت أن الأمور لن تكون على ما يرام... ربما لأنك مختلف عن كل طبيب عرفناه.

تنهد إلياس، وقال بحيرة:

- لماذا لا نتحدث معي؟ ربما أستطيع مساعدتها.

ردت سارة بنبرة خافتة لكنها ثابتة:

- أتمنى... إن كانت تسمعنا الآن، أن تظهر...
لنساعد بعضنا بعضًا.

قطع حديثهم صوت جون، الذي كان يحملق في
السقف ويتمتم بكلمات غير مفهومة. اهتزت تانيا
بعنف وهي تهزه وتقول:

- جون! انظر إليّ! ما بك؟!

نهض إلياس بسرعة، وأمسك بيدها ليهدهئها، وقال:
- دعيه لي.

لكن ما أن حاول وضع يده على رأس جون لتهديئه،
حتى انقض عليه الأخير بعنف، وأحاط عنقه بيديه
محاولًا خنقه. صرخت تانيا:

- لا! أبعد يديك، ستقتله!

كانت قوة جون هائلة، وكأنها ليست له، مما جعل
إلياس يواجه صعوبة بالغة في فك قبضته.

في تلك اللحظة، نهضت سارة مذعورة، وركضت نحو المكتب تبحث عن الكتاب الذي يتلو منه إلياس. عندما وجدته، أمسكته بلهفة، لكن لغة الكتاب كانت غريبة عليها. أخذت تبحث بين الكتب الأخرى حتى وجدت كتابًا مكتوبًا عليه "القرآن"، بنفس لغة الكتاب الذي يقرأ منه وبلغتهم.

شعرت بشيء غريب يجذبها إليه، ففتحته وبدأت تقرأ بصوتٍ مرتجف.

ما أن ارتفعت كلماتها حتى ارتخت يد جون، وسقط مغفًى عليه على الفور. التفت إلياس نحو سارة بعينين مليئتين بالدهشة، لكنه تجمد عندما رأى ملامحها وقد غابت عن عالمهم. كانت تقرأ الآيات بتمعن، وكأنها تفهم شيئًا عميقًا لم يعهده أحد.

بينما كانت الكلمات تخرج من شفتيها، شعرت بدفع يسري في جسدها، وكأن الضوء يتسلل إلى كل زاوية مظلمة داخلها. لم تكن الكلمات مجرد حروف، بل كانت حياة تنبض.

هَذَا الْمَكَانَ تَدْرِيجِيًّا، وَكَأَنَّ صَدَى الْكَلِمَاتِ طَرَدَ كُلَّ ظِلٍّ مُتَرَبِّصٍ. أَمَّا جُونُ، فَقَدْ اسْتَعَادَ وَعِيَهُ ببطءٍ،
نَظَرَاتِهِ تَائِهَةٌ لَكِنَهَا مَشْبَعَةٌ بِالْهَدْوِ.

تَرَجَعَ جُونُ إِلَى الْخَلْفِ، جَسَدُهُ يَرْتَجِفُ وَيَدَاهُ تَرْتَعِشَانِ
وَهُوَ يَحَاوِلُ اسْتِيعَابَ مَا حَدَثَ، ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ مَبْحُوحٍ:

– مَاذَا... مَاذَا فَعَلْتُ؟

التَفَتَتْ إِلَيْهِ تَانِيَا بِعَيْنَيْنِ يَمْلَأُهُمَا الذَّعْرُ
وَالْغَضَبُ، وَصَاحَتْ:

– كَدْتُ أَنْ تَقْتُلَ الطَّيِّبَ!

اتَّسَعَتْ عَيْنَا جُونٍ بِدَهْشَةٍ، وَكَأَنَّهُ بَدَأَ يَدْرِكُ فِدَاحَةَ مَا
حَدَثَ، وَتَمَتَّمَ بِخَوْفٍ:

– لَا... لَا أَذْكَرُ شَيْئًا. مَاذَا فَعَلْتُ؟

تَدَخَّلَ إِلْيَاسٌ قَبْلَ أَنْ يَتَصَاعَدَ التَّوْتَرُ أَكْثَرَ، فَرَسَمَ
ابْتِسَامَةً هَادِئَةً، لَكِنَهُ لَمْ يَخْفِ قَلْقَهُ، وَقَالَ:

– اهِدَّؤُوا جَمِيعًا، كُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ السَّيْطَرَةِ الْآنَ.

ثُمَّ حَوَّلَ بَصَرَهُ نَحْوَ سَارَةِ، الَّتِي كَانَتْ مَا تَزَالُ فِي

مكانها، غارقة في قراءة المصحف بصوت منخفض.
ناداها بصوت ثابت:

- سارة، أرجوك... تعالي هنا.

رفعت سارة رأسها ببطء، أغلقت المصحف برفق
وكأنها تخشى أن تُغلق معه ما شعرت به للتو، ثم
تقدمت بخطوات بطيئة نحوهم.

تنفس إلياس بعمق، ثم قال بصوتٍ جاد يحمل ثقل
ما سيقوله:

- أعتقد أن هذا المنزل مستحوذ عليه من قبل
شيطان. وهذا الشيطان... ليس جديداً هنا. إنه ذاته
الذي كان مع كاميللا.

ساد صمت ثقيل، وكأن الكلمات كانت كافية لإثارة
الذكريات المؤلمة. تبادل جون وتانيا نظرات مليئة
بالخوف، وكأنهما يعودان بذاكرتهما إلى مكانٍ حاولا
نسيانه. أخيراً، تمتعت تانيا بصوتٍ مرتجف:

- لا... لا نريد سماع المزيد، أرجوك.

هزّ جون رأسه موافقًا، وعيناه الواسعتان تفضحان
رعبه العميق.

نظر إلياس إليهما بدهشة متزايدة، وقال بنبرة تنم
عن فضول حذر:

– انتظرا لحظة... هل كنتما تعرفان أن هناك
شيطانًا هنا؟!

رفع جون رأسه أخيرًا بعد لحظات من الصمت، وجهه
مرهق وعيناه محاطتان بهالاتٍ داكنة. تنهد بعمق، ثم
قال بصوت ثقيل:

– نعم... كنا نعلم.

ثم أطرق برأسه مجددًا، وكأن ذكرى الماضي أعادت
فتح جراحه القديمة، وأردف بصوت منخفض مليء
بالندم:

– لكننا لم نكن نعرف كيف نتعامل معه.

يدا القلق واضحا على وجه إلياس، لكنه انتظر بصبر
أن يكمل جون حديثه. نظر الأخير إلى تانيا، التي بدت

وكأنها تغرق في ذكرياتها، ثم أضاف:

- بعد وصول تانيا بأيام قليلة، بدأنا نبحث عن تفسير لما تمر به كاميلا. كانت تانيا مقتنعة بأن ما أصابها ليس مرضًا نفسيًا. بعد البحث، وجدنا أن الأمر قد يكون تلبسًا شيطانيًا. كانت كاميلا تحفر رموزًا غريبة على يدها، وعندما كنا نسألها عن السبب، كانت تقول: (هم يريدون ذلك).

صمت للحظة، ثم تابع بصوت يشوبه الأسى:

- لم أجد حلًا سوى الاتصال بقسيس ليترد تلك الروح الشريرة. بعد يومين من مكالمتي، أتى القسيس، لكنه كان مترددًا للغاية. حاولت طمأنته وألححت عليه، حتى وافق على مساعدتنا.

ابتلع جون ريقه بصعوبة، وأخذ نفسًا عميقًا، ثم قال:

- دخل القسيس المنزل، وبدأ يرش الماء المقدس في كل أركانه. وعندما وصل إلى غرفة كاميلا، وجدناها تنتظره بابتسامة غريبة. ما أن بدأ بقراءة كتابه وسكب عليها الماء، حتى بدأت تصرخ بطريقة لم

أسمعها من قبل. استمر في القراءة حتى أغمي عليها، ثم قال لنا إنها بخير الآن.

ارتسمت ابتسامة حزينة على وجه جون، لكنه لم يستطع حبس دموعه، وأكمل:

- كانت تلك الليلة هادئة بشكل غريب. غطت كاميلا في نوم عميق، كأنها تعوض عن كل ليالي الأرق التي عاشتها.

ثم أردف وهو يحاول أن يسيطر على صوته المرتعش:

- في الصباح، استيقظت كاميلا وكأنها عادت إلى ما كانت عليه من قبل. كانت سعيدة، تتحدث بلا توقف. احتضنت لارا وقبلتها، وأخبرتنا أنها ستطهو لنا أشهى الأطعمة. كان ذلك أجمل يوم عشناه منذ فترة طويلة.

لكنه توقف فجأة، وكأن الكلمات خانتته.

تدخل إلياس بحذر، وقال:

- وماذا حدث بعد ذلك؟

فجأة، جاء صوت لارا، مرتجفًا لكن واضحًا:

– عندما حلّ الظلام... انقلب كل شيء.

التفت الجميع نحوها بدهشة. لأول مرة، تشارك لارا

في الحديث عن الماضي.

قال إلياس بلهفة، وهو ينظر إلى لارا:

– ماذا حدث في تلك الليلة، يا لارا؟

أخذت لارا نفسًا عميقًا، ثم قالت بصوت مكسور:

– كنت خائفة. لم أستطع النوم، فبقيت مستيقظة...

لكن لارا أكملت، وكأنها غير قادرة على التوقف:

- تسلقت الشجرة بخطوات ثابتة، أمسكت الحبل

الكبير، ولقّته حول رقبتها. أردت أن أصرخ، أن أجري

نحوها، أن أمنعها، لكنني شعرت بسواد يغمرني. لم

أستيقظ إلا بين ذراعي تانيا.

نظر إلياس إلى تانيا وجون، اللذين بدت على

وجهيهما ملامح الذهول والصدمة. قال إلياس بصوت

خافت لكنه حازم:

- هل وجدتما لارا في الغابة؟

هزّت تانيا رأسها بالنفي، ودموعها تنهمر بغزارة:

- لا. عندما عادت الشرطة بجثة كاميلا، عدت مسرعة لأطمئن على لارا. وجدتها في غرفتها تهذي وتبكي بسبب الحمى. لم نخبرنا بما حدث، وظننت أن حالتها بسبب حزنها على والدتها.

صمتت للحظة، ثم أضافت وهي تغرق في بكائها:

- لم نكن نعلم... لم نكن نعلم شيئاً.

جلس جون بهدوء على الأرض، مغمضاً عينيه، كأنه يحاول أن يستوعب كل شيء دفعة واحدة. بعد لحظات، فتح عينيه، ونظر إلى لارا، وقال بصوت مرتجف، وهو يحدث نفسه:

- لقد كانت طفلة... كيف لم أعلم أنها عرفت...

كيف... كيف؟

ثم ضرب يده على الأرض بقوة جنونية وهو يصرخ:

- أنا السبب في حالتها هذه!

اقترب منه إلياس مهدئًا، وهو يربت على ظهره:

- هون على نفسك يا رجل... هذا ليس خطأك...
عندما يتعلق الأمر بالشياطين، فالأمر يفوق مقدرة
الإنسان.

توقف جون عن البكاء، وأخذ يمسح وجهه بظهر
كفه. نظر إليهم إلياس بجدية، وقال بكل وضوح:

- الآن يجب أن تسمعوا ما أقوله جيدًا.

انتبه الجميع إليه، وكلهم آذان صاغية. أكمل إلياس
حديثه بكل ثقة: ^{جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص}

- الشياطين ضعيفة جدًا، وقد عالجت كثيرًا من
المصابين بمسّ شيطاني. أنا لا أخاف منهم لأنني
محصّن بذكر الله، فلا يستطيعون المساس بي أبدًا،
لكني أخاف عليكم أن تتكرر الأحداث كما حدث معك،
جون، اليوم.

قال جون بتعجب وانتباه شديد:

- ماذا حدث معي؟!

أجابه إلياس:

- عندما يكون الإنسان غير محصّن، تستطيع الشياطين التحكم بعقله وتصرفاته، ويزيد جبروتها إذا رأت الشخص خائفًا. لذلك، سوف أكتب لكم بغض الأذكار لقراءتها كل صباح ومساء؛ وبذلك لن يستطيع شيطان الاقتراب منكم.

تحدثت تانيا بلهفة:

- سنفعل كل ما تطلبه منا!

ابتسم لها إلياس بود، وأكمل حديثه:

- كما أنني أريد تشغيل القرآن في المنزل؛ لأنه يطرد الشيطان، ولا يقاومه أبدًا.

ثم التفت إلى لارا، التي كانت تنصت بإذعان، وقال لها:

- لارا... أنا سعيد لأنك أخبرتنا بأشياء مهمة عن ماضي والدتك. أنت شجاعة، وهذا تقدم جميل جدًا في علاجك.

لم تجب لارا، بل أومأت برأسها بصمت، وعيناها مثبتتان على الأرض. تغيرت ملامحها وأصبحت أكثر ثقة بنفسها، ثم رفعت عينيها مباشرة إلى عينيها، وقالت بصوت هادئ:

– هل أستطيع أخذ ذلك الكتاب؟

ابتسم إلياس ابتسامة شكر، وقال:

– شكرًا لك، سارة، لقد أنقذتني بعد الله بقراءتك للقرآن.

ثم استمر بحيرة:

– كيف عرفت أنه سيساعدك؟

ابتسمت سارة ابتسامة خفيفة، وقالت بثقة:

– لأنني عندما قرأته، شعرت أنني أتحرك من قيود كبلتني منذ زمن، حتى لارا أصبحت أقوى به.

نهض إلياس وسار نحو مكتبه، وأخذ الكتاب، ثم قال لها بتحذير:

– سوف أهديك هذا الكتاب، لكن أريدك أن تعديني

ألا تمسّيه إلا وأنتِ على طهارة.

رفعت حاجبيها في استغراب وسألت:

– ما معنى الطهارة؟

ابتسم إلياس، وبدأ يشرح لها مفهوم الطهارة بلطف. بينما كان يتحدث، جلست تانيا وجون بجوارهما، وعلامات الاهتمام البالغ ترسم على وجهيهما، وكأنهما يريدان فهم كل شيء بعمق.

استيقظت تانيا على صوت حركة مضطربة في الغرفة. رفعت رأسها ببطء، وهي تفرك عينيها، ثم قالت بصوت ناعس:

– جون، ماذا تفعل؟

لم يرد عليها جون. كان يعبث بالأدراج، يجمع أوراقًا وبعض القطع المعدنية، ثم يضعها جميعًا في صندوق صغير. شعرت تانيا بالانزعاج من تجاهله، فقالت بحدة:

– جون! سألتك ماذا تفعل؟

توقف أخيرًا، والتفت إليها بوجه شارد وعينين تحملان
توترًا غريبًا. قال بصوت مبحوح:

– هل تذكرين؟ أين وضعنا أشياء كاميلدا الخاصة؟

اعتدلت تانيا في جلستها، تشعر أن هناك ما يثير
القلق، وأجابت بتردد:

– نعم... أمرت الخادمة حينها أن تفرغ كل أغراضها
من فترة مرضها، وتضعها في القبو.

أمسك جون حفنة من الأوراق بين يديه وهو
يقول بتوتر:

– بحثت في القبو. لم أجد شيئًا... سوى هذه الحفنة
من الأوراق التي لا قيمة لها.

اقتربت تانيا منه بتعجب، تناولت إحدى الأوراق من
يده، ونظرت إليها بعينين متفحصتين. فجأة قالت
بحيرة:

– هذه الرموز... إنها تشبه تلك التي رسمتها لارا.

نظر جون إلى الأوراق، ثم رفع عينيه إلى تانيا وقال:

– ذكريني... ما اسم الخادمة؟

أجابت تانيا بعد تفكير قصير:

– ميليسا.

نهض جون فجأة وبخطوات سريعة، قائلاً بصوت مشحون بالغضب:

– أعتقد أنها أخذت شيئاً.

لحقته تانيا، وقالت بصوت يملؤه القلق:

– ماذا تعني؟ هل تعتقد أن ميليسا سرقت أغراض كاميللا؟

رد عليها وهو يدخل مكتبه بعجلة:

– بل أنا متيقن.

فتح جون أحد الرفوف بسرعة، وأخرج دفترًا أسود مغلفًا بالجلد مكتوبًا عليه: "سجل العمال". بدأ يقلب الصفحات بسرعة حتى توقف عند صورة ميليسا وبياناتها. أمسك بقلم صغير، وكتب عنوانها في ورقة منفصلة، ثم أغلق الدفتر بشدة، وكأنه يحاول كبج

غضبه.

خرج من المكتب بخطوات واسعة، وهو ينادي على الحارس. عندما وقف الحارس أمامه، ناوله جون الورقة قائلاً بصوت صارم:

– اذهب إلى هذا العنوان. أحضر لي ميليسا فوراً. ولا تعدّ إلا وهي معك. مفهوم؟

رد الحارس بتوتر:

– مفهوم يا سيدي. ثم غادر بسرعة.

عاد جون إلى مكتبه حيث كانت تانيا تقف شاردة بأفكارها. اقترب منها وقال بصوت خافت مليء بالحيرة:

– أين تعتقدين ذهبت أغراض كاميللا؟

تنهدت تانيا، وقالت بغضب مكبوت:

– أنا متيقنة أن ميليسا أخذتها. كنت أشرف عليها بنفسي وهي تجمع حاجيات كاميللا. أمرتها أن تضع كل شيء في القبو... كيف تجرؤ على أخذها؟

جلس جون على كرسیه، یداه تضغطان على سطح المكتب بشدة، بينما يحاول تذكر أي شيء یثیر الريبة حول میلیسا. قال أخیرًا، وكأنه یخاطب نفسه:

– لقد كانت عاملة جيدة. أعتنت بلارا كثيرًا عندما كانت كامیلا تمر بمرحلة تغییرها. لا أفهم لماذا تفعل هذا.

قطع جبل أفكاره صوت ثلاث طرقات على الباب. رفع جون رأسه، وقال بصوت مرحب لكنه متوتر:

– تفضل، إلیاس.

دخل إلیاس مبتسمًا، یلقي تحية صباحية هادئة:

– صباح الخير. کیف حالكما اليوم؟

رد جون بابتسامة واسعة:

– صباح الخير. لم أشعر بهذا الهدوء منذ سنوات...
لقد نمت جيدًا.

أضافت تانيا بابتسامة موافقة:

– وأنا كذلك. كان نومي مريحًا للغاية.

تمتم إلیاس وهو یتسم:

- الحمد لله... الحمد لله... هذا بفضل القرآن.

تحدث جون ببطء، وهو ينظر مباشرة إلى إلياس وقال:

- بحثت بين أغراض كاميلدا... كنت أبحث عن شيء قد يفيدنا.

نظر إليه إلياس باهتمام وسأله:

- وماذا وجدت؟

دفع جون صندوقًا صغيرًا نحو إلياس، وقال وهو يحاول كتم غضبه:

- وجدت هذه الحفنة فقط. أما باقي الأشياء... فسُرقت.

تناول إلياس الأوراق، وبدأ يتفحصها بعينين حادتين. تمتم وهو ينظر إلى الرموز:

- من أخذها؟

أجاب جون، وهو يحاول السيطرة على غضبه:

– الخادمة. أرسلت الحارس ليأتي بها فورًا. يجب أن نعرف الحقيقة.

حدق إلياس في الرموز لفترة، وكأنها تحمل معنًى مخفًى. تذكر الكابوس الذي راوده وشعر بثقل على صدره، وسأل بصوت يشوبه القلق:

– هل لاحظتما أي شيء غير طبيعي في سلوكها؟ ربما لم تكن مجرد خادمة عادية؟

هزت تانيا رأسها بسرعة، وأجابت بثقة:

– لا، أبدًا. كانت خادمة طيبة ومجتهدة، بل إنها كانت تهتم بلارا كثيرًا.

ظل إلياس يحدق في الرموز، بينما بدأت الشكوك تتسلل إلى ملامحه، وكأن الأوراق تخفي سرًا أكبر مما توقعوا.

بعد لحظات من الصمت المطبق، قُطع الجو المشحون بدخول لارا، أو بالأحرى إلين، شقّت طريقها إلى الغرفة بابتسامة مشرقة ووجه متألّق. كانت ترتدي فستانًا ملونًا وكأنها ذاهبة إلى احتفال، ما جعل حضورها يبدو

كأنه ينتمي إلى عالم آخر. قالت بصوت مرح يكسر
الأجواء المشحونة:

– صباح الخير! يبدو أنكم غارقون في كآبة كالمعتاد!
التفتوا إليها مبتسمين رغم الأجواء المشحونة، وردوا
التحية. قال إلياس بابتسامة دافئة:

– أهلاً إلين، كيف حالكم اليوم؟
جلست على الكرسي المقابل له بحركة سريعة، ثم
قالت بحماس:

– كلنا بخير... نشعر جميعًا بالتححرر، لكن...
توقف حماسها فجأة، وظهر الحزن على وجهها.
أكملت بصوت منخفض:

– نينا ما زالت مختفية.
حدق إليها إلياس بترقب، ثم قال بصوت مدروس:
– ربما علينا محاولة تطوير طريقة للتواصل معها.
يمكن أن يساعدنا ذلك في فهم المزيد.

رفعت إلين حاجبيها بتفكير وقالت:

- وكيف ستفعل ذلك؟

ابتسم إلياس مطمئناً:

- سنتحدث قليلاً عنكِ وعن لارا وسارة، ثم نبدأ
الخطوة التالية.

قفزت إلين بحماس، وعدّلت جلستها قائلة:

- حسناً، لنبدأ. سأكون أول من يتحدث!

ضحك إلياس مستغرباً وقال:

- تفضلي.

غيرت إلين ملامحها فجأة إلى الجدية، وقالت
بنبرة غاضبة:

- لقد وعدتني أن تخرج معي للتسوق لاختيار بعض
القطع لك!

ضحك إلياس بخفة وقال:

- وما زلت عند وعدي.

قفزت إلين واقفة بحماس وقالت:

- إذا هيا بنا نذهب الآن!

تحدث جون بغضب مفاجئ:

- ليس الآن! نحن في ظروف غامضة، وخروجك قد يعرضك للخطر.

ضربت إلين قدمها بالأرض بعنف وهي تقول:

- دائماً تمنعني من الخروج! أريد أن أعيش مثل الآخرين! لماذا تعاملني وكأنني سجين؟!

ابتسم جون بسخرية، وقال بنبرة صارمة:

- لأنك تجلبين لنا المتاعب دائماً! لا أستطيع تحمل فكرة أن يحدث شيء آخر بسببك.

امتعض وجه إلين بشدة، وكانت على وشك الرد بغضب، لكن صوت إلياس الهادئ قطع الحديث. نظر إلى جون وقال بثقة:

- أعتقد أن خروجها فكرة جيدة. ستكون برفقتي ولن نغيب طويلاً بإذن الله.

تردد جون في إعطائه الموافقة، لكن بعد برهة نظر

إلى إلیاس، ثم أشار بيده موافقًا، دون أن يقول شيئًا،
لكن وجهه ظل عابسًا.

اقتربت تانيا من إلیاس وقالت بصوت قلق:

– أرجوك، انتبه لها جيدًا.

ابتسم لها إلیاس مطمئنًا وقال:

– لا تقلقي. سأكون معها طوال الوقت.

غادر برفقة إلین التي بدت وكأنها طفلة حصلت على
ما تريده أخيرًا، ترقص فرحًا بموافقتهما على خروجها.
وبينما كانا يعبران بوابة القصر، شعر إلیاس بأن شيئًا
غير مرئي يتبعهما. توقف في مكانه واستدار ببطء،
ثم نظر حوله بحذر. نظرت إليه إلین بدهشة وقالت:

– ماذا بك؟

حاول إخفاء قلقه بابتسامة مطمئنة، وقال:

– لا شيء.

وضعت إلین ذراعها حول ذراعه بحماس، قائلة
بسعادة غامرة:

- اليوم هو أسعد يوم في حياتي! كل شيء
تمنيته تحقق.

ابتسم إلياس وهو ينظر إليها وقال:

- جميل، أخبريني عن أمنياتك.

رفعت حاجبها بغرور طفولي وقالت:

- أولاً، خرجت من المنزل. ثانيًا، سأذهب للتسوق بعد
ما حرمت منه طويلًا. وثالثًا... أنا برفقة شاب وسيم
مثلك!

فكّرت ذراعها منه، وبدأت تدور حول نفسها بحماس،
تتحدث وتضحك وذراعها تتحرك في كل اتجاه وكأنها
تحيي العالم بأسره.

ضحك إلياس بخفة، متجاهلاً همومه للحظة، وهو
يشاهد إلين تدور كفراشة طليقة. لكن عينيه سرعان ما
عادتا تبحثان في الأفق بقلق، وكأن شيئًا غير مرئي
يراقب من بعيد. تتمم في نفسه:

- هل هذا السلام حقيقي... أم مجرد بداية

في تلك اللحظة، كان القصر يعيش هدوءًا غريبًا،
وكأن الهواء فيه يترقب شيئًا يكسر صمته الثقيل.

داخل المكتب، جلس جون وتانيا يحتسيان القهوة،
تتوزع أمامهما الأوراق المليئة بالرموز الغامضة.

قال جون، وهو يرفع رأسه عن كومة الأوراق:

- هل تعتقدان أن غرفة لارا قد تحتوي على شيء
متعلق بهذه الرموز؟

ابتسمت تانيا بمكر، وهي تنهض برشاقة:

- كان قرار خروجها من المنزل حكيماً. لننتهز هذه
الفرصة الذهبية!

تبعها جون بسرعة، وهو يصعد السلالم
بخطوات عجلة:

- أنتِ على حق.

فتحا باب غرفة لارا، ليشعرا فجأة بهواء بارد يتسلل

إلى أجسادهما. تجمد جون في مكانه للحظة
وقال بتعجب:

– من أين يأتي هذا الهواء؟

أخذت تانيا تحقق في الغرفة بحذر وقالت:

– ربما من التوتر، هيا نبدأ البحث عند زاوية نينا. فتلك
الشخصية تخفي الكثير من الغموض.

اندفعت تانيا تبحث بشغف في الأوراق والرسومات،
بينما بقي جون مترددًا، يشعر أن الهواء البارد ليس
مجرد وهم، بل علامة على شيء أعمق.

اقترب من السرير بحذر، وعيناه تتفحصان كل زاوية.
مشى بخطوات حذرة نحو النافذة، يتفحصها ليجدها
مغلقة بإحكام. شعوره بالبرد ازداد مع كل خطوة.

قال بصوت متردد:

– هل تشعرين بالبرد مثلي؟

ردت تانيا، الغارقة في البحث، دون أن ترفع رأسها:

– لا، أخبرتك أنه مجرد توتر.

تابع جون تقدمه نحو الجدار المزخرف بلوحة كبيرة.
كلما اقترب، كان البرد يزداد شدة. مد يده المرتجفة
ليزيل اللوحة. بمجرد أن سحبها، شعر بتيار هواء قوي
يضره.

تراجع خطوة للخلف وضع اللوحة على الأرض ببطء،
ليصعق عندما رأى الرمز الكبير المحفور على الجدار.
كان الرمز معقدًا، خطوطه تتشابك كأنها ترسم متاهة،
وفي مركزها عين مفتوحة تحقق فيه مباشرة.

قال بصوت مرتبك:

– تانيا... تعالي وانظري.

التفتت تانيا نحوه وهي تمسك مجموعة من رسومات
نينا المليئة بالرموز. عندما رأت الجدار، شعرت بقشعريرة
تسري بجسدها، اتسعت عيناها دهشة، وسقطت
الأوراق من يدها دون وعي، وهي تقترب بخطوات
متردة حتى وقفت أمام الجدار. مدت تانيا يدها بتردد،
وعيناها مشدوهتان بالرمز المحفور. وقبل أن تصل
إليه، أمسك جون يدها بقوة، وصوته مليء بالتوتر:

– لا تلمسيه!

التفتت إليه بتعجب، لكن ملامح الخوف البادية على وجهه جعلتها تتراجع. قال بصوت خافت:

– أشعر أن هذا الجدار يحمل خطرًا أكبر مما نتخيل.

تانيا بخوف:

– ماذا سنفعل الآن؟

جون تمتم بصوت خافت وهو يقول:

– علينا إخبار إلياس ليعود.

على بُعد أميال من القصر، كان إلياس وإلين يسيران داخل أحد المجمعات التجارية، يحملان في أيديهما العديد من الأكياس. كان المشهد هادئًا، لكن إحساسًا بالخطر ظل يلوح في ذهن إلياس.

قالت إلين بابتهاج وهي تشير إلى واجهة أحد المحلات:

– انظر إلى هذا المعطف الجلدي الأسود! إنه

يناسبني تمامًا!

ضحك إلياس بخفة وقال:

- هل تنوين إفراغ محفظتي تمامًا؟

إلين شدت طرف معطفه بخفة، وعيناها تتوسلان
كطفلة صغيرة:

- أرجوك فقط هذا المعطف.

إلياس زفر باستسلام، وابتسم لها ثم قال
بصوت حازم:

- هذا آخر محل ندخله، وبعدها سنعود إلى المنزل.
جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

ابتسمت إلين بضيق، وقالت بصوت مليء بالغضب:

- حسنًا... لكنني لا أعلم لماذا أنت مستعجل للعودة
إلى الكآبة!

نظر إليها إلياس مطولاً، ثم قال بصوت أقرب
إلى الهمس:

- لأنني أريد لارا أن تصبح إلين.

التفتت إليه بعينين ممتنتين، وقد أثرت كلماته فيها.

تحدثت في نفسها:

– إلياس لا يريد طمس هويتي... بل يريدني أن
أكون مزيجًا متوازنًا.

أخذ إلياس المعطف الذي أشارت إليه، وقال لها
بابتسامة دافئة:

– هيا... جريه.

أمسكت إلين المعطف بحماس، ودخلت غرفة التبديل.
وقفت أمام المرأة، تحركت شفتاها بابتسامة واسعة،
لكنها سرعان ما انكمشت حين شعرت بوخز بارد في
أطرافها. دقات قلبها تسارعت بلا سبب واضح. حدقت
في انعكاسها، ثم فجأة شعرت أن العينين في المرأة
لم تعودا عينيها. همست بصوت خافت، لكنه مملوء
بالسخط:

– نينا... لقد عدت.

اختفى صوتها، وعدلت نينا جلستها، نظرت للمرأة
بنظرات حادة مليئة بالغضب والازدراء، وقالت بههمة:

- تظنون أنكم تفهمون كل شيء، أيها الحمقى.

نزعت المعطف بعنف، ورمته على الأرض، ثم خرجت من غرفة التبديل بخطوات ثابتة. كان إلياس ينتظرها مبتسمًا، لكن عندما رأى عينيها تقدحان الشر، تبدلت ملامحه إلى الجدية. اقتربت منه باندفاع، وأمسكت بياقته بقوة، وقالت من بين أسنانها:

- أعدني إلى المنزل... الآن!

تجمد إلياس لوهلة، وكأنه يحاول فهم ما يحدث، ثم أمسك يدها برفق، لكنه نظر إلى عينيها مباشرة، وقال بنبرة هادئة، لكنها تحمل غضبًا خفيًا:

- أخيرًا ظهرت... نينا.

نظرت إلى يده الممسكة بها، وشعرت بالغضب يغلي في عروقها. نفضت يدها بعنف، وكان وجهها مغطى بالاشمئزاز. خطت بخطوات واسعة مبتعدة عنه وهي تقول بصوت يقطر ازدياء:

- لا أحتاجك لتوصلني إلى المنزل.

لم تكمل كلماتها إلا وشعرت بقبضة قوية تمسك بذراعها، أجبرتها على الالتفات. ارتطمت ب صدره العريض. كان وجهه قريبًا منها، أنفاسه الحارة لفحت وجنتيها. عيناه اشتعلتا بنظرة صارمة جعلت أوصالها ترتعش. تحدث بصوت منخفض، لكنه محمل بالتحذير:

– لا تختبري صبري... أنا أحاول أن أبقى هادئًا من أجلك. دعينا نعدّ بهدوء...

تراجعت ببطء، وسحبت يدها بحذر، وهي تنظر إليه بخليط من التحدي والخوف. ثم تمتمت بسخرية لاذعة:

– هذا ما يحدث عندما تُجبر على التعامل مع الهمج.

كانت كلماتها الأخيرة بمثابة الشرارة. حدّق بها إلياس نظرة طويلة، باردة لكنها مليئة بالتحذير. استدارت ومشّت بخطوات سريعة متجهة نحو الخارج، بينما تبعها بصمت. كان وجهه جامدًا، لكن عينيه لا تفارقانها وكأنه يتوعدّها.

بينما هما يسيران خارج المجمع التجاري، كانت نينا تهمس وتردد بغضب:

– لقد كشفوا الأمر... لقد كشفوا الأمر.

اقترب إلياس منها، وأمسك بذراعها برفق، لكنه ثبت نظراته عليها، وكأنه يحاول قراءة أعماقها، وقال بصوت هادئ لكنه حازم:

– بماذا تتممين؟

صرخت في وجهه بشراسة، وارتجف جسدها من شدة غضبها:

– لا تلمسني!

ابتعدت عنه كالمجنونة، تمسح ذراعها باشمئزاز وكأن شيئاً عالقٌ بها. نظرت إليه بحقد، وقالت بصوت مرتعش:

– لمستك تشعرني بالقرف! ألا تفهم؟!

كررت ببطء وبنبرة زاهرة بالتهديد:

– لا... تلمسني... مجددًا.

تراجع إلياس قليلًا، لكنه لم يرفع نظراته الغاضبة عنها. أشار بيده نحو السيارة وقال ببرود:

- اخرسي... واصعدي إلى السيارة.

صعدت نينا بغضب، وأغلقت الباب بعنف كأنها تفرغ كل طاقتها عليه. جلس إلياس في المقعد الأمامي، والهدوء القاتل يسيطر على الجو، إلا من صوت المحرك.

بدأت نينا تهز نفسها بغضب، كأنها تحاول كتم البركان الذي يغلي بداخلها. إلياس، الذي كان يقود السيارة، شعر أن هذه ليست نينا فقط، بل هناك شيء أكثر ظلمة يسيطر عليها.

قطع الصمت صوت رنين هاتفه. التقطه إلياس وعقد حاجبيه بقلق عندما رأى رقم جون. رد بصوت خافت:

- مرحبًا، جون.

جاء صوت جون مضطربًا:

- إلياس... عليك أن تعود حالًا.

شعر إلياس بتوتر شديد وقال:

- هل حدث شيء لكما؟

أجاب جون بسرعة:

- لا، لكننا وجدنا شيئاً... أعتقد أننا في مشكلة كبيرة.

لم يتردد إلياس، وأدار السيارة بسرعة جنونية نحو القصر.

وصل إلياس أمام القصر، ترجل من السيارة بسرعة، لكنه صُدم عندما رأى نينا تخرج كالعاصفة، وتتجه نحو الداخل.

اندفع إلياس خلفها، وسمع صراخها يتردد في أنحاء المنزل:

- من سمح لكما بدخول غرفتي؟! ها؟ ماذا فعلتما أيها الأحمقان؟!

صعد السلالم بخطوات متعجلة حتى وصل إلى الغرفة. توقف للحظة، وشعر بالبرودة تخترق جسده حين رأى الجدار المغطى بالرموز الغامضة، بينما رائحة نتنة تملأ المكان، كأن شيئاً مظلماً قد نُبش للتو.

كانت نينا تقف وسط الغرفة، وصراخها يعلو، يهز
أركان المنزل وكأنها تفقد السيطرة على نفسها.

لم يجد إلياس خيارًا سوى التدخل. اقترب منها
وأمسك ذراعها بقوة، لكنها التفتت نحوه، وصرخت
بغضب هستيري. وفجأة، دون تفكير، ارتفعت يده
وهوت على خدها، ليعم الصمت المكان.

شهقت تانيا برعب، واتسعت عينا جون في ذهول.
أما نينا، فقد حدقت في إلياس بصدمة، ويدها مرفوعة
ببطء إلى خدها.

قال إلياس بصوت منخفض وحازم، وعيناه
تقدحان شرارًا:

- هذا يكفي! منذ ظهرت، وأنتِ تصرخين بلا توقف.
سأقولها مرة واحدة فقط...: إن سمعت صوتك يرتفع
مجددًا، فسأجعله يختفي إلى الأبد. مفهوم؟

تراجعت نينا بخطوات ثقيلة، ويدها ما زالت على
خدها، وعيناها ممتلئتان بالحق والكراهة. جلست على
الأرض، تجمع رسوماتها المبعثرة بيديها المرتجفتين،

كأنها تحاول استعادة جزء من خصوصيتها
التي انتهكت.

بينما كانت تجمع الأوراق، همست بكلمات غير
مفهومة، لكنها مشحونة بالغضب، وكأنها تتحدث إلى
نفسها أو إلى أحدٍ آخر.

التفت إلياس نحو جون وتانيا، اللذين وقفا عاجزين عن
الحركة، وجهاهما متجمدان بالخوف والذهول. بنبرة
مشحونة بالغضب والقلق، سأل إلياس:

- ما الذي حدث هنا؟

تقدم بخطوات ثابتة نحو الجدار المليء بالرموز، الذي
بدا وكأنه ينبض بحياة غامضة. اقترب أكثر، يتفحص
الخطوط المعقدة والمتشابكة التي بدت كشبكة
عنكبوتية شريرة. كلما اقترب، ازدادت الرائحة النتنة
قوة، وكأن الجدار نفسه ينفثها.

وضع يده على أنفه بانزعاج، وسأل بصوت عميق:

- منذ متى وهذه الرموز محفورة على الجدار؟

رد جون بتلعثم واضح:

- لا... لا نعلم. كانت مغطاة بلوحة.

التفت إلياس إلى نينا، التي استمرت في تجاهله،
تركز على جمع رسوماتها وكأن وجوده لا يعني شيئاً.
لكنه لم يستسلم.

- نينا، هل تعرفين شيئاً عن هذه الرموز؟ أو من
قام برسمها؟

رفعت عينيها ببطء، دون أن ترفع رأسها، نظرتها
تحمل تحدياً لاذعاً. ارتسمت على شفتيها ابتسامة
ساخرة، لكنها لم تنطق بكلمة، فقط عادت لتجمع
أوراقها.

تحدثت تانيا، بصوت مرتعش وهي تشير إلى نينا:

- لقد... لقد وجدت الرموز ذاتها في رسوماتها.

تقدم إلياس ببطء نحو نينا، وهو يقول بنبرة تحمل
مزيجاً من السخرية والتحذير:

- إذًا... لديك علاقة بهذا الأمر، أليس كذلك؟

نهضت نينا فجأة، كأن شيئاً وخزها. شدّت قبضتها على الأوراق التي جمعتها، ووقفت كحاجز أمام زاويتها الخاصة، ثم قالت بصوت منخفض مليء بالتحذير:

- لا تفكر حتى في الاقتراب من رسوماتي.

ابتسم إلياس ابتسامة خبيثة، وقال بصوت ساخر:

- هل ستجعلين شياطينك البائسة تقتلني؟

أطلق ضحكة صغيرة، ثم أكمل بتهكم:

- أو ربما ستجعلينهم يتلبسونني... كما يفعلون معك؟

ارتعش جسدها من الغضب، وحركاتها أصبحت عصبية. امتلأت عيناها بالحق، وكأنها تفكر بقتله. نظرت إليه وقالت بصوت مشحون بالتحدي:

- ستندم... كثيرًا. أعدك بذلك.

اقترب جون من إلياس بخطوات مترددة، وهمس في أذنه، صوته يرتجف:

- ما الذي تفعله؟! هذه اللعينة... يبدو أنها قد
تقتلنا. لماذا عادت؟

ضحكت نينا بصوت عالٍ، وقالت بسخرية لاذعة:

- أخبره، يا جون. لعله يعقل ويعود إلى صوابه قبل
أن تحل الكارثة.

انتفض جون برعب، وقال بصوت مرتعش:

- كيف... كيف عرفتِ بما قلته؟

ابتسم إلياس بثقة، وهو يتقدم نحوها، عيناها تحملان
غموضاً أربعها رغم محاولتها التظاهر بالثبات. أراد أن
يتحدث، لكن صوته قُطع عندما سُمع الحارس ينادي من
الأسفل:

- سيد جون! سيد جون!

التفت الجميع نحو الباب. هرع جون، وتبعته تانيا
بسرعة، وهو يقول:

- لقد جاء بميليسا.

سار إلياس خلفهما، لكنه توقف عند عتبة الباب، ثم

التفت نحو نينا، وقال بتحدٍّ واضح:

- لم ننتهِ بعد... سأكشف كل ما تخفيه اليوم،
بإذن الله.

بعد أن غادر الجميع وأُغلق الباب خلفهم، وقفت نينا
في منتصف الغرفة، أنفاسها متقطعة، ويداها
ترتعثان بخليط من الغضب والتوتر. رفعت عينيها ببطء
نحو الجدار المغطى بالرموز، ثم تقدمت نحوه بخطوات
متردة. مدّت أصابعها المرتجفة، تمررها على النقوش
كأنها تلامس شيئاً ينبض بالحياة خلفه.

توقفت للحظة، أمالت رأسها قليلاً، وكأنها تصغي
إلى همس خافت لا يسمعه غيرها، ثم تمتمت بصوت
منخفض، لكن وقع كلماته كان حاداً كالنصل:

- لن أسمح لهم... لن أدعهم ينتصرون.

الفصل الرابع



هل بالغت يوماً في ردة فعلك وغضبت بانفعالٍ
مفرطٍ، ثم راودك شعورٌ بالاستغراب ممّا حدث
فتساءلت في نفسك: لماذا فعلتُ كل هذا؟
ماذا لو كانت هناك أيادٍ خفية تعبث بتصرفاتك
لتُظهر أسوأ ما فيك، وأنت لا تعلم؟

كان جو القصر مشحونًا بشدة، وكأن الجدران أنفسها
تضجّ بالطاقة الغامضة التي بثّتها الرموز المحفورة
عليها. كان كل شيء في المكان ينبض بصمتٍ ثقيل،
يحيط به غموضٌ لا يمكن تفسيره. زادت تصرّفات نينا
من حدّة القلق في القلوب، وكأن كل شيء كان على
وشك الانفجار في أي لحظة.

جلس جون على طرف الأريكة، أصابعه متشابكة
بقوة، وكأنه يحاول منع نفسه من الانفجار. كانت
نظراته ثابتة على لورا، لكن عقله كان بعيدًا، يتأرجح
بين الذكريات في مكانٍ مظلم. بجانبه، كانت تانيا تحدّق
بها، لا تستطيع إخفاء قلقها، وعيناها مشدودتان إلى
لورا، كما لو كانت تراقب انفجارًا قادمًا.

أما إلياس، فقد وقف بجانب النافذة المفتوحة،
يراقب الغابة المظلمة، وكأنها تتربّص به أيضًا. كانت
عيناها الشاردتان تكشفان عن ذهنه، الذي يعمل بكامل
طاقته، محاولًا فكّ شيفرة هذا اللغز الذي أسدل ظلاله
على الجميع. تسلّل شعورٌ غريب إلى داخله، شيءٌ غير
مرئي، ولكنه حقيقي... كان يقترب.

قطع الصمت الثقيل عندما تحدّث جون أخيرًا بصوتٍ هادئ، لكنه كان يحمل صرامة رهيبة، كأن الكلمات نفسها تشدّ على حلقه:

- هل أنتِ ابنة ميليسا؟

رفعت لورا رأسها ببطء، وكأنها تواجه المجهول، وعيناها تنتقلان بين الوجوه بقلبي عميق. لم تُجب فورًا، كأنها تقاوم حقيقةً تسحق قلبها. أخيرًا، قالت بصوتٍ منخفض، غير قادرة على إخفاء التوتر والخوف:

- نعم... أنا لورا.

حدّق بها جون، وكانت في عينيه تساؤلاتٌ لا حصر لها، لكن صوته كان مشبعًا بالشك، كما لو كانت الجملة التي قالها تشقّ قلبه:

- هل ماتت والدتك حقًا... أم أنها تهزّبت من مواجهة الحقيقة؟

توقّفت لورا لحظة، تتأمّل كلمات جون، ثم هزّت رأسها بصمت، ودموعها تنساب على خدّها. اجتاحت

كلماتها الصمت، ورفعت صوتها بصعوبة، وكأنها
تخبرهم بحقيقةٍ غير قابلة للاحتمال:

- لقد انتحرت.

ساد صمتٌ مخيف، حتى الهواء أصبح ثقیلاً. كانت
الحروف التي خرجت من لورا كأنها قطعٌ من الزجاج
الحادّ، تؤلم الجميع. نظر إلياس إليها، وكأن كلماتها
كانت تطعن في قلبه، وأعاد ترديدها ببطء، وكأن عقله
يحاول تصديق ما سمعه:

- والدتك... انتحرت؟

مسحت لورا دموعها بسرعة، لكن الصوت في حلقها
كان متقطّعاً، كأنها تمرّق نفسها لتكمل:

- نعم... بعد مغادرتكم إلى باريس، أصبحت أُمي
غارقة في حزنها بسبب ما حدث مع السيدة كاميللا.
في إحدى الليالي، قرّرت العودة إلى القصر، كانت تريد
معرفة سبب وفاتها. حاولت أن أمنعها، وأخبرتها أنكم
جميعاً تخليتم عن القضية، فلماذا تواصل هي البحث؟
لكنها لم تستمع لي.

توقّفت لورا للحظة، وظهر على وجهها ألمٌ عميق،
كما لو كانت تعيد تنسيق ماضيها المكسور. ثم قالت
بصوتٍ خافت، يكاد يُسمع:

- كانت أمي تحب السيدة كاميلا كما تحب ابنتها. في
تلك الليلة، استخدمت مفتاحها الاحتياطي للقصر،
وعادت وهي تحمل... صندوقًا أسود.

شعر إلياس بشيءٍ ثقيل يضغط على صدره، وتعلّق
حاجباه في دهشة، بينما بدا وكأن كلمة "الصندوق"
قد استحضرت شيئًا في عقله. أجاب بجدية، ونبرته
تزداد حدّة:

- صندوق أسود؟ ماذا كان بداخله؟

أغمضت لورا عينيها للحظة، كما لو كانت تحاول
مقاومة شيءٍ داخلي يمنعها من الحديث، ثم قالت
بصوتٍ مخنوق:

- لا أعرف ماذا كان بداخله، لكنها منذ تلك الليلة...
تغيّرت. بدأت أصواتٌ تلاحقها، أشياء لم نرها... لم تعد
هي... كانت كأنها شخصٌ آخر.

فجأة، انفجرت بالبكاء، وضغطت بيديها على وجهها،
كأنها تحاول إيقاف جريان هذه الذكريات المؤلمة.

وضعت تانيا يدها على فمها المرتعش، وهمست
بخوف، ونبرة صوتها تعكس الذعر العميق:

- يا إلهي... ارحمنا.

أما جون، فقد أصبح جامدًا، وعيناه تحدّقان في
الفراغ، وكأن الزمن قد عاد به إلى ليلة قديمة. تذكّر
تلك اللحظة المشؤومة، عندما عادت كامبلا من الغابة
حاملةً الصندوق الأسود، وعيناها تتلألآن بسعادةٍ
مريية. يومها، قالت بابتسامةٍ عريضة، وكأنها قد
اكتشفت كنزًا غير مرئي:

- جون... انظر ماذا وجدتُ في الغابة! ربما يحتوي
على كنزٍ دفين سيغيّر حياتنا.

نهض فجأة، وكأنما استفاق من كابوسٍ رهيب،
وهمس بذهول، وكأن الكلمات تخنقه:

- ذلك الصندوق اللعين... كيف غفلت عنه؟

كانت خطواته ثقيلة على الأرض، وكأنها تقطع صمتًا
مرعبًا في المكان. كان الجميع يحدّقون فيه بصمت،
وإلياس، الذي بدأ يدرك أن الأمور تزداد تعقيدًا، سأله
بصوتٍ منخفض، لكنه مليء بالجدية:

- جون، ما الذي تعرفه عن هذا الصندوق؟

وقف جون في منتصف الغرفة، كأن الكلمات
تقاومه، ثم تحدّث أخيرًا بصوتٍ يشوبه الأسى، كما لو
كانت الذكرى تقتل روحه:

- ذلك الصندوق... هو السبب.

نظرت تانيا إليه بدهشة، وكان صوتها يرتجف:

- لماذا لم تخبرني عن هذا من قبل؟

ابتسم جون ابتسامة مريرة، يمرر يده على وجهه،
وكان آلام الماضي تقتلع منه جزءًا من نفسه:

- لأنني لم أتخيل يومًا أن الصندوق قد يكون

السبب... كيف غفلت عن هذا؟ كيف؟

اقترب إلياس منه بحذر، وعيناه مشدودتان إليه في

محاولة لفهم الوضع تمامًا، ثم سأل، وقد ازدادت
ملامح القلق على وجهه:

- متى بدأت كاميلًا تتغير؟

أغمض جون عينيه، وكأنه يحاول استرجاع تفاصيل
ضبابية، ثم قال بصوت منخفض، يرتجف قليلًا من
الصدمة:

- بعد أسبوع من إحضار الصندوق.

سأله إلياس، وقد ازدادت شكوكه:

- ألم يساورك الشك بشأنه؟ ألم تلاحظ أي
شيء غريب؟

رفع جون رأسه ببطء، وعيناه مليئتان
بالرعب المكبوت:

- بلى... اقتربت منه ذات مرة لأراه مع كاميلًا. كان
صندوقًا غريبًا، وعندما لمستّه، شعرت بصعقة كهربائية،
كأنها تقطعني. كاميلًا ضحكت حينها، وقالت:

- إنه لا يريدك... يريدني أنا فقط.

تنهد بعمق، وكأن الذكرى تحرقه، ثم أكمل بصوت غير ثابت:

- لم أره بعدها أبدًا.

تقدمت تانيا خطوة إلى الأمام، وقد امتزجت الحيرة بالذعر في وجهها، وقالت بصوت متقطع:

- كيف بدأ يؤثر فيها؟ ما الذي رأيته؟

تنهد جون بحرقة، وبدأت نظراته تائهة في الماضي:

- بدأت تتصرف بغرابة... كنت أظن أنها متعبة، وأنها ستتحسن. لكنها بدأت تسمع أصواتًا... تجيب على أسئلة لم أسألها قط. بدأت ترى أشياء... لا وجود لها. قاطعتهم لورا بصوت مكسور:

- هذا ما حدث مع أُمي أيضًا... كنت أظن أنها تفقد عقلها تدريجيًا.

سألها إلياس، بصوت حاد يحمل الكثير من التوتر:

- وكيف عرفت أن الصندوق هو السبب؟

أطبقت لورا يديها بعصبية، وصوتها كان متقطعًا:

- لأنني كنت متديّنة... أقرأ الإنجيل دائماً.

نظروا إليها بدهشة، لكنها تابعت بصوت خافت:

- كانت تغضب بشدة عندما تراني أقرأه. بعدها أصبت بحمى شديدة، ودخلت المستشفى. في تلك الفترة، وجدوا أمي مشنوقة في الغابة. عندها علمت... أن ذلك الصندوق كان يحتوي على شيطان.

شهقت تانيا وجون في صدمة، بينما سأل إلياس بصوت ملؤه الرهبة:

- وأين الصندوق الآن؟

ارتجفت لورا، وعيناها مليئتان بالرهبة، وقالت بصوت مرتجف:

- دفنته في الغابة... ذلك الصندوق ملعون، ولعنته تطارد كل من يفتحه.

التقط جون الكلمات بتوتر، وسأل بصوت مشدود:

- إذا كان الصندوق مدفوناً، فلماذا ما زالت لعنته تطارد ابنتي؟

تحولت نظرات إلياس إلى لورا بنظرات ثاقبة،
وقال بحزم:

- هل تتذكرين مكان الصندوق؟

هزت لورا رأسها ببطء، وقالت بصوت متردد:

- نعم... دفنته في وسط الغابة.

نظر إلياس إلى ساعته، ثم قال بصوت حاسم:

- هيا بنا نبحث عنه.

شهقت لورا بدهشة، وقالت مستنكرة:

- نذهب الآن؟ هل فقدت عقلك؟

ثم التفتت نحو جون وتانيا، وكأنها تستجدي دعمهما
لمنعها، لكنها صُدمت عندما وجدتهما يؤيدان إلياس.
نظرت إليهم في ذهول، وقالت:

- لا... لا، لقد فقدتم عقولكم جميعًا!

التقط إلياس مفتاح السيارة، وقال بنبرة حاسمة:

- ابقيا هنا. راقبا نينا عن كثب.

حاول جون الاعتراض، ولكن نظرة إلياس السريعة نحو
الطابق العلوي كانت كافية.

قال جون بصوت خافت، غير قادر على الممانعة:

- انتبه لنفسك، رجاءً.

ابتسم إلياس ابتسامة خفيفة، ثم التفت إلى لورا،
التي كانت تبدو غارقة في أفكارها، وقال بصوت حازم:

- هيا بنا، لورا.

انتفضت لورا فجأة، وبدأت كأنها على حافة انهيار،
وقالت بصوت مفعم باليأس:

- أنت تلقي بنا إلى التهلكة.

بينما كان يغادر عتبة القصر، التفت إلياس إليها،
وقال بثقة هادئة، كأنما يحمل وعدًا لا يمكنه إلا الوفاء
به:

- لا تخافي... إن الله معنا.

صعدت لورا إلى السيارة وهي تنظر إليه بتردد.

سمعت إلیاس يتمتم بكلماتٍ بصوتٍ خافت، كأنها تخرج من بين شفتیه بصعوبة، كما لو كان يهمس لنفسه. دفعها الفضول إلى سؤاله، وكأنها تخشى أن تقاطع سحر الكلمات التي يرددّها:

- ما الذي تقوله؟

أجابها إلیاس وهو يشغل السيارة، وعيناه تركزان على الطريق أمامه دون أن يلتفت إليها:

- أقرأ القرآن.

عقدت حاجبيها باستغراب وسألت، وهي تشعر بشيء غريب يتسلل إلى أعماقها:

- القرآن؟ هل هي كلمات أغنية؟ أم كتاب؟

ابتسم إلیاس وقال بهدوء:

- إنه كتاب المسلمين... يشبه الإنجيل للمسيحيين.

أومأت لورا بتفهم، لكن ذهنها كان يسبح بعيداً في تفكيرها. قالت بصوتٍ شارد:

- أها، الآن فهمت.

أخرج إلياس نسخة صغيرة من المصحف بلغتها
وقدمها لها دون أن ينظر إليها، وكأن فعلته هذه
طبيعية جداً بالنسبة له، وقال بصوتٍ خافت، كأن
الكلمات تخرج من قلبه:

- اقرئي منه قليلاً، قد تجدين فيه ما يهدي قلبك.

أخذت لورا المصحف بتردد، كأنها تتلمس شيئاً خفياً
في هذا الكتاب، ثم بدأت تقرأ فيه. كلما تعمقت أكثر،
شعرت بشيء غريب يسري في أعماقها، إحساسٌ
بالسكينة بدأ يخترق أعصابها، وكأنها تغرق في عالم
آخر، بعيداً عن كل شيء. رفعت عينيها بعد لحظات،
وقالت بصوتٍ مذهول، وكأنها غير قادرة على تصديق
ما تشعر به:

- هذا الكتاب... إنه يهدي النفس كالسحر.

ابتسم إلياس وقال:

- لأنه كلام الله.

لكن كلمات إلياس كانت كالْحُكم الذي لا يمكن
نقضه، صوته كان يحمل عبئاً من حكمةٍ لم تفهمها

تمامًا.

رفعت لورا حاجبها بعدم رضا، وقالت بصوتٍ حاد،
كأنها تدافع عن شيءٍ ما في نفسها:

- لكن الإنجيل أيضًا كلام الله.

كانت كلماتها كأنها تحاول التمسك بجزءٍ من
راحتها القديمة.

هز إلياس رأسه موافقًا، ثم أجاب بصوتٍ منخفضٍ
وثابت، وكأن الجواب قد وُضع في مكانه الصحيح منذ
الأزل:

- معك حق، كلاهما كلام الله. لكن الفرق أن القرآن
لم تمتصه يد التحريف، بينما عبث البشر ببعض كلمات
الإنجيل. ولهذا نزل القرآن ليحفظ رسالة الله النقية.

صمتت لورا لبرهة، تفكر في كلماته. لم يكن الكلام
عن الكتاب هو ما أثار انتباهها، بقدر ما كان الشعور
الثقيل الذي تبعته كلمات إلياس. قررت أن تستمر في
قراءة المصحف، ربما لأنه هو الشيء الوحيد الذي
يمنحها السلام الآن.

لكن فجأة، توقفت السيارة أمام الغابة المظلمة ذات
الأشجار الكثيفة، وتغير كل شيء.

نظر إلياس إلى الظلام الحالك أمامه، وقال
بنبرة حازمة:

- هيا بنا.

ترجلت لورا من السيارة ببطء، وشعرت برعشة تضرب
أوصالها. قالت بصوتٍ مهتز:

- لماذا لا ننتظر حتى الصباح؟
جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص
أجابها إلياس، دون أن يلتفت إليها:

- اتبعيني.

لحقت به على مضض، وأمسكت بطرف معطفه
بخجل، وقالت:

- أنا خائفة.

توقف للحظة، ونظر إلى يدها المرتجفة، ثم قال
بصوتٍ مطمئن:

- ابقى قريبة مني... وانظري حولك جيدًا، قد تجد
الشجرة سريعًا.

هزت رأسها بالموافقة، وأشارت نحو جهة
الشمال، وقالت:

- من هنا.

سارت بخطوات حذرة وسط الغابة المظلمة، حيث كان
نعيق الغربان يزداد مع كل خطوة. كانت لورا تتفحص
الأشجار بعناية، حتى توقفت فجأة، وأشارت إلى شجرة
تحمل علامة حمراء. قالت بصوت مرتعش، وكأنها تشعر
أن قلبها بدأ يخرج من مكانه:

- تلك الشجرة... دفنت الصندوق عندها.

اقترب إلياس بخطوات واسعة ومعه مجرفته. جلس
على ركبتيه، وبدأ الحفر بحماس، وكأن قلبه ينبض
بسرعة، بينما كانت لورا تمسك بالمصباح وتشعر بأن
الظلام يبتلع المكان. لكن مع مرور الوقت، بدأ الحفر
يزداد عمقًا دون أن يجد شيئًا، وأصبح الصمت أكثر ثقلًا.

أخيرًا، توقف إلياس فجأة، ونظر إليها بحدة، وكأن

نظرته تحمل تساؤلاً لم يكن يجرؤ على طرحه، ثم سأل
بصوت متوتر، محاولاً الحفاظ على تماسكه:

- هل أنت متيقنة من المكان؟

بلعت لورا ريقها وقالت بتوتر:

- نعم... متيقنة.

ثم نظرت إلى العلامة الحمراء وأضافت بقلق:

- لكن... هل يمكن أن يكون أحدهم قد

أخذ الصندوق؟

توقف إلياس للحظة، شاحب الوجه، كما لو أن
ذكريات اختفاء لارا في الغابة بدأت تطارده، وكلمات
إلين وسارة تتقاذف في ذهنه كوميض سريع. ارتجف
جسده بقوة، ودفعه شعور غريب إلى الرجوع. نظرت
لورا إليه بقلق، وشعرت بأن هناك شيئاً غير طبيعي
يحدث هنا، فابتعدت عنه بسرعة، وسألته بخوف:

- ما بك؟

أمسك بذراعها بقوة، وسحبها معه بخطوات

متسارعة نحو السيارة. صوته كان مليئاً بالغضب والخوف وهو يقول:

- علينا العودة... فوراً.

ركبت لورا السيارة بسرعة، وأغلقت الباب خلفها وهي ترتجف. نظرت إلى إلياس الذي كان يقود السيارة بسرعة جنونية، وعيناه تقدحان شرراً من شدة الغضب والقلق. قالت بصوت مرتعش:

- هل تعلم من أخذ الصندوق؟

لم يرد إلياس. كان صامتاً، ووجهه القاسي يشي بصراع داخلي. لم تجرؤ على تكرار السؤال، لكنها انكششت على نفسها، متمنية أن ينتهي هذا الكابوس سريعاً وتعود إلى حياتها الهادئة.

فجأة، قطع السكون صوت مكابح السيارة الحاد. انكفأت لورا للأمام قليلاً وصرخت بغضب:

- هل جنت؟! هل تريد قتلنا؟!

لكنها توقفت فجأة عندما رأت عينيّه مثبتتين على

الطريق أمامه. شفتاه تتحركان، يتمتم بكلمات غير مفهومة. كان صوته يرتفع تدريجيًا، كما لو أنه يخاطب شيئًا ما غير مرئي، حتى هداً تنفسه فجأة، واعتدل، والتفت إليها قائلاً بصوت هادئ لكنه مشحون بالرهبة:

- هل ترين ما أراه؟

تبعث لورا بنظرها إلى الطريق، واتسعت عيناها برعب. أشارت بيد مرتجفة وقالت بصوت متقطع:

- الص... الصندوق... هناك!

نظر إلياس إلى الصندوق الأسود المتربع وسط الطريق، وعيناه مليئتان بالغضب والتساؤل. قال بسخط، وكأن الكلمات تخرج من بين أسنانه:

- يبدو أن الشياطين يريدون اللعب معنا.

شهقت لورا بذعر، لكنها لم تستطع كبح شهقاتها المتتالية. استدار إليها إلياس بغضب، وقال بحدة:

- أغلقي فمك! هذا ما يريدونه... إثارة الخوف في قلوبنا ليتمكنوا منا.

مسحت لورا دموعها بيد مرتعشة، وحاولت استجماع شجاعته، ثم قالت بصوت مبحوح:

- ماذا علي أن أفعل؟

تناول إلياس نسخة من المصحف، وناولها إياها قائلاً:

- اقرئي منه بصوت عالٍ لتحصني نفسك. أما أنا، فسأنزل لأتعامل مع الصندوق.

ارتفع صوتها بعجلة وهي تقول:

- لكن... كيف ستحمي نفسك؟

فتح الباب بهدوء، وترجل من السيارة بخطوات ثقيلة، وكأن كل شيء بات متوقعًا. قال بثقة وهو يغلق الباب خلفه:

- أنا أحفظ هذا الكتاب عن ظهر قلب... وسأقرأه طوال الوقت.

اقترب إلياس من الصندوق بخطوات حذرة، وبدأ بتلاوة سورة الفلق بصوت مرتفع. كان الهواء حوله

يزداد برودة، وكأن المكان ينبض بطاقة غريبة. كلما اقترب، كان يشعر بأن شيئاً غير مرئي يراقبه.

عندما وصل إلى الصندوق، توقف لوهلة، ثم انحنى ليلتقطه. فجأة، بدأ الصندوق يدور حول نفسه بسرعة، وكأن هناك شيئاً يحاول مقاومته. لكنه لم يتوقف أو يتردد، فهو معتاد على مثل هذه الظواهر. وقبل أن يمسك به، اختفى الصندوق فجأة في الهواء، كما لو أن شيئاً ما يتحكم فيه.

شعر بشيء غريب يعبر جسده، لكنه لم يُظهر أي رد فعل. تمتم بهدوء وهو يعود إلى السيارة:

- لقد بدأت الحرب للتو.

استدار وعاد إلى السيارة بخطوات ثقيلة. فتحت لورا الباب له وهي تلاحقه بأسئلتها:

- ماذا حدث؟ أين الصندوق؟ هل رأيت شيئاً؟

أجاب إلياس بهدوء، دون أن يلتفت إليها:

- لا شيء...!

أغلق الباب خلفه، وأدار المحرك، بينما كانت السيارة تنطلق في الطريق بسرعة ثابتة، كما لو أن العالم من حوله قد أصبح معتادًا على هذا النوع من المواقف. كانت ملامحه جامدة، لكن عينيه كانتا مشغولتين فقط بما أمامه. لورا كانت تراقب رد فعله، تشعر بوجود شيء غير مريح بداخله، لكنها لم تجد الكلمات لتصفه. كان هذا جانب إلياس الذي لم يعهده أحد، واحتفظ به بعيدًا عن الأنظار.

أحست لورا بشيء ثقيل في قلبها، شيء يتسلل إليها رغم محاولاتها أن تكون قوية. قبضتها على المصحف تشتد، وكأنها تبحث عن شيء لتثبته.

في المنزل، كان جون وتانيا يقفان في الطابق العلوي أمام غرفة لارا، يستمعان إلى همومتها المنبعثة من الداخل. لم يجرؤا على فتح الباب، مكتفين بمراقبته بصمتٍ مشحونٍ بالقلق.

نظر جون إلى تانيا، وعيناه ممتلئتان بالخوف

والضعف. همس بصوتٍ مرتعشٍ، كأنه يهرب من
اعترافٍ لا يريد مواجهته:

- إنها تفعل ما فعلته كاميلدا... تانيا، ماذا لو انتهى
الأمر بالطريقة نفسها؟

حاولت تانيا أن تخفي مخاوفها خلف قناعٍ من الثبات.
قالت بصوتٍ هادئٍ، لكنه يحمل نبرةً خفيةً من القلق:

- الأمر مختلفٌ هذه المرة. تذكر أن نضع ثقتنا بالله...
ثم بإلياس. هذا الرجل يمتلك قوةً عظيمة، حتى هذا
الشيء الغامض يخاف منه كثيرًا.

شعر جون بقليلٍ من الطمأنينة يغمره، لكنه لم
يستطع التخلص من شبح الخوف الذي كان ينهش
روحه. تنهد وقال:

- أنتِ محقة... ذلك الرجل يحمل في قلبه إيمانًا قويًا
جعلني أشعر بأن الله لن يخذلنا. ربما هذه هي المرة
الأولى التي أستشعر فيها وجود الله بوضوح.

بدأ شعورٌ بالدفء يغمرهما، كأن الهواء المليء
بالخوف تحوّل فجأةً إلى نسيمٍ يحمل الطمأنينة. للمرة

الأولى، شعر جون بقوةٍ إلهية تحيط به، قوةٍ حقيقية لا تقبل الشك. همس لنفسه بكلماتٍ خرجت عفويةً من أعماقه:

- إنه معنا... الله معنا.

وكان تلك الكلمات كانت كل ما يحتاجه لمقاومة الضعف الذي خنقه منذ البداية.

فجأةً، قطع الصمت صوتُ الباب الرئيس وهو يُغلق. تبادلا النظرات، ثم أسرعوا نحو الدرج. عند نهايته، ظهر إلياس يصعد بخطواتٍ ثابتة، ملامحه غامضة لا تفصح عن شيء. كان وجهه يحمل شحوبًا خفيفًا، لكن عينيه كانتا تشعان بيقظةٍ مخيفة. خلفه، كانت لورا تقف عند مدخل المنزل، تحتضن كتابًا بيديها المرتجفتين. جسدها يرتعش، وعيناها شاردتان، كأنها تبحث عن مأوى من شيءٍ لا تستطيع الهرب منه.

تحدث جون بقلق، وهو ينظر إلى إلياس المتوجه نحو غرفة لارا:

- هل وجدتما الصندوق؟

رد إلياس بصوتٍ حادٍّ وحازم:

- لم نجده.

لم يمنحهما فرصةً للرد. رفع يده وطرق الباب ثلاث مرات، ثم فتحه ودخل، دون أن ينتظر إذنًا.

داخل الغرفة، كان المشهد أشبه بكابوسٍ حيٍّ. وجد لارا تقف أمام الجدار المحفور، عيناها شاخصتان، كأنهما تحديقان في شيءٍ لا يُرى. شفتاها كانتا تتمتمان بكلماتٍ غير مفهومة، وجسدها متيبس، ويدها ممدودة نحو الرموز المحفورة على الجدار، كأنها تجذبها قوةٌ غامضة.

تحرك إلياس بسرعة، أمسكها بقوةٍ وسحبها بعيدًا عن الجدار. للحظةٍ، شعرت وكأن قوةً لا تُرى تحاول إبقاءها مكانها، لكن بمجرد أن لمسها، ارتخت وسقطت بين ذراعيه، فاقدةً للوعي.

جلس إلياس بجانبها، ووضع يده على رأسها، وبدأ يتلو آياتٍ من القرآن بصوتٍ ثابتٍ وقوي. كان صوته أشبه بضوءٍ يخترق عتمةً كثيفة. تدريجيًا، بدأت ملامحها

تهدأ، وأنفاسها تنتظم، كأن العاصفة التي كانت بداخلها قد خمدت.

حملها إلياس برفقٍ ووضعها على السرير، لكن ملامحه كانت مشدودة. استدار إلى جون وتانيا، كانت عيناها كجمرتين متقدتين بغضبٍ مكتوم.

ثم زار بصوتٍ هزّ جدران المنزل، وكأنه انفجارٌ مفاجئ. قال بحدةٍ وهو ينظر إلى جون وتانيا بنظراتٍ اخترقت أعماقهما:

- ألم أخبركما أن تنتبها عليها... كيف تتركانها وحيدة؟!

فرك جون يديه بعصبية، وعيناها تهربان من نظرات إلياس، وكأنهما تحاولان التعلق بأي ذريعة، بأي مبرر قد ينقذهما من هذا الذنب:

- كنا... كنا خائفين، إلياس. ظننا أن نينا هي من بالداخل... وأنت تعرف ماذا يمكن أن يحدث لو اقتحمنا خصوصيتها.

تقدم إلياس نحوه بخطواتٍ بطيئة، لكنها كانت تحمل

ثقلًا مخيفًا. نظر إليه نظرةً اخترقت أعماقه، ثم قال بحدة:

- وهل تنتظر إذنًا من نينا لترى ابنتك؟!

حاولت تانيا التدخل، لكن إلياس قطع كلماتها بصوتٍ مزمر:

- إذا استمررتما بالخوف مما يحدث هنا، فستنتهي بكم الأمور جميعًا مثل كاميلا وميليسا... متحيرين على تلك الشجرة!

ارتفع صوته أكثر، كأنه يحطم حواجز الخوف داخلهما:

- هل هذا ما تريدانه؟ أم ستتوقفان عن الخوف من كائناتٍ جبانةٍ تختبئ خلف الجدران وتعبث بعقولكم؟!

تبادل جون وتانيا نظراتٍ يملؤها الذعر، لكن لم ينبس أحدٌ منهما ببنت شفة. حينها، ضرب إلياس بيده على الطاولة بقوة، فاهتزت الغرفة تحت وطأة صوته، وجعلت لارا تنتفض من مكانها، تستيقظ بفرع، تتنفس بصعوبة، وعيناها تجولان في الغرفة كأنها تبحث عن شبحٍ يطاردها.

وقعت نظراتها أخيراً على إلياس، الذي اقترب منها،
ونظر إليها بحدة، صوته كان ثابتاً لكنه محمّلٌ بثقلٍ لا
يُحتمل:

- أين نينا؟ أظهرها لي الآن!

تجمدت لارا للحظة، وكأن عقلها يحاول استيعاب
كلماته. ثم انكمشت على نفسها، وارتجف جسدها من
شدة الارتباك. همست، وكأنها لا تفهم ما يحدث:

- لا... لا أعرف.

أغمض إلياس عينيه لفترة، وكأنه يحاول كبح الغضب
الذي بدأ يعصف به. ثم قال بصوت أخفض لكنه أكثر
إلحاحاً:

- لارا... اجعلي نينا تظهر الآن.

انهارت لارا على الكرسي، وضعت رأسها بين
ركبتيها، كانت تهز جسدها بلا وعي، كأنها تحاول طرد
الألم والخوف من أعماقها. ارتعشت شفتاها، وهمست
بصوت بالكاد يُسمع:

- نينا... اظهري الآن. ماذا فعلت بنا؟

ساد الغرفة صمت ثقيل، وكأن الهواء أصبح كثيفاً لا يُحتمل. كانت أعين الجميع متسكرة عليها، وهي تبدو وكأنها تغرق في بحر من الظلال. كان الحزن والشفقة يخيمان على الأجواء، وكأنهما شاهدان على انهيارها البطيء.

داخل رأس لارا، كانت الأصوات تتصارع، أفكارها تتداخل، كأنها محبوسة في متاهة بلا مخرج. كان صوت نينا يهمس في أعماقها، كالأفعى التي تلتف حول فريستها.

انزلقت دمعة حارقة على خدها، وقالت بصوت متحشرج، مليء بالخذلان:

- ظننتُ أنكِ هنا لمساعدتي... لأنني ضعيفة. وثقت بك، شعرت بالأمان معك... لماذا خذلتني أنتِ أيضاً؟

قالت سارة داخل عقلها، بصوت هادئ لكنه قاطع:

- أنتِ بأمان، لارا... طالما أن الطبيب هنا، لا تخافي.

ثم تابعت، وكأنها تكتم غضبها بصعوبة:

-أما أنتِ يا نينا... فأقسم بمن رفع السماوات بلا
عمد، سأجعلك تغادرين هذا الجسد للأبد. هذا وعد
أقطعه للارا.

كان الجميع يراقبون لارا بقلق، ولم يسمعوا العاصفة
التي تشتعل داخلها. أما إلياس، فبعينين حادتين، كان
يراقب كل حركة في جسدها، كأنه يعلم ما ستفعله
قبل أن تفكر فيه. رأى شفتيها تتحركان دون أن تصدرا
صوتًا، وأصابعها ترتعش بشكل لا إرادي.

تعالَتْ ضحكة نينا داخل رأس لارا، كانت هستيرية،
قادمة من أعماق الظلام. قالت بصوت ساخر يحمل نبرة
لاذعة:

-أوه... سارة، هل تعلمتِ هذا القسم من الكتاب
الذي أعطاك إياه ذلك الطبيب المختل؟ هل تنوين أن
تصبحي فتاة متدينة الآن؟ يا لك من مسكينة!

ثم أكملت ضحكها، وكأنها تستمتع باللعب
بمن حولها.

ردّت سارة بضحكة خفيفة، لكن في داخلها اشتعل
تحدّ واضح:

- ربما... أليس ذلك الكتاب الذي أقرؤه هو من
أخرجك من مكانك المظلم؟ هل تظنين أنني لا أعلم
مدى خوفك أنت، ومن معك منه؟

تغير صوت نينا فجأة إلى نبرة غاضبة حادة، وصرخت
بعنف، متفوهة بأبشع الألفاظ، وكأنها تحاول
التشويش على كلام سارة. لارا، التي لم تستطع تحمل
الصراخ، أجهشت بالبكاء ووضعت يديها على أذنيها،
وهي تصرخ:

-كفى! أرجوك... كفى صراخًا!

قال جون بقلق، وهمس بصوت مرتجف:

-ماذا يحدث لها؟ إنها لا تتكلم لكنها... تبدو وكأنها

تصرخ من الداخل!

قالت تانيا بهمس، وعيناها ممتلئتان بالرعب:

-إنها تحارب... لكنها تحارب من؟

تدخلت إلين من داخل عقل لارا، بصوتها المليء
بالمرارة والحقد:

-أيتها الشيطانة... لقد خدعتني، وجعلتني أصدق
أكاذيبك. كيف جعلتني أقنع الطبيب أنك فتاة بريئة؟
كنت أظن أنك تحاولين إنقاذ لارا، لكنك كنت تحفرين
قبرها ببطء!

ابتسمت سارة بسخرية، وقالت:

-حينها كانت تستطيع التحكم بنا، لكن الآن... كلمات
ذلك الكتاب أفقدتها السيطرة علينا جميعًا.

انخفض صوت نينا فجأة، وكأنه أصبح همسة خبيثة
تخترق الآذان:

-أقسم إنني سأقتلكم جميعًا... وعلى رأسكم ذلك
الطبيب المتعجرف.

ارتعش جسد لارا فجأة بحركة عنيفة، وكأن روحها
تحاول الفرار. صرخ جون بعجز، وهو يقترب منها محاولاً
إمساكها، وصوته يخرج متهدجاً:

-إلياس! ابنتي ستموت!

اقترب إلياس منها بهدوء غريب، وكأنه معتاد على رؤية مثل هذه الحالات. حاول تثبيتها برفق، وقال بصوت منخفض لكنه صارم:

-توقفي، نينا، عن العبث بجسد هذه الفتاة المسكينة. أنتِ لا تخيفينني. إذا لم تتوقفي الآن... فسأبدأ بقراءة القرآن.

توقف جسد لارا تدريجيًا عن الاهتزاز، مما أصاب جون وتانيا بالدهشة. نظرا إلى إلياس، وكأنهما يريانها للمرة الأولى، غير مصدقين كيف استطاع السيطرة على الوضع بهذه الطمأنينة.

أكمل إلياس حديثه بالهدوء نفسه، لكن بصوت يحمل تهديدًا واضحًا:

-والآن... أظهرني نفسك، لننتحدث.

وفي اللحظة التالية، تحولت ملامح لارا، واغرورقت عيناها بسواد عميق، واشتعلت نظرتها بغضب قاتل. فجأة، انقضت على إلياس محاولة خنقه، وصرخت بصوت

مملوء بالخبث والمكر:

-منذ قدومك إلى هنا، وأنا أشعر بكرهية
شديدة لك!

أمسك إلياس يديها بقوة محاولاً إبعادها عن رقبتة،
وقال بصوت متهكم:

-لأنك تعلمين أن أمرك سينتهي... بإذن الله.

اندفع جون وتانيا لمساعدته، أمسكاً بها من خصرها
وسحبها بقوة، لكن جسدها النحيل كان يزن وكأنه
محمل بأثقال غير مرئية.

نهض إلياس، ومسح عنقه، ثم نظر إليها بحدة، وبدأ
يتلو آية بصوت ثابت جهوري:

(إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ
وَخَافُونَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) آل عمران: 175

شهقت لارا، ارتجف جسدها، ثم صرخت متوسلة:

-توقف... توقف! سأساعدك، صدقني!

توقف إلياس عن القراءة للحظة، ونظر إليها بنظرة

تحمل الوعيد:

-إذا كنتِ تحاولين خداعي كما تفعل الشياطين
دائمًا... أقسم إنني سأحرقك بكلام الله.

هزّت رأسها بخوف شديد، والدموع تتساقط من
عينيهما. قالت بصوت متقطع:

-لا... لا... أريد المساعدة... أريد...

اختلف صوتها فجأة، وكأن قواها قد تلاشت. تغيرت
تعابير وجهها إلى الخوف، ومسحت دموعها بكم
قميصها المرتعش. نظرت إلى إلياس، وقالت بصوت
خافت:

-أعتقد... أنها لا تستطيع المواجهة.

مدّ إلياس يده لها، وقال بصوت دافئ:

- سأخلصك من هذه الشخصية الخبيثة قريبًا... أعدك.

أمسكت بيده وسارت معه، وقد أطرقت برأسها بحزن.
قالت بنبرة ضعيفة منكسرة:

-كنتُ أحب نينا... لكنها خذلتني.

إلياس، بابتسامة هادئة وملؤها الطمأنينة:

- لا تحزني على من خذلك يا لارا. أحيانًا نحتاج إلى الأشخاص السيئين في حياتنا لتتعلم. هم يجعلوننا أكثر وعيًا، ويرشدوننا إلى الحقيقة بأن الحياة مليئة بالخير والشر. لكن علينا أن نحذر دائمًا، وألا نمنح ثقتنا بسهولة لأي شخص، مهما بدا قريبًا منا.

لارا، بصوت متهدج:

- لكن... كنت أشعر معها بالأمان... حتى لو كان كل شيء كذبة.

إلياس، وهو يمسك بيدها برفق:

- الأمان الحقيقي لا يأتي ممن يخدعنا، بل ممن يريد الخير لنا بصدق.

استدارت لارا نحو جون وتانيا، وعيناها تفيض بالدموع، وشفتاها المرتعشتان بالكاد استطاعتا تشكيل كلمات متقطعة ومملوءة بالانكسار:

- أنا... آسفة. كانت تقنعني أنكما سبب كل ما أنا

فيه، لذلك ابتعدت عنكما.

في لحظة، تحطمت الحواجز التي صنعتها نينا بينهم.
ركض جون وتانيا نحوها بسرعة، ودموعهما تنساب
بغزارة كأنها تعبر عن كل الندم الذي خنقهما طويلاً.
عانقاها بحرقة، وكأنهما يحاولان إعادة اللحظات
الضائعة.

همس جون، وصوته مختنق بالدموع:

- لا تعتذري، لارا... نحن من يجب أن يعتذر. سامحينا
لأننا سمحنا لتلك اللعينة أن تفصل بيننا.

أضافت تانيا بصوت متهدج، ودموعها تخنق الكلمات:

- الماضي انتهى يا صغیرتي... المهم أننا الآن معك.
الحمد لله الذي أعادك إلینا.

كان المشهد يشبه لوحة مشبعة بالمشاعر، حيث
امتزجت دموع الألم بدموع الفرح، وكأن العائلة بدأت
تعيد بناء جسور الحب التي هدمها الخوف.

وقف إلياس على مقربة، يراقب المشهد بصمت

ثقيل. شعر بسعادة خافتة تمر في قلبه، لكنها كانت أشبه بومضة وسط ظلام لا يزال يحيط به.

قبل أن يغادر الغرفة، لفتت الرموز المحفورة على الجدران انتباهه. استدار ببطء، وعيناه تراقبان تلك الرموز بنظرة ثاقبة، شعر بوجود شيء غريب يراقبهم، صامتًا لكنه مليء بالخبث، يتربص اللحظة المناسبة للانقضاض.

تمتم إلياس لنفسه، وصوته بالكاد يُسمع:

- لن أدعك تنال مرادك... هذا وعد.

ثم غادر الغرفة بخطوات واثقة، تاركًا خلفه عائلة بدأت تلملم شتاتها، وتواجه ظلام الماضي بجرأة جديدة.

كان الجميع في غرفة الجلوس، يحاولون استجماع أنفاسهم بعد يوم طويل مشحون بالتوتر والخوف. ساد الصمت المكان إلا من صوت القرآن الكريم الذي كان يتردد في الأرجاء، كأنه درع يحارب ظلامًا غامضًا متربصًا

خلف الجدران. الكلمات المباركة بدت وكأنها تخترق أعماق القصر، تملأ الهواء بطاقة نور تشق طريقها لتبدد الشر المستتر فيه.

إلياس جلس في زاوية الغرفة، عيناه شاخصتان نحو الفراغ كأنهما تبحثان عن تفسير لما يحدث. بدا عليه الهدوء، لكنه كان أشبه بالهدوء الذي يسبق العاصفة. قطع السكون صوت لورا، مرتعشاً في بدايته، لكنه سرعان ما تحول إلى احتجاجٍ غاضب:

-أريد العودة إلى منزلي! لقد أخبرتكم بكل شيء.

ارتفعت نبرتها، محاولة كسر الجدران التي فرضها الموقف عليها. لكنها لم تكن وحدها الغاضبة... ففي الظل، كان هناك شيء آخر يراقب، يتحين الفرصة ليزرع الفوضى من جديد.

أطفأ إلياس صوت القرآن بهدوء، ثم التفت إليها بنظرة ثابتة تحمل صرامة وثقة، لم يكن صوته عاليًا، لكنه حمل ثقلًا جعل الجميع يلتزمون الصمت:

- ستبقين هنا... حتى ينتهي هذا الكابوس.

اشتعلت النار في عينيها، نهضت فجأة، تشير بيدها بعصبية، وكأنها تحاول دفع القيود عنها:

- لماذا؟ لماذا يجب أن أبقى هنا؟ هذه مشكلتكم، وليست مشكلتي!

كانت ترتجف، لكنها لم تكن ترتجف خوفاً... بل شيئاً آخر. شيئاً أعمق، أكثر ظلاماً.

ظل الجميع صامتين. جلست تانيا وجون في أماكنهما كأنما استسلما لقيادة إلياس، لكن التوتر كان بادياً في أعينهما يريدون سماع تبرير لرفضه.

تنهد إلياس، لكن عينيه لم تفارقا وجهها، قال بحذر:

- ما حدث في طريق عودتنا يجعل مغادرتك خطراً عليك. الشياطين لن تدعك بسلام.

رفع جون حاجبيه بدهشة، واندفع متسائلاً:

- ماذا حدث؟ ماذا رأيتما هناك؟

لكن لورا تجاهلت سؤاله، قبضت يديها بشدة، وحدثت في إلياس بتحدٍّ جريء:

- أنا لست ضعيفة! أستطيع حماية نفسي!

لم يبدُ أن كلماتها أثرت في إلياس، وكأنه سمع هذا التحدي من قبل، ربما من أرواحٍ أخرى حاولت المقاومة... وانتهت إلى مصيرٍ مظلم. التفت إلى جون، متجاهلاً تحديها، وقال بجديّة قاتمة:

"بحثنا عن الصندوق... لكنه لم يكن هناك. وبينما كنا عائدين، ظهر فجأة في منتصف الطريق."

شعرت لورا برغبة غامرة في الصراخ، قبضت يديها بشدة حتى غرزت أظافرها في راحتيها وهي تشتمه بصمت. أما تانيا، التي بدت على وشك الانهيار، فأمسكت بيد لارا بحنان، وقالت بصوت مرتعش:

- هل أحضرته معك؟ هل هو هنا؟

هز إلياس رأسه بالنفي، وعيناه تغرقان في استرجاع المشهد:

- لا. عندما اقتربت منه، بدأ يدور حول نفسه بجنون، ثم... اختفى.

ضرب جون الطاولة بقبضته، وقال بصوت
مملوء بالمرارة:

- تلك الشياطين اللعينة! إنها تعبت بنا!

لم يرد إلياس، بل أسند ظهره إلى الأريكة، رفع
عينيه نحو السقف وكأنما يبحث عن إجابة خفية. قطع
الصمت بعد لحظة، وقال بنبرة باردة لكنها مخيفة:

- يجب أن تُغلق غرفة لارا. لا أريدها أن تعود
إليها أبدًا.

هزت لارا رأسها بعنف، غرقت عيناها في خوف
غامض، وجسدها ارتعش كأنها تحاول التمسك بشيء
ما. صرخت بصوت متقطع:

- لا! لا أستطيع... لن أبتعد عن غرفتي!

ربتت تانيا على رأسها بحنان، تحاول تهدئتها، وقالت
بصوت يائس:

- لا تقلقي يا صغيرتي... إلياس يعرف مصلحتك.

لكن الصوت الذي خرج من لارا لم يكن صوت فتاة

خائفة. كان صوتًا آخر، أجش، غاضبًا، محملاً
بكراهية متوحشة:

- قلت لا! لن أترك غرفتي!

أخذ إلياس نفسًا عميقًا وزفره ببطء. نهض من مكانه
بهدوء مهيب، وتقدم نحوها بخطوات ثابتة، عندما رآته
لارا يقترب، انكمشت على نفسها، ودفنت وجهها في
حضن تانيا، وكأنها تبحث عن حماية من نظراته الثاقبة.
انحنى إلياس حتى أصبح وجهه بمستوى وجهها،
وقال بصوت منخفض، لكنه محمل بالهيبة:

- انظري إليّ، لارا.

رفعت رأسها ببطء، لكن عينيها رفضتا الالتقاء
بعينيها. لكن استجابت أخيرًا لنبرته الحازمة. أكمل بصوت
أكثر صرامة:

- لن تعودى إلى تلك الغرفة. هل تسمعيني، نينا؟
توقفي عن العبث بعقلها.

هزت لارا رأسها بخضوع. ابتسم إلياس بخفة، وقال

بنبرة هادئة لكنها جادة:

- هل يمكنني التحدث مع سارة الآن؟

أغمضت لارا عينيها للحظات، وبدأت ملامحها تتغير تدريجيًا. استرخت عضلات وجهها وكأنها تسلم زمام السيطرة لشخص آخر. عندما فتحت عينيها مجددًا، كان الهدوء الغريب يلف ملامحها، نظراتها الواثقة مغايرة تمامًا لما كانت عليه قبل لحظات. وجدت نفسها بين ذراعي تانيا، فتراجعت بلطف، وابتعدت عن حضنها.

قالت بصوت هادئ لكنه حاسم:

- آسفة... لكني لا أحب أن يلمسني أحد.

تألقت عين تانيا بحزن خفي، لكنها أجابتها بابتسامة متفهمة، تحمل أكثر مما تقول:

- لا بأس يا صغيرتي.

قطع إلياس الصمت، وقال بصوت جاد ومباشر:

- سارة، أحتاج مساعدتك لأنني أثق بك.

ابتسمت سارة بثقة وأجابت:

- وأنا مستعدة للمساعدة.

انعكست لمحة من الارتياح في عيني إلياس، لكنه كان يعرف أن القادم لن يكون سهلاً. قال بنبرة واثقة، لكنها محملة بثقل الخطر:

- غداً، بإذن الله، سنجري جلسة تنويم مغناطيسي للارا. أحتاج إلى التحدث مع نينا، دون أن تتحول الأمور إلى كارثة. لكن علينا أن نتحصن جيداً قبلها.

تردد صوت جون القلق في الغرفة وهو يقول:

- هل ستكون هذه الجلسة آمنة على ابنتي؟

التفت إليه إلياس بهدوء، ونظرة طمأنينة تتسلل من عينيه، لكنه لم يخلُ من الحذر وهو يقول:

- لا خطر على لارا، لكن لا أحد يستطيع التنبؤ بما قد تفعله نينا. علينا أن نكون على أتم استعداد لأي طارئ. عصفت ذكريات أفعال نينا المروعة في ذهن جون، فانفجر واقفاً وكأن نينا تخنقه، وصرخ بصوت مملوء بالألم:

- لا! لن أسمح بذلك. لقد رأيت ما حدث لكاميلدا... لن

أتحمل خسارة ابنتي بالطريقة نفسها!

رفعت تانيا يدها محاولة تهدئته، لكن رعشة صوتها

كشفت خوفها العميق:

- إلياس، نحن نثق بك... لكن هذه الشياطين... إنها

أقوى مما تتصور.

انعقدت عضلات وجه إلياس، والغضب يتسلل إلى

عينيه، لكنه استجمع نفسه بصعوبة. قال بنبرة حادة

لكنها مكتومة:

- الخوف الذي تسمحون له بالسيطرة عليكم هو

بابهم إليكم. إن أردتم هزيمتهم... فأغلقوا هذا الباب!

قبل أن ترد تانيا، تسلفت أصوات خطوات غاضبة في

أرجاء القصر. همسات خافتة، تهمس لإثارة الرعب في

نفوسهم. توقف إلياس فجأة عن الكلام، وأمال رأسه

نحو مصدر الصوت. ثم دوى صوت تحطم الأطباق في

المطبخ.

تسمرت عيونهم نحو الباب، وأنفاسهم المتوترة

خيمت على الغرفة. سار جون بحذر نحو المطبخ، بينما بقي الآخرون في أماكنهم، يحدقون في الظلال التي بدأت تتحرك ببطء على الجدران بفعل الضوء الخافت، وكأن كياناً خفياً يراقبهم بصمتٍ لئيم.

ضحك إلياس فجأة، ضحكة مفاجئة لكنها مليئة بالغضب، وكأنها صرخة في وجه الخوف نفسه. قال بصوتٍ أشبه بالزئير:

- هذه النظرات المرتعبة... هي غذاؤهم! خوفكم وقودٌ لهم، ليزدادوا قوة!

التفت إلى سارة، مشيراً إليها بحزم وإصرار:

- غداً صباحاً، أريدك في مكتبي. افعلي ما طلبته منك، ولا تتركي مجالاً للشك أو التردد.

رفعت سارة رأسها، وعيناها تشعان بتحدٍّ صامت، وقالت بثبات:

- لا تقلق، سأكون مستعدة. نينا وأعوانها؟ لا شيء أمام من يثق بالله.

هز إلياس رأسه برؤًا، وابتسم ابتسامة خافتة، وكأنه وجد أخيرًا من يشاركه عبء المواجهة.

في هذه اللحظة، كان الجميع صامتين. لكن الصمت لم يكن سكونية، بل صراعًا داخليًا يملكهم. لورا كانت تغوص في أفكارها المتشابكة، بين خوفٍ يريد أن يدفعها للهروب، وشجاعةٍ غامضة تدعوها للمواجهة.

قطعت الصمت بصوتٍ مرتعش، لكنه مفعم بالعزم:

- أنا... أريد أن أساعدك أيضًا. أريد إنهاء هذه اللعنة التي دمرت حياتنا وأرواح الكثيرين.

نظر إليها إلياس، في عينيه بريق امتنانٍ واحترام لشجاعته غير المتوقعة. ثم حوّل بصره نحو جون وتانيا، اللذين بدت ملامحهما خليطًا من الخوف وعدم التصديق. هز رأسه بأسى، وكأنه يدرك أنه لن ينال ثقتهم بسهولة.

وقف بهدوء، تاركًا الغرفة بخطواتٍ ثقيلة، وكأنه يحمل جبالًا على عاتقه. عند باب غرفته، توقف للحظة، ووجهه مغطى بظلٍّ عميق بفعل الضوء الخافت.

همس بصوتٍ بالكاد يُسمع:

- غداً... لن أسمح لكم بالتلاعب بنا مجدداً.

ثم أغلق الباب خلفه ببطء، تاركاً أصداء كلماته تتردد في ممرات القصر، وكأنها مواجهة أخيرة تتحدى ظلاماً لا يريد الرحيل.

في صباح اليوم التالي، استيقظ إلياس وهو يشعر بثقلٍ يضغط على صدره، كأنّ الكوابيس التي رافقته طوال الليل كانت تلاحقه حتى بعد استيقاظه. جلس على حافة السرير، يمرر يديه على وجهه في محاولةٍ لطرد بقايا الظلام التي علقت في ذهنه. رغم الإرهاق الذي ينهش جسده، شعر بشيءٍ داخله يدفعه للنهوض.

بعد أن أدى صلاته، جلس بهدوءٍ ممسكاً بالمصحف، فتح صفحاته ببطء، كأنه يبحث عن السكينة بين السطور. بدأ يقرأ بصوتٍ خافتٍ عذب، الكلمات تردد صداها في الغرفة، حاملةً معها شعوراً بالنور

والطمأنينة. كان يقرأ وكأنّ كل آيةٍ درعٍ يحميه من ظلام العالم الخارجي، وكأنّ الهواء من حوله أصبح أكثر نقاءً مع كل كلمة.

بعد أن انتهى، أغلق المصحف ووضعه بعنايةٍ بجانب سريره. وقف واتجه نحو النافذة، فتحها ببطء، ليدخل نسيم الصباح البارد، يلامس بشرته كأنه ينبهه إلى أن اليوم يحمل معه الكثير من الأحداث. أغمض عينيه للحظة، واستنشق الهواء بعمق، ثم زفره ببطء. همس لنفسه بابتسامةٍ صغيرةٍ ترتسم على شفتيه:

- الحمد لله.

بخطواتٍ ثابتة، توجه نحو المنضدة التي تعج بالأدوات التي يحتاجها لجلسة اليوم. بدأ يرتبها بدقة، يفحص كل شيءٍ بعناية، خشية أن ينسى أي تفصيلٍ صغير. وضع الأدوات في حقيبته الجلدية، ثم أمسك بالمصحف، وضمه إلى صدره، وهمس بصوتٍ يحمل الإصرار:

- يا رب، كن معي. اليوم لن أسمح لهم بالسيطرة.

خرج من غرفته ولسانه يلهج بذكر الله، وكأنّ كلماته كانت تبني حوله حصناً من الهيبة والقوة. نزل الدرج بخطواتٍ خفيفة، لكنه ما أن وصل إلى الطابق السفلي حتى وجد الجميع مجتمعين في غرفة الجلوس. على وجوههم ارتسمت علامات القلق والخوف، وكأنّ المكان نفسه كان يشاركهم ذلك التوتر.

ابتسم إلياس لهم ابتسامةً دافئة، كأنها شعاع ضوءٍ وسط الظلام، وقال بصوتٍ رخمٍ مليءٍ بالثقة:

- صباح الخير. جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

رد عليه جون بصوتٍ متعب، وهو يضغط على رأسه بأطراف أصابعه بحركةٍ دائرية:

- صباح الخير.

لحقت به تانيا، لورا، ولارا، لكن أصواتهم كانت خافتة، وكأنها مرهقةٌ من الليلة الماضية.

اقترب إلياس من جون، وحدّق فيه بفضول:

- هل أنت بخير؟

رفع جون رأسه ببطء، وقال بصوتٍ متحشرج:

-أشعر بصداعٍ شديد... ربما لأنني لم أنم جيدًا. كانت الكوابيس تلاحقني طوال الليل.

تقدمت تانيا نحوه وهي تحمل كوب ماءٍ ودواء، وقالت بلطف:

- تفضل عزيزي، هذا سيساعدك.

تناول جون الدواء، وشرب الماء دفعةً واحدة، ثم أطلق تنهيدةً طويلة. نظر إليه إلياس بابتسامةٍ مشجعةٍ وقال:

- أتمنى لك الشفاء العاجل.

التفت بعدها نحو لارا ولورا، وأشار إليهما بيده قائلاً:

- تعاليا معي إلى المكتب، أحتاجكما الآن.

نهضت لورا دون تردد، بينما لارا بقيت متسقرةً في مكانها، تنظر حولها بتوتر. اقتربت منها لورا، وابتسمت لها بود، وقالت بصوتٍ هادئ:

- هيا يا لارا، كل شيءٍ سيكون على ما يرام.

لكنّ لارا لم تتحرك، كانت يداها ترتعشان، ونظراتها
تعكس خوفًا غامضًا. اقتربت تانيا بدورها، وجلست
بجانبها، وأخذت يدها برفق قائلة:

- حبيبتي، نحن معك. والدك وأنا لن نتركك تواجهين
هذا بمفردك.

شعرت لارا ببعض الاطمئنان، وضعت يدها الباردة في
يد والدتها، ونهضت ببطء. كانت خطواتها ثقيلة، كأنّ
كل خطوة تقودها نحو مجهولٍ يهددها.

ابتسم إلياس لها، وقال بصوتٍ مرح:

- ها قد وصلت بطلتنا الشجاعة.

ارتسم شبح ابتسامةٍ على وجهها المرتبك، لكنها لم
تقل شيئًا. اقترب منها إلياس، وأمسك بذراعها برفق،
صوته كان دافئًا، لكنه يحمل نبرةً حازمة:

- أريدك أن تستلقي على السرير. استرخي تمامًا،
وثقي بأنك في أيدي أمينة.

ترددت لارا للحظة، لكنها استجابت له في نهاية

الأمر. استلقت على السرير، تشعر وكأنها تخوض معركة داخلية بين الخوف واليقين. كانت كلمات إلياس وكأنها حبل نجاة تتمسك به وسط بحرٍ من الظلام.

جلست تانيا بجانبها، وبدأت تلمس رأسها بحنان، تتمتم بالكلمات التي أوصاهم إلياس بتكرارها لتحسين أنفسهم من أي أذى. أغلقت لارا عينيها، تحاول إجبار نفسها على الاسترخاء.

في هذه الأثناء، كان إلياس يتحدث مع لورا، يطلب منها قراءة بعض السور في أرجاء المنزل لتحسينه. انصاعت لورا لأوامره بشجاعة، وغادرت لتنفيذ ما طلب منها.

بينما كان إلياس ينظم أدواته على الطاولة بحذر، رفع رأسه فجأة وسأل تانيا:

- أين جون؟ يجب أن يكون هنا، وجودكما بجانب لارا يمنحها شعورًا بالأمان.

نظرت إليه تانيا بتعابير مليئة بالحزن والقلق، واقتربت منه قائلة بصوتٍ منخفض:

- جون ليس بخير، لا أعلم إن كان هذا بسبب خوفه
على لارا أم أن هناك شيئاً آخر يلعب بعقله كما حدث
سابقاً. طوال الليل كان يستيقظ من النوم مرعوباً،
وكأن كابوساً يطارده.

رَبَّتْ إيلياس على كتفها بلطف، وقال بصوتٍ مطمئن:

- لا تقلقي... سأذهب للتحدث معه الآن.

داخل عقل لارا، حيث الأفكار تتشابك كخيوط
العنكبوت، كان الصمت يسبق العاصفة. الجو مشحون،
لكنه لم يكن بالبرودة المعتادة. كان هناك دفء خفي،
كأن الضوء يحاول أن يشق طريقه عبر الظلام.

تحدثت سارة بصوتٍ هادئ لكنه مطمئن، يحمل في
نبرته يقيناً لا يتزعزع:

- لارا، لا تخافي. لقد حصّنتكِ جيداً، ولن تستطيع نينا
السيطرة عليكِ بإذن الله. قوتها تتراجع، وكلما ثَبَّتْ
قلبك على الحق، ضعف تأثيرها عليكِ.

قاطعتها إلين بنبرةٍ يملؤها العتب، لكنها لم تخلُ
من الحنان:

- رغم أنكم لم تطلبوا مساعدتي، إلا أنني هنا. كنت دائماً هنا من أجلك، وسأظل كذلك. لكنني بحاجة لأن أراكِ تقاتلين، لا أن تستسلمي لها في كل مرة تهددكِ.

ترددت لارا للحظات قبل أن تهمس بصوتٍ خافت، يكاد يخفي خلفه خوفاً متجذراً:

- لكن ماذا لو لم أكن قوية كفاية؟

رَنّ صوت سارة داخل عقلها، ثابتاً كجذر شجرة ضاربة في الأرض:

- القوة ليست في عدم الخوف، لارا، بل في مواجهته رغم ارتجاف قلبك. الإيمان ليس مجرد كلماتٍ تُقال، بل يقين يملأ روحك حتى يصبح درعاً لا يُكسر.

أضافت إلين بنبرةٍ واثقة، كأنها تقطع الشك بسيفٍ من الحقيقة:

- دعيني أخبركِ بشيء، لارا... نينا ليست قوية كما تظنين. هي فقط تعرف كيف تلعب بعقلك، كيف تزرع

فيك الشكوك حتى تخافي منها. لكنها لا تملك أي سلطة حقيقية عليك. السلطة الوحيدة هنا... لك وحدك.

ترددت لارا، وكأنها تبحث عن إجابة وسط ضجيج أفكارها، قبل أن تهمس:

- لكن... كيف أوقفها؟ كيف أمنعها من التسلسل إلى رأسي؟

تسللت كلمات سارة إلى داخلها، دافئة كضوء شمعة وسط ظلام دامس:

- بالثبات على الإيمان واليقين بالله... نينا لن تحتل هذا النور.

تبعها صوت إلين، قويًا كريح تهب جدران الخوف:

- والأهم... لا تمنحها خوفك. نينا تعيش عليه، كلما خفت منها، ازداد نفوذها. لكنها بلا خوفك... لا شيء.

في تلك اللحظة، تلاشت الضوضاء داخل رأسها. فتحت لارا عينيها... لكن هذه المرة لم تكن النظرة

المرتجفة المعتادة. كان في عينيها بريقٌ جديد، كأنها ترى الأمور بجلاء لم تعهده من قبل. أدركت شيئاً مهماً... نينا لم تكن السجّانة، بل كانت هي من أبقى الباب موصداً من الداخل.

دخل إلياس غرفة الجلوس بخطوات هادئة، ووجد جون يجلس على كرسي بجانب النافذة، عيناه تحدقان في الخارج بنظرة شاردة، وكأنه غارق في دوامة من الأفكار والذكريات المؤلمة.

تحدث إلياس بصوت هادئ لكنه مشبع بالقوة والثبات:

- جون، كيف حالك الآن؟

لم يلتفت جون، ظل يحدق في اللاشيء، وصوته حين خرج كان واهناً، مشبعاً بثقل الذكريات والندم:

- لست بخير... أشعر أنني أفقد السيطرة على نفسي. إنه الكابوس نفسه من جديد... كاميل... والآن لارا. لا أستطيع تحمل فكرة خسارتها.

ارتعشت نبرته، وكأن الكلمات ذاتها تحولت إلى جرح
غائر يعيد فتح نفسه مرة بعد مرة.

جلس إلياس على الكرسي المقابل له بهدوء، ونظر
إليه بتفهم عميق. قال بصوت يحمل طمأنينة:

- أعلم أن الأمر ثقيل عليك يا جون، لكن يجب أن تدرك
أن خوفك على لارا يجعل الأمور أصعب، ليس فقط
عليك، بل عليها أيضًا. الخوف هو الباب الذي يفتح
لهم.

عند تلك الكلمات، التفت جون أخيرًا، نظراته مليئة
بالقلق والمرارة، وكأنه يبحث عن قشة يتشبث بها قبل
أن يغرق تمامًا. قال بصوت مرتجف:

- وكيف لا أخاف؟ لقد فقدت كاميلًا؛ لأنني كنت
عاجزًا عن إنقاذها... والآن أعيش الكابوس نفسه مع
لارا. لا أريد أن أفقد ابنتي بالطريقة نفسها.

ثم أغمض عينيه بقوة، كأنما يحاول إغلاق الباب أمام
الذكريات التي تنهش داخله بلا رحمة.

ثبت إلياس نظره عليه، في عينيه يقين لا يتزعزع،
ونبرة صوته حين تحدث حملت إصرارًا يشبه ضوءًا يخترق
العتمة:

- جون، في الماضي لم تكن تعرف ما الذي تواجهه،
أما الآن فالأمر مختلف. نحن نعرف عدونا جيدًا، ونعرف
كيف نحاربه. ضع أملك بالله، فهو القوة التي لن
تخذلك أبدًا. هذه ليست معركتك وحدك.

أوماً جون برأسه، لكن ملامحه بقيت مثقلة بالشك،
وكأن قلبه لم يعد قادرًا على التصديق بسهولة. قال
بمرارة:

- الإيمان؟ بعد كل ما رأيت؟ تلك الشياطين أقوى
مما نتصور.

رفع إلياس رأسه قليلًا، وعيناه تلمعان بشيء لا
يمكن كسره، شيء نادر في هذا العالم: اليقين
المطلق. قال بثقة هادئة:

- نعم، هم أقوىاء فقط إذا سمحت لهم بذلك. لكن
القوة الحقيقية ليست عندهم، بل عندنا. قوتنا في

إيماننا بالله. عندما يرون هذه القوة في قلوبنا،
يصبحون أضعف مما تتخيل.

ثم مال قليلاً للأمام، نظر مباشرة في عيني جون،
وقال بجدية:

- جون، أنت تحب لارا، أليس كذلك؟

تجمد جون للحظة، ونظر إليه بدهشة، وكأن السؤال
غير متوقع. أجاب فوراً:

- بالطبع أحبها. إنها أغلى ما أملك في هذه الحياة.

ابتسم إلياس، ابتسامة هادئة لكنها تحمل معنى
أعمق، ثم نهض ببطء، وضع يده على كتف جون برفق،
وقال:

- إذا أثبت لها أنك أقوى من مخاوفك. خوفك
يضعفها، هي تحتاج أن تشعر بأن والدها هو السند
الذي لن يتخلى عنها. كن لها الصخرة التي تلجأ إليها،
وليس مرآة للخوف الذي يحاصرها.

أغمض جون عينيه للحظة، ثم زفر بعمق، وكأن

الهواء في رئتيه أصبح أثقل من أن يُحمل. رفع يديه،
مرّهما على وجهه في محاولة يائسة لطرد الإرهاق،
ثم همس بصوت بالكاد يُسمع:

- كيف يمكنني فعل ذلك؟ أشعر وكأنني على
وشك الانهيار.

نظر إليه إلياس نظرة مطمئنة، وقال بابتسامة
خفيفة تحمل ثقة لا تهتز:

- ابدأ بإيمانك بالله. جرّب أن تثق به حقًا. استمد
قوتك من الله ثم من حبك لابنتك، وثق أن كل خطوة
تخطوها لمواجهة خوفك هي خطوة لتحرير لارا مما
يطاردها.

ثم أضاف بصوت أكثر جدية:

- جون، حضورك في الجلسة اليوم سيحدث فرقًا
كبيرًا. لارا بحاجة إلى رؤيتك بجانبها، هذا سيعطيها
قوة وثباتًا للصمود والتخلص من هذه اللعنة.

صمت جون، فكر في كلماته بعمق، ثم رفع رأسه
ببطء، وأومأ بخفوت، قائلاً بصوت منخفض لكنه أكثر

صلاية من ذي قبل:

- سأحاول، إلياس... سأحاول.

ابتسم إلياس، وكأن تلك الكلمات كانت كل ما يحتاج أن يسمعه. قال بنبرة مشجعة:

- المحاولة هي كل ما أحتهجه منك الآن. تذكر أن كل خطوة صغيرة تُقربنا من النور. سنبدأ الجلسة بعد عشر دقائق.

نظر جون إلى إلياس وهو يغادر الغرفة بخطوات واثقة. بقي جالسًا، لكن الكلمات التي سمعها بدأت تجد طريقها إلى أعماقه. وضع رأسه بين يديه، وكأن ثقل العالم يضغط على كتفيه. فجأة، خرجت منه كلمات خافتة، مهزوزة لكنها صادقة:

- يا رب... إذا كنت تسمعني... أنا لا أعلم كيف أومن، لكنني أحتاج إليك. أشعر وكأنني أغرق في بحر لا قاع له. أنا عاجز، خائف، وتائه. إن كان لديك مكان لي، فأبعد عني هذا الألم، وأرني الطريق. فأني أحتاج إلى طمأنينة.

انسابت دموعه كأنها سيول حُبست لسنوات. كان يشعر لأول مرة أن هذا البكاء ليس ضعفاً، بل قوة جديدة تولد في داخله، كأن شيئاً في أعماقه بدأ يتغير. للمرة الأولى منذ سنوات، شعر جون بنور صغير ينبض في أعماقه.

في المكتب، كان الجو مشحوناً بالتوتر، وكأن الهواء نفسه يثقل على صدورهم. الجميع يراقبون لارا وهي مستلقية على السرير، يدها تمسك يد تانيا بشدة، كأنها تستمد منها الأمان وسط دوامة مخاوفها. لورا، من جهة أخرى، كانت تجوب الغرفة بخطوات حذرة، تقرأ آيات من القرآن بصوت خافت، وكأنها تحاول أن تنثر الطمأنينة في أرجاء المكان. أما إلياس، فكان يقف بالقرب من الطاولة، عيناه لا تفارقان الباب، ينتظر بصبر مشوب بالأمل ظهور جون لمساندة ابنته.

نظر إلياس إلى ساعته، ثم قال بنبرة حازمة
اخترقت الصمت:

- سنبداً الجلسة الآن.

فتحت تانيا فمها لتتحدث، لتخبره أنها ستذهب لإقناع جون بالانضمام، لكن صوت مقبض الباب وهو يُفتح، قطع كلماتها. التفت الجميع بلهفة نحو الباب، وظهر جون واقفاً بثبات لم يعهدوه من قبل. كان وجهه مشرقاً بنور لم يظهر عليه منذ وقت طويل، كأنه عاد من أعماق الظلام محملاً بالعزيمة. تقدم نحو لارا بخطوات واثقة، ثم انحنى وقبّل جبينها برفق، وقال بصوت ممتلئ بالإيمان:

- لدي يقين، يا صغیرتي، أن هذه المعاناة ستنتهي قريباً، وستحررين من كل القيود التي قيدتك. فقط تذكری... نحن جميعاً معك.

رغم التوتر الذي يعتصرها، ابتسمت لارا بخفة، بينما أمسكت تانيا بذراع جون بحنان، وكأنها تخبره بصمت أنها فخورة به.

راقب إلياس المشهد بشعور من الراحة، ثم نظر إلى جون وابتسم بحرارة:

- سعيد جداً بانضمامك إلينا، جون.

أوماً جون بابتسامة خافتة، لكن صوته كان ثابتاً حين قال:

- لنبدأ الجلسة.

مد إلياس يده إلى القلادة المعدنية ذات الشكل البيضوي، المصنوعة من الفضة الخالصة. كانت تتلأأ تحت الضوء الخافت، كأنها تحمل في طياتها جزءاً من الطمأنينة. اقترب من لارا، ونظر إليها بابتسامة واثقة، وقال:

- هل أنتِ مستعدة، لارا؟

صمتت لارا للحظة، ثم أومأت برأسها بخفة، وقالت بصوت خافت يكاد يُسمع:

- نعم... مستعدة.

ثبت إلياس نظراته عليها، وقال بحزم:

- سأحدث مع سارة أولاً. هل تسمحين لها بالظهور؟

أغمضت لارا عينيها ببطء، واجتاحت جسدها رعشة

خفيفة. تغيرت ملامحها تدريجيًا إلى هدوء مهيب،
وفتحت عينيها ثابتة واثقة. كانت سارة الآن هي التي
تتحدث. قالت بصوت ثابت:

- فعلت كل ما طلبت مني، أعتقد أننا
جاهزون للجلسة.

هز إلياس رأسه بامتنان، ومد يده ليصافحها، وقال
بصوت ممتن:

- شكرًا لك، سارة.

لكن ابتسامة سارة تلاشت فجأة، وحلّ مكانها تعبير
غاضب مصطنع. رفعت أحد حاجبيها بنظرة مستاءة،
وقالت بصوت ناعم، لكن مليء بالغيرة:

- أوه، يبدو أنك نسيت فتاة تدعى إلين... أليس لها
رأي أيضًا؟

ارتبك إلياس للحظة، لكنه سرعان ما تدارك نفسه،
وقال بمراوغة واضحة:

- وكيف يمكنني نسيانك؟ لكنك رقيقة جدًا على

مواجهة مثل هذه الأمور.

رمقته إلين بنظرة ساخرة، وسحبت يدها من يده بلطف، ثم قالت وهي تلوي فمها بتذمر:

- وكأنني سأصدقك!

ضحك جون فجأة، لأول مرة منذ وقت طويل، وهو يراقب هذا المشهد العفوي.

رفعت إلين حاجبيها بدهشة، ثم نظرت إلى جون بعرج، وأشارت إليه قائلة:

- حتى جون ضحك على كذبتك، سيد إلياس!

قفزت من السرير بخفة، وأخذت تدور في الغرفة بخطوات راقصة، تحرك يديها كأنها تؤدي عرضًا مسرحيًا. توقفت فجأة أمام لورا، التي كانت تحاول إخفاء توترها، ونظرت إليها بحدة مصطنعة، وقالت بغیظ:

- ومن هذه يا سيد إلياس؟

حاول إلياس إخفاء ابتسامته بصعوبة، وقال بصوت

يحاول أن يكون صارمًا:

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

- إنها هنا للمساعدة فقط.

أرخت إلين حاجبيها، وزفرت بارتياح، ثم وضعت يديها على خصرتها، قائلة بنبرة متفاخرة:

- حسنًا، إذا كنتم تواجهون نينا، فلا أحد أفضل من النجمة الساطعة، إلين العظيمة، في مواجهتها. الجميع يعرفون أنها تخاف مني!

رد إلياس وهو يرسم ابتسامة مأكرة:

- أنا أكثر شخص يعرف كم تخاف منك نينا.

نظرت إليه إلين بعبوس طفولي، لكنها سرعان ما أشرقت بالمرح، وهي تتجه نحو أدواته. التقطت إحدى القطع المعدنية، ثم أمسكت بمرآة صغيرة لتتفحص شعرها، وقالت بنبرة مفعمة بالحيوية:

- أوه، إنها من أجود الأنواع. لديك ذوق رائع يا سيد إلياس.

ضحكت تانيا بهدوء، رغم قلقها الواضح،

وقالت بلطف:

- إلين... هل يمكن أن نخبرينا بما تشعرين به الآن؟

وضعت إلين المرأة على الطاولة، ولقّت ذراعيها حول نفسها، وقالت بنبرة متذمرة:

- الجو هنا ثقيل للغاية... يجعلني أشعر بالملل. لماذا لا نلعب لعبة؟

ضحكت لورا بتردد، وقالت:

- لعبة؟ في هذا الوقت؟

استدارت إلين نحوها بسرعة، ورمقتها بنظرة حادة، لكنها قالت بصوت مرح:

- نعم، لعبة. ألا تعلمين أن الشياطين تكره اللعب؟ لهذا السبب أنا هنا... لإغضاب نينا وأعوانها!

- هل أخبركم سرّاً عن نينا؟

إنها عجوز شمطاء! تحاول أن تبدو مرعبة، لكنها في الحقيقة لا تستطيع حتى أن تجد كريم تجاعيد تخفي به تلك التجاعيد التي تلمع في الظلام!

انفجرت الغرفة بضحكة خفيفة، وكأنها استراحة من التوتر. اقتربت إلين من إلياس، ووضعت ذراعها في ذراعه، قائلة بتفاخر:

- ها قد نجحت في إزالة التوتر. هكذا تساعدكم إلين العظيمة!

نظر إليها إلياس بابتسامة ممتنة، ثم همس في أذنها كلمات جعلتها تقفز بسعادة، وعيناها تتسعان بحماس، وقالت بسعادة غامرة:

- لك ذلك، فقط ابقِ عند وعدك.

تقدمت نحو السرير بخفة كالفراشة، واستلقت عليه بهدوء. كانت تلك الابتسامة المشعة تضيء على الغرفة دفئاً غريباً، كأن حضورها ألقى بشعاع من الأمل. لكن هذا الشعاع لم يدم طويلاً؛ سرعان ما تغيرت ملامحها إلى اضطراب، وتسلسل شحوب مرعب إلى وجهها. انطفأ الضوء الذي أحضرته معها، وحلت مكانه ظلال ثقيلة تخيم على الغرفة بجوٍّ من الكآبة.

ساد صمتٌ ثقيل، كأن المكان بأسره حبس أنفاسه

في انتظار المجهول.

جلس إلياس بجانب لارا، عيناها متسقرتان على وجهها، تلتقطان كلَّ تغييرٍ طفيف في ملامحها، بينما أمسك جون وتانيا بيديها بحنان، كأنما يمدّانها بالقوة، يردّدان دعواتٍ خافتة، يتضرّعان إلى الله لإنقاذ ابنتهما. في الزاوية، اتخذت لورا موقفًا دفاعيًا، تمسك بورقةٍ مليئةً بالآيات، تردّدُها وكأنها تحاول تطهير المكان من شرٍّ مخيف يختبئ في الظلال.

كسر إلياس الصمت بصوتٍ عميق، يفيض بالهيبة والإصرار:

- لارا، أريدك أن تسترخي الآن. ركّزي فقط على صوتي... ودعي كلَّ شيءٍ آخر يتلاشى.

رمشت لارا بعينيها للحظة، كأنها تتردّد، لكنها أومأت بخفة، كأنما تستسلم للسلام الذي وعدها به. أخذ إلياس نفسًا عميقًا، وأخرج قلادةً فضية كانت تتلأأ تحت الضوء الخافت. بدأ يحركها أمام عينيها بحركةٍ دائريةٍ بطيئة، وقال بصوتٍ هادئ، لكنه مشبعٌ

بالطمأنينة:

- أنتِ الآن في مكانٍ آمن... مكانٍ لا يمكن لأحدٍ الوصول إليه. ركّزي على حركة القلادة، ودّعي السكينة تغمر قلبك، والهدوء ينساب إلى جسدك.

بينما تردّد صوته في أرجاء الغرفة، بدت لارا وكأنها تنفصل تدريجيًا عن واقعها. أنفاسها أصبحت أعمق وأكثر انتظامًا، وبدأ جسدُها يرتخي، كما لو كان يستسلم لسكونٍ داخلي.

همست تانيا بخوف، وهي تنظر إلى إلياس بقلق:

- هل سينجح هذا؟

أجابها إلياس، دون أن يحوّل نظره عن لارا، بنبرة حازمة:

- فقط امنحيها دعمك بالدعاء... واصمتي.

وفجأة، بدأت لارا تتمتم بكلماتٍ مبعثرة، كلماتٍ محقّلة بالغضب والحقْد. حاول إلياس فكّ شفرتها، لكنه لم يتمكّن من ذلك. رفع صوته بنبرة واثقة لكنها

- نينا، إذا كنتِ تسمعينني، فاظهري الآن!

لم تأتِ أيُّ إجابة، لكن إلياس واصل بالنبرة الحازمة نفسها:

- نينا، أعلم أنكِ تسمعينني الآن. مقاومتكِ لن تدوم. هذا الجسد ليس ملككِ، ولن أسمح لكِ بالاختباء أكثر! جاء صوتٌ عميق، مظلم ومليء بالحقد، كأنه ينبعث من أعماق الغرفة:

- لن تستطيع إخراحي. هذا الجسد لي... منذ أن ماتت والدتها!

استدار إلياس بجِدَّة، وقال بصوتٍ غاضب:

- ومن أعطاكِ الحق؟!

انطلقت ضحكةٌ متهكِّمة من نينا، ثم زادت قوَّتها حتى صارت تهتِّزُّ لها الجدران. كان صوتها يحمل نبرة انتصارٍ كاذب:

- والدتها منحتني هذا الجسد، ألم تخبرك بذلك؟

واستمَرَّت ضحكاتها المدوِّية، كأنها تحدُّ واضح.

ارتجفت الأجساد في الغرفة، وشعر الجميع بقشعريرة باردة تتسلَّل إلى أرواحهم. لكن إلياس لم يهتزَّ. مدَّ يده نحو المصحف بجانبه، وبدأ يقرأ الآيات بصوتٍ عذب لكنه قوي، كأن كلماته سيفٌ يمرِّق حجاب الظلام:

- ((وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)) [الإسراء: آية 82]

صرخت نينا فجأة، بصوتٍ يحمل مزيجًا من الغضب والخوف:

- توقَّف! توقَّف عن تلاوة تلك الكلمات! واجهني دونها، إذا كنتَ شجاعًا!

كانت صرختها أشبه بهزَّة أرضية صغيرة، ارتعشت على إثرها الأضواء في الغرفة. شعرت تانيا بالخوف يمسك بيدها، كأنه يطلب منها الاستسلام، لكن إلياس رفع صوته أكثر، وهو يرذِّد المعوِّذات بثباتٍ لا يتزعزع.

مع تكرار الآيات، بدأت نينا تصرخ بصوت يخترق الجدران:

- الصندوق... كل شيء بسبب الصندوق!

لكنها لم تكمل، إذ انتفض جسد لارا بعنف، كأن عاصفة داخلية تمزقه. واصل إلياس تلاوته، ومع كل آية، كان جسد لارا يرتعش أكثر، وكأن معركة طاحنة تدور في أعماقها بين النور والظلام.

ترددت أصوات غاضبة، قادمة من مكان مجهول:

- لا تتركهم ينتصرون! نحن الأقوى!

لكن وسط هذا الضجيج، كان هناك صوت آخر، خافت لكنه قوي، ينادي:

- لا تخافي... أنتِ أقوى منهم. كلمات الله هي خلاصك.

توقفت لارا عن الاهتزاز فجأة، كأن شيئاً خفياً خرج من جسدها. فتحت عينيها ببطء، لكنه لم يكن مجرد تعبير عن الاستيقاظ؛ كانت نظراتها مليئة بالدموع والرغبة، كأنها عادت من معركة لم تظن يوماً أنها ستنجو منها. همست بصوت ضعيف، لكنه مليء

- كنتُ أراهم... كنتُ بينهم.

حاولت النهوض، لكن جون وتانيا كانا أسرع إلى حملها بين أذرعهما، وكأنهما يحاولان تعويضها عن كل لحظة ضعف شعرت بها. بينما جلس إلياس على الأرض بجانب السرير، وضع رأسه بين يديه وهو يتمتم: الحمد لله.

سادت لحظة من الصمت في الغرفة، كأن الجميع يحتاجون وقتًا لاستيعاب ما حدث. تنفس إلياس بعمق، ثم نظر إليها بابتسامة لطيفة وقال:

- لقد انتصرنا اليوم يا لارا...

وقف في وسط الغرفة، ونظر إلى الجميع بعينين تحملان ارتياحًا خفيفًا ممزوجًا بحذر دفين، ثم قال بصوت هادئ، لكنه مشحون بالقوة:

- أشكركم جميعًا على ما قدمتموه اليوم. لقد حققنا خطوة عظيمة... لأننا كنا قلبًا واحدًا، وأسلحتنا كانت الإيمان بالله والثبات. يجب ألا نتوقف هنا... علينا أن

نحافظ على هذه القوة، لأنهم لم يرحلوا بعد.

ساد الصمت للحظة، قبل أن تهمس لارا، وكأنها لا
تصدق ما حدث:

- هل... هل نجحنا حقاً؟

كانت عيناها تتفحصان وجوه الجميع بحثاً عن إجابة.

لارا، التي بالكاد استطاعت رفع رأسها، قالت بصوت
خافت مرتجف، وكأنها تتحدث من أعماق روح مرهقة:

- لكن... ما زلت أشعر بهم... إنهم... يراقبونني.

أجفلت وهي تحقق في الفراغ، وكأن شيئاً يتحرك
في زوايا الغرفة.

أمسك جون بيدها بحنان، محاولاً بث القوة في
صوته، رغم التوتر الذي ينهش داخله:

- الأمر لم ينتهِ بعد، صغیرتي... لكنك كنتِ شجاعة
اليوم، وهذا ما يُخيفهم.

أضافت تانيا، وهي تحاول أن ترسم ابتسامة دافئة
على شفתיها، رغم الخوف الكامن في قلبها:

- والدك على حق، يا لارا. اليوم أثبت أنك أقوى منهم، وأنتك تستطيعين التغلب عليهم... كل مرة تستجيبين للصوت الصحيح بداخلك، أنتِ تضعفينهم أكثر.

نظرت لارا إلى إلياس بعينين مرهقتين، لكن نظراتها مليئة بالامتنان، وقالت بصوت واهن لكنه صادق:

- شكرًا لك، دكتور... لولاك... لا أعلم كيف كنت سأواجههم.

نظر إليها إلياس بابتسامة هادئة، لكنه لم يستطع إخفاء الشك الذي تسلسل إلى صوته وهو يقول:

- لارا... هل تذكرت أي شيء؟ أي تفاصيل... أي لحظة قد تفسر لنا كيف بدأ كل هذا؟

أغلقت لارا عينيها ببطء، وأخذت نفسًا عميقًا، كأنها تحاول الغوص في ظلال الماضي المظلمة. فجأة، ضغطت على يديها بقوة وهمست:

- الغابة... ليلة رحيل أُمي.

ضغطت على جبينها بقوة، وكأنها تحاول
كبح الذكرى.

- كانت أمي تحمل شيئاً... صندوقاً... أسود، كانت
تهمس لي ألا أقترّب منه، ولا أفتحه أبداً... كانت
خائفة.

فتحت عينيها فجأة، والذعر يعصف بوجهها:

- كان هناك شيء في الظلام تتحدث معه... شيء
كان يراقبها!

تبادل الجميع النظرات المتوترة، بينما تقدم إلياس
خطوة إلى الأمام، صوته هذه المرة كان أكثر جدية
وصرامة:

- الصندوق... هل تستطيعين تذكر أي شيء
آخر عنه؟

عادت لارا تتحدث، كأنها غارقة في دوامة الذكريات:

- بعد أن رأيت أمي... وهي تسقط من جذع
الشجرة... شعرت بأن كل شيء حولي أسود. لا أذكر

كيف عدت إلى القصر، لكن شعرت بأن هناك من يحملني... كانت هناك أصوات... تهمس طوال الطريق... : (لقد أصبحت لنا).

ارتجف صوتها في النهاية، بينما تراجعت تانيا خطوة إلى الوراء، وضعت يدها على فمها وهمست برعب:

- يا إلهي... أما زلتِ تسمعين هذه الهمسات؟

أومأت لارا ببطء، وقالت بصوت مرتجف، وكأنها تتحدث عن حقيقة مرعبة باتت جزءًا من حياتها:

- نعم... حتى بعد سنوات... لكنها خفتت منذ قدوم الدكتور إلياس... لم أعد أسمعها كما في السابق.

ارتسمت نظرة تحليلية على وجه إلياس، ثم قال بهدوء، لكنه مليء بالتفكير:

- إذًا، هناك رابط بين الصندوق وبينك... وبين والدتك.

استدار نحو لارا، وسألها بنبرة صارمة:

- لارا، هل تتذكرين شكل الصندوق؟

ترددت لارا للحظة، ثم قالت:

- نعم. كان صندوقًا أسود، مرسومًا عليه نقوش ورموز غريبة، ملمسه يشعرك بالقشعريرة، فهو بارد كقطعة ثلج، وتفوح منه رائحة نتنة.

اجتاحت جون قشعريرة عندما تذكره، وقال مؤيدًا لكلام لارا:

- نعم، إنه يبدو كما قالت.

قالت تانيا، وهي تحاول التظاهر بالقوة رغم توترها:

- هل تعتقد أنه لا يزال في الغابة؟

نظر إليها إلياس بعينين مليئتين بالتصميم، وقال بصوت حاسم:

- علينا أن نبحث عنه... وإلا، فلن نعرف أبدًا كيف ننهي هذا الكابوس.

قالت لارا، وهي تعقد حاجبيها ونبرة صوتها يكسوها القلق والتساؤل:

- لم نجده في الغابة، وظهر فجأة في منتصف الطريق... هذا غير منطقي! ماذا لو كان الصندوق

يتحرك من تلقاء نفسه؟ إذا كان الأمر كذلك... فكيف
سنجده؟ وكيف نوقفه؟

قال إلياس بصوت هادئ، لكنه يحمل صرامة لا تقبل
الجدل، وعينه تتجهان إلى لارا:

- نينا... هي الوحيدة التي تعرف كيف يحرك
الصندوق نفسه، وهي وحدها من تستطيع كشف هذا
اللغز.

تسرب القلق إلى صوت جون، وهو ينظر إلى ابنته
التي ما زالت تبدو شاحبة ومضطربة بعد الجلسة:

- وكيف تنوي فعل ذلك، إلياس؟ ألا ترى حالتها؟ لارا
مرهقة بما يكفي... لا يمكننا المخاطرة بها أكثر!

قاطعت لارا والدها بصوت متعب، لكنه يحمل
عزيمة خافتة:

- أنا بخير، يا أبي... ومستعدة لأي جلسة أخرى. لا
يمكننا التوقف الآن.

نظرت إلى إلياس بعيون يملؤها التصميم، وكأنها

تعانَد نَفْسُهَا قَبْلَ الْجَمِيعِ.

حاولت تانيا كتم قلقها، لكن صوته يحمل أثر الخوف والغضب معًا:

- لارا، كفى! جسمك وعقلك بحاجة للراحة، لا يمكنك الاستمرار هكذا!

اقترب إلياس ببطء، وصوته منخفض لكنه يحمل نبرة قاطعة، عيناه مثبتتان على لارا:

- لقد فعلت اليوم أكثر مما توقعت، لارا. ما حققناه اليوم هو خطوة كبيرة، لكن والدتك على حق... يجب ألا نحرق كل أوراقنا في وقت واحد.

قالت لارا بصوت هامس، كأنها تقاتل ضد نفسها:

- ولكن... ماذا لو تأخرنا؟ ماذا لو...

قاطعها إلياس بلطف، وبنظرة مطمئنة:

- ثقي بي، سنصل إلى الحقيقة... لكننا بحاجة إلى قوتك، وأنت بحاجة إلى الراحة لنواصل الطريق.

ساد الصمت في الغرفة، لكنه لم يكن صمت راحة، بل

كان الصمت الذي يسبق العاصفة. كل واحد منهم يشعر بثقل الغموض القادم، والأعين تتبادل نظرات مترقبة، كأن الجميع ينتظرون اللحظة التي ستقلب الموازين.

وسط هذا التوتر، استسلمت لارا للنوم أخيرًا. كان جسدها المنهك يطالب بالراحة بعد اليوم الشاق، وكانت لمسات تانيا على شعرها تمنحها بعض الطمأنينة المفقودة. تنفست بعمق وهي تتكور على السرير كطفلة ضائعة، وكأنها وجدت في هذه اللحظة السلام الذي طالما هرب منها. أخيرًا... ليلة بلا أصوات تهمس في الظلام.

كان جون يراقبها بعيون يملؤها الدمع، همس بصوت متحشرج لتانيا بجواره:

- أشعر أن ابنتي قد عادت أخيرًا... تانيا.

رفعت تانيا نظرها إليه بابتسامة مرتجفة، امتزجت فيها الفرحة بالخوف:

- أنا أيضًا أشعر بذلك، جون... رأيت كيف كانت تريد

إنهاء الأمر لتصبح حرة؟

نظر إليها جون، وأمسك يدها بقوة كأنه يريد أن يصدق أن هذه اللحظة حقيقية، وقال بصوت محمل بالرهبة:

- لأول مرة منذ سنوات... أرى الأمل في عينيها.

بينما انشغل جون وتانيا بلحظات سعادتهما اللحظية، جلس إلياس إلى مكتبه، وأمامه كانت لورا تقف في صمت. راحت تراقبه وهو يرسم شكل الصندوق، خطوطه العريضة ولونه الداكن، يحاول استحضار كل تفاصيله من ذاكرته.

مدت لورا يدها، أخذت القلم من يده بحذر، ثم بدأت ترسم على الورقة قائلة:

- لقد كان مليئاً بالرموز... لكن هذه الثلاثة... أذكرها بوضوح.

نظر إلياس إلى الرموز بعينين تضيقان بالتفكير، وأصابعه راحت تمر على الخطوط كأنه يستنطقها، ثم قال ببطء:

- هذه الرموز... أعتقد أنني رأيتها من قبل...

رفعت لارا رأسها بدهشة وسألته بقلق:

- أين رأيتها؟

أخذ إلياس نفسًا عميقًا، وهو يضغط على جبهته محاولًا تذكر شيء يطارد أطراف ذاكرته، حتى هتف فجأة، عاقدًا حاجبيه بتركيز:

- ذلك الكابوس... نعم! رأيتها على تلك الشجرة في الغابة!

تراجعت لارا خطوة إلى الوراء، وارتجفت شفتاها قبل أن تهمس بنبرة قلقة:

- أي كابوس تتحدث عنه؟

وقف إلياس بعجلة، وكأن شيئًا ما دفعه للقيام، أخذ يجمع بعض الأدوات في حقيبته وهو يقول بلهجة حاسمة:

- أنا ذاهب إلى الغابة... الآن!

استدار جون بسرعة، ونظر إليه وكأنه لم يصدق ما

يسمع، وقال مستنكرًا:

- هل فقدت عقلك، إلياس؟ الذهاب إلى الغابة الآن... في هذه الساعة؟

أجاب إلياس بصوت جاد، وعيناه مشتعلتان بتصميم غريب:

- لا وقت للانتظار، جون... هذه الرموز ليست مصادفة، إنها تقودنا إلى شيء مهم. يجب أن أتأكد منها بنفسى.

قاطعتهما تانيا، وقد بدا القلق واضحًا على وجهها:

- إلياس، أرجوك! انتظر حتى الصباح... نذهب جميعًا معًا!

لكن إلياس هز رأسه بإصرار، وعيناه متعلقتان بالرموز على الورقة، كما لو كانت تهمس له بأسرار مدفونة:

- لا، تانيا. الوقت ليس في مصلحتنا، هناك شيء في الغابة... شيء ينتظر أن يُكشف. لن أضيع هذه الفرصة.

شعرت لارا برجفة باردة تزحف إلى جسدها،
فتمتعت بخوف:

- إذا كان الصندوق يتحرك بنفسه... فماذا لو أنه لا
يريد أن يُكتشف؟

نظر إليها إلياس بحدة، وقال بحزم:
- لهذا السبب علينا أن نذهب... ونواجهه.

ساد الصمت للحظة، وكأن كلمات إلياس زرعت الخوف
في قلوبهم. أخيرًا، تنهد جون وأمسك ذراع إلياس
بحذر:

- إذا كنت مصممًا... فلن أسمح لك بالذهاب وحدك.
نظر إلياس إليه وشعر بالامتنان، ثم التفت إلى
تانيا ولورا:

- ابقيا هنا مع لارا. سنعود قبل طلوع الفجر.
نظرت تانيا إليهما بقلق، ثم استدارت نحو لارا
النائمة، وقالت بصوت حزين:

- حسنًا... ولكن كونا حذرين، لا أريد خسارة المزيد.

خرج إلياس وجون من الغرفة بسرعة، والقلوب مثقلة
بالمخاوف، والغابة تنتظرهما بصمت مظلم يخبئ أسرارًا
لم تُكشف بعد.

في الغابة، أوقف إلياس السيارة أمام الأشجار
العتيقة، التي بدت وكأنها جدران ضخمة تخفي خلفها
أسرارًا قديمة لم تبح بها بعد. كان الجو مشحونًا بطاقة
غريبة، والهواء البارد يحمل معه همسات غير مفهومة.
تقدم إلياس بحذر، ممسكًا بالمصباح بقوة، وقال
محدّرًا جون:

- لا تبتعد عني، دعنا نسرّ معًا.

اقترب جون منه، وقد بدا التوتر واضحًا في صوته:

- هذا المكان... يشعّرنني بقشعريرة باردة، وكأن
الأشجار تزفر لنا بهذه الطاقة المظلمة.

راح إلياس يفحص إحدى الأشجار بدقة، عيناه تبحثان
عن أي علامة غريبة بين نقوشها المتشابكة. تمتم
قائلًا:

- أعتقد أن هذه الغابة كانت تستخدم في طقوس قديمة... طاقة المكان هنا تعكس كثرة الأرواح الشريرة التي تحوم في الأرجاء.

توقفت قدما جون للحظة، وبدأت على وجهه علامات الذكرى القديمة، ثم قال بصوت مشوب بالخوف:

- كان والدي يحذرنى دائماً من هذه الغابة... لم أفهم كلماته وقتها، كنت أظنها مجرد خرافات، لكنه كان يقول إنها ليست مجرد أشجار، بل مكان تُعقد فيه العهود المظلمة، وتهمس فيه الأرواح.

التفت إليه إلياس بدهشة، وقال بصوت منخفض:

- إذا... أنت تعلم أن هناك سرّاً دفيناً في هذه الغابة.

تقدم جون قليلاً، ناظرًا إلى الأشجار الملتفة حولهما وكأنها تغلق عليهما ببطء، وقال بحزن:

- كنت أعتقد أنه يحاول تخويفي حتى لا أقترب، لكن... أدركت أنه على حق بعد ما حدث مع كاميللا.

قَطَعَ حديثهما صوت الأشجار، وهي تصدر صريرًا
مرعبًا، كأن هناك من يهمس بين أغصانها، فأخذ إلياس
نفسًا عميقًا، وبدأ بتلاوة آيات المعوذات بصوت ثابت.
ومع كل كلمة، كانت الظلال تتراقص من حولهما
وكأنها تتلاشى شيئًا فشيئًا.

بينما كان يتلو، وقعت عيناه على شجرة عملاقة،
تختلف عن غيرها، جذعها متشعب وكأنها تمتد نحوهما
بأذرع غير مرئية. خَفَّضَ صوته تدريجيًا، وهو يتقدم
ببطء، توقفت أنفاسه للحظة، همس بصوت بالكاد
يسمع:

- هذه الشجرة... إنها...

التفت جون نحوه ووقف مذهولًا، بدأ يشعر بأن
المكان يدور به. فجأة توقفت خطواته، وأسند ظهره
إلى إحدى الأشجار القريبة منه، شعر بأن قدميه لم
تعودا تقويان على حمله، ثم هوى جالسًا، وهو
يهمس بصوت مرتجف:

- هذه... هذه الشجرة التي... انتحرت عليها كاميل.

وقف إلياس أمام الشجرة، وكأن الزمن عاد به إلى الكابوس الذي يطارده في أحلامه. ارتعشت يده لا إرادياً، وتراجع خطوة إلى الخلف، وأخذ يردد في خشوع:

- بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميعُ العليم.

تصاعدت الرياح فجأة، وازداد صرير الأشجار كأنها تصرخ بغضب، لكن إلياس ظل ثابتاً، صوته يعلو شيئاً فشيئاً، حتى سقط شيء من بين الأغصان العالية... كان الصوت أشبه بهمسة محتضرة.

ساد الصمت في الغابة للحظات، قبل أن يزحف جون ببطء نحو الشيء الملقى على الأرض. نظر إلى إلياس بعينين متسعيتين بالذعر، همس:

- إلياس... انظر... إنه... كتاب.

بسرعة، صرخ إلياس محذراً:

- لا تلمسه!

تراجع جون مذعورًا إلى الخلف، وعيناه معلقتان
بالكتاب المغطى بطبقة كثيفة من الغبار والرموز
الغامضة. قال وهو يحاول السيطرة على خوفه:

- هل... هل تعتقد أنه ملعون، مثل الصندوق؟

اقترب إلياس بحذر، ونظر إلى الكتاب وهو يردد:

- اللهم إني أعوذ بك من شر ما نزل، وشر ما خرج.

حين اقترب أكثر، لاحظ الرموز المحفورة على الغلاف
الأسود الغامض، بدت كأنها تنبض تحت نور المصباح.
مد يده ببطء، لكنه توقف فجأة عندما شعر بوخز شديد
في أطراف أصابعه.

رفع رأسه ببطء إلى جون، وقال بصوت منخفض، لكنه
مليء بالريبة:

- هذا الكتاب ليس عاديًا.

تبادل الاثنان النظرات، شعور بالخوف والتوجس يملأ
المكان. تسلت همسات خافتة من بين الأشجار مرة
أخرى، وكأنها تراقبهما بصمت ثقيل.

قال جون، وهو يراقبه بقلق:

- إلياس... هذا الكتاب يجب ألا يكون هنا، إنه...

قاطعه إلياس بصوت حازم:

- هذا الكتاب قد يكون مفتاح كل شيء... وربما يكون فحًّا، لكن القرآن سيكشف كل شيء.

سحب إلياس قطعة قماش من حقيبته، ولف الكتاب بعناية، وهو يردد المزيد من الآيات، ثم قال بصوت حازم:

- لن نفتح هنا... يجب أن نعود إلى المنزل، ونحصن المكان قبل أن نفكر حتى في لمسه.

وقف جون وهو لا يزال يحدق بالكتاب الملفوف، ثم تمتم:

- أشعر بأننا قد فتحنا بابًا لا يمكننا إغلاقه بسهولة... التفت إليه إلياس وقال بجدية:

- الباب قد قُتِح منذ زمن بعيد... نحن فقط نحاول إغلاقه قبل أن يتلعنا بالكامل.

عاد الاثنان إلى السيارة، ولكن قبل أن يصعدا، شعرا
بأنهما ليسا وحدهما. أصوات خافتة تهمس في
أعماق الغابة، وكأنها تودعهما... أو تراقبهما بانتظار
عودتهما.

انطلق إلياس مسرعًا، بينما ظل جون يراقب المرأة
الخلفية، رأى شيئًا يتحرك بين الأشجار، ظلًا داكنًا يشبه
شكل امرأة... امرأة يعرفها جيدًا.

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص
قال بصوت مختنق:

- إلياس... أظن أن كاميللا... لا تزال هنا.

رفع إلياس عينيه إلى الطريق المظلم، وقال بصرامة:

- كاميللا ماتت. علينا أن ننهي هذا قبل فوات الأوان.

في القصر، كانت لارا تتقلب في سريرها بتململ
واضح، وكأن شيئًا خفيًا يحاصرها في أحلامها. جلست
تانيا بجوارها، وهمست بريية وخوف:

- لارا... حبيبتي، هل أنت بخير؟

لكن جسد لارا بدأ يرتعش بشكل مفاجئ، عيناها
مغلقتان بقوة، وجسدها ينتفض كما لو كان متصلاً
بتيار كهربائي غير مرئي. فزعت لورا واقتربت بسرعة،
تناديه بصوت مرتعش:

- لارا... استيقظي، أرجوك!

إلا أن جسد لارا ازداد ارتعاشاً، وأصبح صوت أنفاسها
متقطعاً، مما أصاب تانيا ولورا بالذعر. هزعت لورا نحو
الورقة الموضوعة على الطاولة، التقطتها بيدين
مرتجفتين، ثم بدأت بقراءة الآية بصوت بالكاد يخرج من
بين شفتيها المرتجفتين:

(وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا) **الإسراء:** (45)

أخذت ترددها مرة بعد أخرى، حتى بدأ صوتها يثبت
تدريجياً، وبدأ جسد لارا يهدأ شيئاً فشيئاً، حتى توقفت
تماماً.

زفرت لورا بارتياح، بينما كانت دموع تانيا تنهمر
بصمت، خوفاً من أن يكون ما أصاب ابنتها شيئاً لا

تستطيع مواجهته. اقتربت منها بخوف، وقالت
بصوت متحشرج:

- لارا... هل تسمعينني؟

فتحت لارا عينيها ببطء شديد، وكأن ضوءًا ساطعًا
يخترق عينيها المتعبتين. كانت نظراتها مشوشة،
لكنها امتلأت بالدموع، وهي تحقق في تانيا. همست
بصوت مرتعش، يكاد لا يُسمع:

- لقد... لقد رأيت أمي.

في تلك اللحظة، انفتح الباب بعنف، ودخل إلياس
وجون بسرعة. بدا وجه جون شاحبًا، نظراته مضطربة،
وكأنه رأى شيئًا نزع عنه لونه. تبادل النظرات مع تانيا
للحظة قبل أن تقترب منه بقلق قائلة:

- جون... ماذا هناك؟ هل أنت بخير؟

وقف جون مترددًا، ثم تقدم خطوة إلى الأمام، وقال
بصوت مرتجف محمل بالدهشة والرهبة:

- لقد رأيت كاميلا...

تراجعت تانيا قليلاً، وهي تهمس بدهشة:

- ماذا؟ أين... أين رأيتهَا؟

لم يمهلها إلياس فرصة للرد، إذ اقترب من جون، وأمسكه من كتفيه بقوة وهزه بعنف، محاولاً إعادته إلى رشده. قال بصوت حاد لا يخلو من القلق:

- أخبرتك من قبل، إنها ليست كاميلا! كاميلا ماتت، وما رأيته مجرد وهم... شبح يحاول استغلال ضعفك، ليجرك إلى دوامة من الأوهام، ويُباعدنا عن هدفنا.

دفع جون يدي إلياس بغضب، وارتجفت شفتاه وهو يهتف بانفعال:

- لا! كانت هي... همست في أذني... بصوتها نفسه، بالدفع نفسه الذي كنت أعرفه!

تبادل إلياس وتانيا نظرات القلق، لكن فجأة قاطعهما صوت لارا الخافت، وهي تهمس بشروء:

- أنا أيضًا... رأيتهَا في المنام... وهمست لي.

اقترب إلياس منها بترقب، وجلس بجوارها ممسكاً

بيدها برفق، وقال بصوت هادئ، لكنه يحمل
اهتمامًا بالغًا:

- ماذا رأيت يا لارا؟ أخبريني بكل شيء.

اعتدلت لارا في جلستها ببطء، وشردت عيناها للحظة
قبل أن تقول بصوت مبحوح مليء بالارتباك:

- كنتُ أقف أمام النافذة، أهدق في الغابة... رأيتها
تخرج من بين الأشجار، ملطخة بالدماء، تبكي بحرقة. لم
أستطع الحراك، كنت كالمسحورة... شعرت وكأنها
تُسحب نحوي، خطوة بخطوة، حتى وصلت إلى النافذة.

توقفت قليلًا، ثم تابعت وعيناها متسعتان بفرع:

- فتحتُ النافذة، وعانقتني بقوة... كانت تبكي
وتهمس لي: "أنا آسفة... لما فعلته بك". لكن فجأة،
ظهرت ظلال سوداء ضخمة، سحبتها بعيدًا عني...
حاولت الإمساك بها، لكنها همست لي قبل أن
تُختطف بالكامل: (أنتم على الطريق الصحيح...
استمروا... نينا هي...) ثم اختفت.

ساد الصمت في الغرفة، وكأن الجميع يحاولون

استيعاب الكلمات الأخيرة. نظراتهم كانت مترقبة،
قلقهم يزداد مع كل لحظة تمر.

أخذ إلياس نفسًا عميقًا، ثم قال بحزم، وهو ينظر إلى
جون وتانيا:

- هذا يعني أننا نقرب... لكننا لا نزال نجهل الحقيقة
الكاملة. نينا لن تتركنا وشأننا بسهولة.

نظر جون إلى إلياس بعيون يملؤها القلق والتردد،
وقال بصوت خافت:

- ماذا لو كانت كاميلّا تحاول مساعدتنا بالفعل؟ ماذا
لو لم تكن مجرد وهم؟

وضع إلياس يده على كتفه بلطف، وقال بصرامة
لكن بنبرة مشفقة:

- جون... نحن نبحث عن الحقيقة، لكن لا تدع الماضي
يقودك إلى طريق خاطئ. نينا خبيرة في التلاعب
بمشاعرنا... نحن بحاجة إلى التركيز.

تمتعت تانيا، وهي تمسك يد لارا بحنان:

- علينا أن نتمسك بعضها ببعض... هذه المعركة لم تنتهِ بعد.

أومأت لارا برأسها ببطء، بينما كانت عيناها مسمرتان على النافذة حيث تمتد الغابة في الأفق البعيد، الظلام يلفها كحجاب كثيف. كانت تشعر بأن هناك شيئاً يترقبها في تلك الظلال... شيئاً لم يعد مجرد كابوس.

وسط هذا الهدوء المشوب بالتوتر، قطعت لورا الصمت بتردد، وهي تشير بقلق إلى قطعة القماش المغلفة التي كانت على الطاولة:

- هل... هل وجدتما الصندوق؟

التفت إلياس ببطء إلى الكتاب الموضوع أمامه وكأنه نسي أمره للحظات. أمسكه بحذر، وصوته جاء هادئاً، لكن يحمل وزناً من الحذر:

- لقد سقط هذا الكتاب من الشجرة التي... انتحرت عندها كاميللا.

نهضت لورا بخطوات مترددة، وعيناها تضيقان فضولاً،

لكنها توقفت في منتصف الطريق عندما رفع إلياس يده بتحذير واضح. قال بصوت منخفض، لكنه يحمل رهبة:

- لا أحد يجرؤ على لمس هذا الكتاب. لا نعلم ماذا يحوي في طياته. يجب أن نتحصن جيدًا قبل التفكير في فتحه.

تابعت تانيا مراقبة جون بحذر، لاحظت نظراته الشاردة وعينيه المعلقتين في الفراغ، وقالت بصوت مملوء بالقلق:

- علينا التوقف اليوم... أعتقد أن جون ليس بخير.

نظر إلياس إلى جون بقلق متزايد، كانت عيناه فارغتين كأنهما تحديقان في هاوية مظلمة لا يراها غيره. تقدم منه وجلس أمامه، حدّق في وجهه بتمعن، ثم سأله بنبرة جادة:

- جون... هل تسمعني؟

لم يتلقَ إجابة. كان جون جامدًا كالصخر، ووجهه اكتسى بشحوب مرعب. شعر إلياس بقلق بالغ، فرفع

- جون!

لم يتحرك جون، وكأن صوته لم يصل إليه. تسلل الذعر إلى قلب إلياس، ثم بدأ بتلاوة الآية بصوت قوي وثابت:

- (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِيَّاهُ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (175)) [آل عمران: آية 175]

استمر في ترديدها مرارًا، حتى بدأت رعشة باردة تتسلل إلى جسد جون، ارتجف بشدة وكأنه يستعيد وعيه من كابوس عميق. رفع رأسه ببطء، حدّق في وجوههم بذهول وكأن الزمن قد توقف، ثم تمت بصوت متحشرج، يملؤه الارتباك والخوف:

- متى... متى عدنا إلى المنزل؟ كنا في الغابة... كنا هناك، أليس كذلك؟

ساد الذهول المكان، وتجمد الجميع في أماكنهم، وكأن كلمات جون قد أسقطت عليهم ستارًا من الرعب. تبادلوا نظرات مرتعبة، كل منهم يبحث في الآخر عن

تفسير لما يحدث.

حدقت تانيا في جون بعيون متسعة، وتمتمت
بصوت متقطع:

- جون... لقد عدت أنت والطبيب منذ قليل.

لكن نظرة جون لم تتغير، عيناها كانتا تائهتين وكأنه
يرى شيئاً ما خلفهم، شيئاً لم يستطع أحد سواه
رؤيته.



الفصل الخامس



هل مرّ عليك يوم أحسست فيه أنك لست أنت؟
أو بدا لك اسمك غريبًا عندما ناداك به أحدهم،
فسألت نفسك في صمت: أهذا اسمي حقًا؟
وهل اختبرت إحساسًا بأن جسدك لا يشبهك،
وكأنك تسكن غريبًا فيه؟

أشرق شمس يوم جديد على القصر، لكن نورها لم
يحمل الدفء المعتاد.

تسللت أشعتها الخافتة عبر النوافذ كأنها مترددة،
تخشى أن تقتحم المكان الذي ما زالت أصداء الليل
تتردد فيه. الجو كان مشحوناً بصمت ثقيل، برودة غريبة
تتسلل إلى الأرواح قبل الأجساد، وكأن الصباح نفسه
عاجز عن محو آثار الليل الطويل. حتى صوت العصافير
كان خافتاً، كأنها تهمس بتحذير غير مفهوم، أو
تخشى إيقاظ شيء ما... شيء لم يغادر بعد.

في المطبخ، كانت تانيا واقفة أمام آلة القهوة،
تحقق في السائل الأسود المتدفق ببطء، كما لو كانت
تبحث في عمقه عن إجابات لا تجدها. أصابعها كانت
ترتعش بخفة، وهي ترفع الفنجان، لكن ليس بسبب
البرد... بل بسبب الأفكار التي لم تهدأ منذ الليلة
الماضية. شيء ما كان يثقل كاهلها، كأنها تنتظر
لحظة انفجار لا تعرف متى ستأتي.

إلياس دخل إلى المطبخ بهدوء، محاولاً إخفاء

الإرهاق الذي يثقل خطواته. ورغم التعب الذي يسكن ملامحه، ارتسمت على شفثيه ابتسامة دافئة، وهو يقول بنبرة حاول أن تبدو طبيعية:

- رائحة القهوة أيقظتني.

رفعت تانيا عينيها إليه، ثم مدت يدها بالفنجان الذي أعدته دون أن تفكر، قائلة بصوت منخفض:

- تفضّل، خذه. سأعد لنفسي واحدًا آخر.

أمسك إلياس بالفنجان، واستنشق عبيره ببطء كأنه يبحث فيه عن لحظة راحة، قبل أن يقول بنبرة هادئة، لكنها تحمل امتنانًا صادقًا:

- تعلمين، تانيا... قهوتك هي الأفضل. وكأنها مصنوعة لتمنح الروح قليلًا من الطمأنينة.

لم ترد تانيا، فقط ابتسمت له ابتسامة باهتة، لكنها سرعان ما سرحت بنظرها نحو الطاولة حيث وُضع الكتاب المغلف. ظلت تحقق فيه للحظات، ثم سألت بتردد، وكأن السؤال ذاته يثقل لسانها:

- هل... هل ستفتحه اليوم؟

اختفت ابتسامة إلياس تدريجيًا، وأخذ يحرك إصبعه ببطء على حافة الفنجان، وكأنه يزن كلماته قبل أن ينطق بها. أخيرًا، قال بصوت منخفض، لكنه مشبع بالإصرار:

- علينا ذلك، تانيا. التأجيل لن يكون في مصلحتنا.

في تلك اللحظة، دخل جون إلى المطبخ. وجهه كان شاحبًا، عيناه متورمتان من قلة النوم، وجسده متثاقل كأنه يجر خلفه عبئًا أثقل منه. لم يقل شيئًا، فقط سحب الكرسي وجلس، ثم أسند رأسه بين يديه. وبعد لحظة صمت، قال بصوت متعب بالكاد يُسمع:

- هل يمكنك صنع القهوة لي، عزيزتي؟

تناولت تانيا كوبًا آخر، وملأته له بصمت، ثم وضعتة أمامه، دون أن تتكلم. لكن نظراتها كانت مليئة بالقلق، وكأنها تخشى أن تسأله ما إذا كان بخير، لأنها تعرف الإجابة مسبقًا.

ظل إلياس يراقب جون للحظات، قبل أن يقطع

الصمت بنبرة هادئة، لكنها تحمل صرامة خفية:

- لم تنم الليلة الماضية، أليس كذلك؟

رفع جون رأسه ببطء، وعيناه المتعبتان تحكيان كل شيء. تنهد بمرارة، ثم قال بصوت خافت، كأنه يخشى أن يعترف بالحقيقة:

- لم أستطع... الهمسات كانت في أذني طوال الليل.

ضاقت عينا إيلياس بقلق، لكنه ظل متماسكًا، وهو يقول بتحذير ناعم، لكنه واضح:

- جون... عليك أن تسيطر على نفسك. استسلامك للخوف يجعلهم أقوى. أنت تعلم ذلك، أليس كذلك؟ وهل قرأت أذكارك الليلة الماضية؟

لم يجب جون مباشرة، فقط حلق في الطاولة، وكأن الكلمات كانت أثقل من أن تخرج من فمه. وبعد لحظة طويلة، تمت بصوت أجش:

- حاولت... لكنني أشعر أن إيماني ضعيف. وهذا

يمنحهم مجالاً أكبر للتلاعب بي.

أخرج من جيبه الورقة التي أعطاه إياها إلياس سابقاً، وبدأ يقرأ الآيات المكتوبة، لكن صوته كان مهزوزاً، كأنه يقاتل كي يُصدق الكلمات التي ينطق بها.

إلياس، الذي كان يراقبه بصمت، شعر بالغضب يتصاعد داخله، لكنه لم يكن غضباً منه... بل على ما استسلم له. فجأة، ضرب الطاولة بيده بقوة جعلت الجميع ينتفضون، وقال بنبرة صارمة، لكنها مشبعة بالحزم:

- جون! هذه الآيات ليست مجرد كلمات تُقرأ بشفاة مرتعشة! إنها سلاحك! درعك الوحيد ضدهم! عليك أن تؤمن بها... وإلا فلن تنفعك.

ساد الصمت، لكن الهواء نفسه بدا وكأنه يحمل توتراً غير مرئي. أخيراً، قررت تانيا التدخل، قائلة بصوت هادئ، لكنه يحمل رجاء خفيًا:

- إلياس، دعه لي. اذهب وألق نظرة على لارا... لقد تأخرت كثيرًا في الاستيقاظ.

نظر إليها إلياس لثانية، ثم زفر بضيق، ونهض من مكانه. قال وهو يمرر يده على وجهه بإرهاق:

- حسناً... سأذهب. لكن تحققني أنه يقرؤها بإيمان هذه المرة.

خرج من المطبخ بخطوات سريعة، متجهاً إلى غرفة لارا. توقف أمام الباب، ثم طرقه ثلاث مرات. لم يكن هناك رد.

عبس قليلاً، ثم مد يده، ودفع الباب ببطء... لكنه ما أن دخل حتى توقف في مكانه تمامًا.

عيناه اتسعتا بصدمة، وقلبه تسارع بطريقة لم يشعر بها من قبل. للحظة، شعر وكأن الزمن نفسه تجمد حوله.

لارا كانت على الأرض، في وضعية السجود. أشعة الشمس الخافتة التي تسلت عبر النافذة غمرت جسدها، لكنها لم تكن مجرد أشعة عادية... كان هناك شيء غريب في الضوء الذي يحيط بها. شيء أقرب إلى الهالة، هالة ناصعة، خفيفة لكن محسوسة.

بقي إلياس يراقبها، عاجزاً عن النطق. شيء ما في هذا المشهد جعله يشعر بقشعريرة، لكنها لم تكن قشعريرة خوف... بل رهبة.

أخيراً، رفعت لارا رأسها ببطء، والتفتت إليه. ابتسمت... لكن لم تكن ابتسامة عادية. كانت تحمل شيئاً لم يكن فيها من قبل.

نور... هدوء... وسلام.

ثم، بصوت خافت، كأنها تهمس بسر، قالت:

- أهلاً دكتور إلياس.

شعر إلياس بشيء يتحرك داخله، شيء لم يعرف كيف يصفه. اقترب منها، وجلس أمامها، وهو يبحث في عينيها عن إجابة لكل الأسئلة التي اجتاحت عقله. أمسك بيدها برفق، وسألها بتردد لم يعهده في نفسه:

- سارة... هل أصبحت مسلمة؟

اغرورقت عيناها بالدموع، لكنها ابتسمت، وابتسامتها

كانت مزيجًا من الراحة واليقين، وهي تهمس:

- الحمد لله... نعم. كنت أبحث، ووجدت الطريق أخيرًا.

هزّ إلياس رأسه ببطء، ثم سألها بصوت خافت، لكنه يحمل قلقًا واضحًا:

- وماذا عن نينا؟

ضحكت سارة، لكنها لم تكن ضحكة خفيفة، بل أشبه
بصدى نصر صغير وسط معركة لم تنتهِ بعد. قالت
بهدوء:

- أقسم لك إنني أسمع صراخها كلما قرأت القرآن أو
صليت. وكأنها تتعذب من النور الذي حولي.

راقبها إلياس بصمت، عيناه تتمعنان في ثباتها الذي
ازداد عمقًا. ابتسم، لكن خلف ابتسامته كان هناك قلق
دفين. سألها، وكأنه يحاول أن يقيس مدى
استعدادها:

- هذا تطور مذهل... لكن هل تعتقدين أننا قادرون
على إنهاؤها تمامًا اليوم إذا فتحنا الكتاب؟

تبدلت ملامح سارة، كأن ظلًا خفيًا مرّ فوق وجهها.
شعرت بانقباض في صدرها، تمتعت بصوت خافت، لكنه
مشبع بالخوف:

- أنا خائفة على والدي... أشعر أنهم تمكنوا من
التغلغل في داخله.

شدّ إلياس قبضتيه، وصوت غضبه كان أشبه بتمتمة
مليئة بالندم:

- أعرف ذلك... كان من الخطأ أن آخذه معي إلى
الغابة. كنت أعلم أنه ضعيف من الداخل، لكنني سمحت
له بالذهاب. هذا خطئي.
جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

رفعت سارة يدها، وربّنت على يده برفق، كأنها
تحاول انتشاله من دوامة الذنب التي أغرق نفسه
فيها. همست له بحنان، لكن بصرامة في الوقت ذاته:

- لا تحمل نفسك فوق طاقتك. سأحاول التحدث معه.
إذا علم أن ابنته أصبحت أقوى بإيمانها، فربما يجد
القوة للتغلب عليهم.

نهضت سارة بحزم وعزيمة واضحة، ولحق بها إلياس.

عندما وصلا إلى غرفة المعيشة، كان جون جالسًا على الأريكة، عيناه مثقلتان بالحزن، ووجهه متعب كأنه يحمل على كتفيه أعباء العالم. رفع نظره إلى سارة عندما رآها تقترب، وقال بتساؤل مرتبك:

- صغیرتی... هل أنتِ بخير؟

اقتربت منه سارة بهدوء، لكنها لم تكن خائفة. ركعت أمامه، وأمسكت بيديه بحنان، وشدت عليهما كأنها تحاول انتشاله من الهاوية. نظرت في عينيه مباشرة، وقالت بصوت مشبع بالعاطفة، لكنه ثابت كالجبل:

- أبي... أرجوك، كن أقوى. لا مجال الآن للتراجع أو الخوف. أنا خائفة عليك... إن استسلمت لهم، فستفتح لهم الطريق للسيطرة عليك بالكامل.

أخذت نفسًا عميقًا، وتابعت وهي تضغط على يديه بلطف:

- انظر إلى ما حققناه حتى الآن. أصبحنا أقوى لأننا وجدنا طريق الحق. هذه الحياة لا يمكن أن يعيشها

بسلام إلا من كان إيمانه بالله خالصًا. أما من يضعف
إيمانه، فسيصبح لعبة في أيدي الشياطين، كما حدث
مع أمي. لا أريد أن أراك مثلها... أرجوك، توقف عن
الاستسلام. نحن بحاجة إليك.

بدأت الدموع تملأ عينيها، قبل أن تنساب بحرقة على
وجنتيها. قالت بصوت متهدج:

- أبي... أنا بحاجة إليك... نحن جميعًا بحاجة إليك.

شعر جون بأن كلماتها اخترقت قلبه، كأنها أضأت
زاوية مظلمة داخله. انفجر بالبكاء، وعانقها بقوة
وكأنه يخشى أن يفقدها. قال بصوت متهدج يملؤه
الألم:

- لكنني أشعر... أن الشياطين أصبحت تسكنني...
وكأنها داخلي.

شدت سارة على يديه وقالت بثقة:

- لا... لن يسمح الله بذلك، طالما أنك تتمسك به.
الإيمان هو درعك الوحيد. أنت أقوى مما تظن، أبي...
وأنت لست وحدك، نحن هنا معك.

ساد صمت ثقيل للحظات، لكنه لم يكن صمت ضعف، بل كان صمتًا مشبعًا بالأمل. ببطء، بدأت سارة بتحسين والدها، وهي تردد الآيات بصوت مفعم بالإيمان. بدأ جون يردد معها بثبات لم يظهر منه من قبل، كأن كلماته تستعيد ما فقدته من قوة داخله. كانت تانيا تراقب المشهد بصمت، متأثرة بجمال اللحظة، ودموعها تتسلل دون أن تشعر.

بينما كان الجميع مشغولين بالتحسين، شعر إلياس بشيء غير مألوف. غياب لورا أثار في نفسه شعورًا متزايدًا بالقلق، وكأن هناك ما يدور خلف الأبواب المغلقة. نهض بسرعة من مكانه، وكأن فكرة اختفائها كانت تراوده بشدة. دق الباب ثلاث مرات، لكن الصمت كان هو الجواب. أخذ نفسًا عميقًا، وعيناه يملؤهما توتر شديد، قال بصوت يحمل التردد:

- سأدخل.

فتح الباب ببطء، لكن المنظر الذي قابله جعله يتوقف في مكانه. الغرفة كانت فارغة تمامًا، كما لو أن لورا

لم تكن هنا أبدًا. الفراش مرتب بعناية وكأن الوقت توقف. أخذ نفسًا عميقًا آخر، محاولًا تهدئة أفكاره المبعثرة، لكن القلق بدأ يسيطر عليه بشكل أكبر. همس لنفسه، وكأن الكلمات خرجت دون إرادة منه:

- آخر ما نحتاج إليه الآن هو اختفاؤها.

لورا صرخ بصوت مرتفع، متجاهلاً محاولته السابقة للهدوء:

- ليست في غرفتها! هل رآها أحد؟

تقدمت تانيا نحوه بخطوات مترددة، والارتباك واضح على وجهها. قالت بتساؤل يملؤه القلق:

- هل تعتقد أنها... عادت إلى منزلها؟

التفت إلياس إليها بغضب متصاعد، وكان يخطو بسرعة نحو الباب الرئيس. في قلبه كان شيء ما يهتف: لا وقت لنضيعه في التكهّنات.

- هل رأيت لورا تغادر القصر؟

هز الحارس رأسه نافيًا وقال: أنا هنا منذ بزوغ الفجر،

ولم أرها تغادر.

تحدث جون فجأة، وكانت نبرته هادئة على غير المعتاد، كما لو أنه يحاول تهدئة الأجواء المتوترة، رغم الاضطراب الذي كان يعتصره:

- إذا قررت العودة إلى منزلها، فهذا حقها. هي ليست مجبرة على تحمل هذا العبء.

لكن كلمات جون لم تلقَ قبولا لدى إلياس، الذي حدق فيه بغضب، وقال بنبرة صارمة:

- هي ليست مخوَّلة للمغادرة الآن، جون. هذا ليس خيارًا. الأمور أكبر من مجرد رغبتها. هروبها الآن سيجعلنا جميعًا ندفع ثمنًا أكبر.

أرادت تانيا أن تنطق بشيء، لكن صوت الباب، وهو يُفتح بعنف، شتّت أفكارها، وجعل كلماتها تتلاشى. التفت الجميع بصدمة نحو الباب، حيث وقفت لورا عند العتبة، لكنها بدت وكأنها شخص آخر، شخص خرج لتوه من صراع مع المجهول.

ثيابها كانت ممزقة ومغطاة بطبقات كثيفة من

الغبار، وكأنها شقت طريقها عبر أنقاض أو خرائب
قديمة. شعرها كان منكوشًا، خصلاته متشابكة
وتلتصق بوجهها بفعل العرق. ملامحها شاحبة للغاية،
تحمل آثار التعب والإرهاق، وكأنها خاضت معركة
مرهقة ضد قوى لا يمكن رؤيتها.

ومع ذلك، كانت في عينيها نظرة غريبة. مزيج من
الانتصار والرعب، وكأنها عادت بشيء ثمين، ولكن بثمن
باهظ. بين يديها، كانت تحمل الصندوق الأسود، مغلفًا
بطبقة من الطين، وكأنه خرج لتوه من أعماق مكان
موحش ومظلم. الصندوق بدا غريبًا، وكأن الظلام
نفسه ينبعث منه، تلفه هالة من الغموض والتوجس.

حاولت لورا فتح فمها لتتكلم، لكن الكلمات لم تخرج.
بدلاً من ذلك، أصدرت أنينًا خافتًا، وكأن صوتها قد علق
في حلقها. بدأت تخطو نحو الغرفة بخطوات مترنحة
وغير متزنة، وكأنها تحمل وزنًا ثقيلًا على كاهلها.

وفجأة، انهار جسدها على الأرض بعنف، وكأن قواها
قد استنزفت بالكامل. ومع ذلك، بقيت يداها ملتفتين

حول الصندوق بقوة، وكأنها تحميه من شيء خفي، أو تحاول إبقاءه قريبًا منها بأي ثمن.

ساد صمت ثقيل في الغرفة، كأن الوقت توقف فجأة، وكأن الهواء بات ثقیلاً يصعب استنشاقه. عيونهم اتسعت بالذهول، وأجسادهم تجمدت في أماكنها، غير قادرة على استيعاب ما حدث للتو.

تقدم إلياس ببطء نحو لورا التي كانت منهارة على الأرض، عيناه مسمرتان على الصندوق الأسود الذي كانت يداها متشبثتين به كأن حياتها تعتمد عليه. جلس بجانبها على ركبتيه، ولم يستطع أن يخفي ذهوله وهو يهمس بصوت مليء بالحيرة:

- لقد... وجدتِ الصندوق.

تانيا، التي كانت تقف على بعد خطوات قليلة، شعرت بقشعريرة تجتاح جسدها. اقتربت بحذر، عيناها مثبتتان على الصندوق، كأنها تخشى أن يتحرك. تمتمت بصوت مرتجف بالكاد يُسمع:

- إلياس... هل هي بخير؟

لكن إلیاس لم یُجبها. بدت ملامحه متوترة، وكأن الصندوق قد أسر انتباهه تمامًا. أمسك بيد لورا، وتحسس نبضها، لكنه فوجئ بتشبثها العنيف بالصندوق، وكأن يديها قد التصقتا به. حاول برفق فك أصابعها عنه، لكنها كانت تمسكه بقوة غير طبيعية.

زفر إلیاس بضيق، ثم حمل جسدها الهزيل، ووضعها على الأريكة. استدار بسرعة ونادى بصوت حازم:

- سارة، أحضري لي كوبًا من الماء... الآن!

هرعت سارة إلى المطبخ، يداها ترتجفان بعنف، وهي تحاول سكب الماء في الكوب. لكن قبل أن تصل، انزلت الكأس من يدها وارتطمت بالأرض، متحطمة إلى شظايا صغيرة. صرخت بصوت مكتوم من الصدمة، بينما تسالت إليها برودة غريبة.

ركض جون نحوها بسرعة، وجهه متوتر ويدها تمتدان لمساعدتها. سألها بقلق:

- سارة، هل أنت بخير؟ ماذا حدث؟

لكن ما حدث بعد ذلك جمد الدماء في عروقه. رفعت

سارة رأسها ببطء، ونظرتها كانت أشبه بسهم يخترق أعماقه. كانت عيناها مظلمتين كأنهما بوابتان إلى هاوية لا قرار لها. اقتربت منه ببطء، وعندما وصلت، أمسكت بياقة قميصه بيدين حديديتين، وقربت وجهها منه.

قالت بصوت منخفض مليء بالكره والاشمئزاز، وكأنها أفعى تهمس في أذنه:

- أنت تظن أنك قوي؟ أنت لا شيء. مجرد ظل ضعيف يعيش في خوف دائم. مهما حاولت أن تتظاهر بالإيمان، أعلم أنه وهم. أنت أضعف من أن تقاوم، وجميعكم ستسقطون قريبًا.

جون، وهو يخنق من قبضتها التي ازدادت إحكامًا:

- نينا... ابتعدي عني...!

لكنها لم تتركه. بدت وكأنها تستمد قوتها من ضعفه، تستمتع بمعاناته. حاول التخلص منها، لكن قوتها كانت خارقة، تفوق قوته بأضعاف.

في تلك اللحظة، تدخل إلياس بسرعة، ممسكًا

بزجاجة ماء ممزوجة بالملح وآيات القرآن كان قد
حضّرها مسبقًا. رفع الزجاجاة، وسكب الماء عليها دفعة
واحدة.

صرخت سارة، أو بالأحرى نينا، صرخة مرعبة شقت
السكون. وقعت على الأرض، وهي تحاول مسح الماء
من وجهها وذراعيها وكأنها تشتعل. صراخها كان
خليطًا من الألم والغضب:

- أنا أحترق...! كيف تجرؤ أيها اللعين؟! سأقتلك...
من أين أتيت لتحطم عالمي؟!

اقترب منها إلياس ببطء، وصوته كان منخفضًا، لكنه
محمل بوعيد قاطع:

- ستدعين جون وشأنه. أعرف أن كل ما تفعلينه الآن
مجرد محاولة ضعيفة لإخفاء خوفك. أنتِ تعلمين أننا
وصلنا إلى النهاية... وسأحرقك الليلة بإذن الله.

لكنها رفعت رأسها، ودموعها تسيل بغزارة، صرخت
بصوت مختنق:

- لا... لا! أرجوك، لا أريد أن أموت. لكن... لا أستطيع

ترك جسد لارا!

صاح إلیاس بحدة:

- ولماذا لا تستطيعین تركه؟

تراجعت نینا إلى الخلف، وكأنها تحاول الهروب من المواجهة. بدأت تبكي وتتمتم بصوت مخنوق:

- سيقتلونني... إن تركتها، فسيقتلونني!

ضحك إلیاس بسخرية، وقال بتهكم:

- وإن بقيتِ، فسأحرقك بكلام الله. حتى لا يبقى منك شيء.

كانت نینا تجهش بالبكاء، جسدها يهتز وكأنها في صراع داخلي مرير. صرخت فجأة:

- لا أستطيع... سارة تحرقني كل يوم بصلاتها. وأنت... أنت تدمرني بآياتك.

تقدم إليها إلیاس خطوة أخرى، وصوته صارم وحازم:

- إذا كان لديك حل، فقل لي الآن.

أشارت نينا بيد مرتعشة نحو الصندوق الأسود، وقالت
بصوت خافت مليء بالخوف:

- هنا... الحل يكمن هنا.

في تلك اللحظة، ارتج جسد لارا فجأة، وكأن شيئاً قد
غادره. فتحت عينيها ببطء، نظراتها مشوشة لكنها
مليئة بالخوف. نظرت إلى ملابسها المبتلة، وهمست
بصوت مرتجف:

- ماذا... ماذا يحدث؟

ابتسم لها إلياس بود، ومد يده ليساعدها
على النهوض:

- لارا، كل شيء بخير الآن. انهضي معي.

نهضت لارا ببطء، لكن عندما وقعت عيناها على
الصندوق الأسود، تغيرت ملامحها بالكامل. أفلتت يدها
من يد إلياس، وسارت نحوه ببطء، وكأن شيئاً ما
يجذبها إليه. همست بصوت خافت مليء بالرهبة:

- هذا... صندوق أمي.

ظل الجميع يراقبونها بصمت وذهول، بينما كانت تمد
يدها نحو الصندوق، وكأنها تحاول استرجاع شيء
مفقود. فجأة صرخ إلياس بصوت محذر:

- لا تلمسيه!

التفتت لارا نحوه بغضب لأول مرة، وصاحت
بصوت عالٍ:

- لماذا؟! كنت أفتحه مع أمي دائمًا... كان
صندوقها المفضل!

ارتعش جون في مكانه، وتلعثمت كلماته وهو
يسألها بصوت مخنوق:

- لارا... هل تعلمين ما بداخله؟

لكن لارا تجاهلت كلماته تمامًا، وأكملت اقترابها. في
تلك اللحظة، تحركت لورا، التي كانت مستلقية بجوار
الصندوق، فتحت عينيها ببطء وكأنها عادت من عالم
آخر. شدّت قبضتها على الصندوق بقوة، صوتها بالكاد
يُسمع، لكنه كان مليئًا بالتحذير:

- ابتعدي... هذا الصندوق ليس لك.

اندفع إلياس بسرعة نحو لورا، ركع بجانبها وهو
يمسك بكتفيها بلطف، وقال بصوت قلق:

- لورا، هل أنت بخير؟!

حاولت لورا الجلوس، وساندتها تانيا التي كانت
تحدق بها بوجه شاحب وقلق جارف. همست تانيا
بلهفة:

- لورا... ما الذي حدث لك؟ أخبرينا.

نظرت لورا إلى تانيا بعينين منهكتين، ثم تمتمت:

- أحتاج إلى كوب ماء، من فضلك.

أومأت تانيا برأسها وغادرت بسرعة. بقي الجميع حول
لورا، يترقبون تفاصيل ما حدث، بينما لارا وقفت على
الجانب، ملامحها غاضبة ونظراتها مركزة على
الصندوق، وكأنها تنتظر الفرصة لانتزاعه.

عادت تانيا بكوب الماء، سلمته بلطف إلى لورا، التي
أخذته بيدين مرتعشتين، وشربت منه ببطء. وضعت

الكوب على الطاولة، ثم مسحت وجهها براحة يدها،
صوتها خرج أخيرًا، لكنه كان متعبًا:

- عندما ذهبت للنوم، لم أستطع النوم. جلست على
الأريكة أقرأ القرآن حتى غفوت. حلمت بوالدتي. توقفت
لورا قليلًا، وكأنها تعيد ترتيب أفكارها، ثم أكملت
بصعوبة:

- لقد كانت رؤية... وليس حلمًا.

اقترب إلياس منها، عيناه يملؤهما الترقب والجدية،
وقال بهدوء لكنه كان حازمًا:

- ماذا رأيت، لورا؟ كل تفصيل مهم، مهما بدا صغيرًا.

نظرت لورا نحو الصندوق، وكأنها تحاول استجماع
شجاعته. همست بنبرة حزينة:

- كنت في الغابة. المكان كان مظلمًا، الأشجار تتحرك
وكانها تراقبني. سمعت أصواتًا تناديني باسمي، لكنها
لم تهمني. ما جذبني... كان صوت أمي. صوتها كان
مليئًا بالحزن، وكأنها كانت تحاول حمايتي من شيء.

انسابت الدموع من عينيها وهي تسترجع المشهد.

قاطعها جون بصوت مرتجف:

- هل رأيت ميليسا فقط؟ لم تَرَي كاميليا؟

هزت لورا رأسها بالنفي، وعيناها مليئتان بالحزن:

- لا... كانت أُمي فقط. كانت مرهقة وخائفة. حاولت

الوصول إليّ، لكن فجأة ظهرت ظلال سوداء، بدأت

تسحبها بعيدًا عني. قبل أن تختفي، أشارت إلى شجرة

بنقوش غريبة، وقالت: "الصندوق هنا... لا تفتحوه إلا

بتحصين... سيبتلعكم جميعًا." ثم اختفت.

توقفت لورا للحظة، ثم أضافت بصوت متألم:

- استيقظت مذعورة، وأدركت أن ما رأيته لم يكن

مجرد كابوس... كان رؤية. شعرت أن عليّ الذهاب إلى

الغابة... والبحث عن الشجرة.

قاطعتها لارا، وهي تضرب الطاولة بغضب وصاحت:

- توقفوا! أنتم تجعلون الأمر يبدو وكأنه نهاية

العالم! هذا الصندوق كان ملك أُمي، وكانت تحبه!

كيف يمكن أن يكون خطرًا؟!

التفت إليها إلياس بنظرة صارمة، ونبرة غاضبة تحمل ثقل التجربة:

- لارا... لقد كنتِ طفلة حينها. ما لم تدركيه هو أن والدتك كانت تحميك من هذا الصندوق. إنه ليس مجرد ذكرى... إنه يحمل شرًا لا يمكنك تخيله.

أضاف جون بصوت مليء بالقلق والندم:

- لارا... والدتك لم تخبرني قط عن هذا الصندوق، لكنها كانت تخاف منه. كانت تخفي شيئًا... شيئًا لم أفهمه أبدًا.

جلست لارا على الكرسي بغضب، بينما تابعت تانيا، بنبرة ناعمة لكنها قاطعة:

- لورا، كيف وجدتِ الصندوق؟ أخبرينا.

أخذت لورا نفسًا عميقًا، وقالت بهدوء:

- مع اقتراب الفجر، شعرت بشيء يدفعني للخروج. خرجت وحدي... كنت مصممة على إيجاد الشجرة.

قاطعتها تانيا بقلق واضح:

- كيف غادرتِ وحدك؟! تعرفين أن الغابة خطيرة!

ردت لورا بنبرة حزينة:

- أعلم، لكن كان عليّ تنفيذ رغبة والدتي. عندما وصلت، سمعت الهمسات التي سمعتها في الحلم. لكنها لم تخفني... كنت أعلم أن الله معي.

سألها جون بحذر:

- وماذا وجدتِ؟ هل كانت الشجرة موجودة؟

أومأت لورا برأسها وقالت:

- كانت الشجرة تمامًا كما في الحلم. حفورة برموز على شكل دوائر سوداء. شعرت وكأنها... تحرس الصندوق. عندما اقتربت، سمعت الهمسات بشكل أوضح. بدأت بقراءة آيات القرآن، وواصلت الحفر حولها، حتى كشفت عن الصندوق.

تدخلت لارا بغضب:

- هذا يكفي! أنتم تضخمون الأمور. هذا الصندوق

مجرد ذكرى تركتها أُمي!

رد عليها إلیاس بحزم:

- هذا الصندوق ليس مجرد ذكرى! إنه السبب وراء
مأساة والدتك... ووالدة لورا أيضًا. كل من اقترب منه،
فقد عقله، وانتهى به المطاف إلى الهاوية.

توقفت الغرفة في صمت مشحون، قبل أن تكمل لورا
حديثها، عيناها مثبتتان على الصندوق:

- بمجرد أن أمسكت بالصندوق، شعرت بالأرض تهتز.
الظلال بدأت تتحرك نحوي. ثم... سمعت صوت أُمي
تصرخ: "اِزْكُضِي! لا تنظري خلفك!" فركضت بكل
قوتي... لم أتوقف حتى وصلت إلى القصر.

تقدم جون ببطء نحو لارا، عيناها تتابعانها بقلق بالغ،
صوته خرج مرتجفًا، وهو يكرر سؤاله:

- لارا... هل تتذكرين؟ ماذا كان داخل الصندوق؟ هل
جعلتك والدتك تلمسين ما بداخله؟

تجمدت ملامح لارا للحظة، وكأن سؤال والدها أيقظ

ذكرى كانت نائمة في أعماقها. أخذت نفسًا عميقًا،
محاولةً التقاط خيط الذكرى، لكن فجأة شهقت،
ووضعت يدها على فمها، عيناها اتسعتا برعب.

اندفعت تانيا نحوها، قبضت على يدها المرتعشة،
نبرتها كانت خليطًا من القلق والتوسل:

- لارا... ماذا تذكرتِ؟!

ببطء، أشارت لارا إلى الصندوق، وكأنها تتوقع أن
ينهض ككائن ينبض بالحياة. صوتها خرج مبحوحًا، لكنه
كان مثقلًا بالخوف:

- كان بداخله... مرآة سوداء.

اجتاحت الصدمة الغرفة، تبادل الجميع نظرات
مضطربة، لكن لارا لم تكن قادرة على التوقف. الكلمات
تدفقت منها كأنها تحررت ولم تعد قادرة على كتمان
ما عايشته:

- أُمي كانت تتحدث إليها كل ليلة. لم تكن تعاملها
كجماد، بل كشخص حيّ. وعندما حاولتُ لمسها ذات
مرة، غضبت بشدة... بدت مرعوبة، وهي تمسك بيدي،

عينها كانتا ممتلئتين بالدموع وهي تهمس: "إياك
والنظر إلى تلك المرأة!"

ساد الصمت للحظات، لكنه لم يكن صمتًا عاديًا، بل
كان مثقلًا بأسئلة غير منطوقة. لارا ابتلعت ريقها، ثم
تابعت بصوت متقطع، وكأنها تسحب الذكرى من أعماق
نهر مظلم:

- لكنني كنت فضولية...

خففت رأسها قليلًا، أصابعها قبضت على طرف
ملابسها بشدة.

في إحدى الليالي، تسللت إلى الشرفة العلوية، حيث
كانت تجلس مع الصندوق دائمًا. كان المكان مظلمًا...
وهادئًا بشكل غير مخيف.

توقفت، عينها ارتجفتا للحظة، وكأنها تقف من
جديد في تلك الليلة، تستعيد التفاصيل كما لو كانت
تعيشها الآن. بينما كان الجميع ينظرون إليها بترقب،
أنفاسهم محبوسة، وأعينهم ممتلئة بالرعب مما
ستقوله.

اقترب إلياس قليلاً، ونبرته حملت مزيجاً من
القلق والأمر:

- لارا... تابعي، ماذا رأيت في تلك الليلة؟

فركت لارا يديها بعضهما ببعض بتوتر، بلعت ريقها
بصعوبة، ثم همست وكأنها تخشى أن تسمع نفسها:
- كانت الشرفة فارغة... اقتربت من الصندوق
بحذر... وفتحته.

جسد جون ارتعش، وضع يديه على رأسه، وكأنه
يحاول كبح موجة الذكريات التي اجتاحتها. تانيا وضعت
يدها على فمها المرتجف، وعيناها اغرورقتا بالدموع
وهي تهمس:

- يا إلهي!....

أكملت لارا، عيناها مسمرتان على الصندوق، وكأنها
تراه كما رآته حينها:

- أخرجت المرأة... رفعتها ببطء أمام وجهي، لكن
قبل أن أرى أي شيء، سمعت صوت خطوات سريعة...

كانت أمي!

أخذت نفسًا مرتجفًا قبل أن تتابع:

- انتزعت المرأة من يدي بغضب... كانت عيناها مليئتين بالرعب. صرخت في وجهي، ثم رمت المرأة على الأرض بكل قوتها... وتحطمت إلى قطع صغيرة.

حملت في الفراغ، وكأنها ترى المشهد أمامها من جديد، ثم أضافت بصوت شبه هامس:

- لا أتذكر ما حدث بعد ذلك... فقط أشعر أن شيئًا ما تغير. في اليوم التالي... بدأت أمي تتصرف بشكل غريب... وكأنها لم تعد هي.

في تلك اللحظة، أخذ جون خطوة للخلف، وكأن صدمة الذكرى سحبت الهواء من رئتيه. مرر يده على وجهه، وكأنه يحاول استيعاب ما سمعه، ثم همس بصوت متقطع:

- كنت أعلم... كنت أعلم أن هناك شيئًا حدث في تلك الليلة.

رفعت لارا نظرها إليه باستغراب، فسارع بإكمال كلامه، وكأنه يحاول استجماع شتات ذاكرته:

- استيقظتُ تلك الليلة على صراخ مفزع قادم من الشرفة العلوية... هرعْتُ إلى هناك، فوجدتُك ملقاة على الأرض، بلا وعي... ووالدتكِ كانت...

توقف للحظة، وحبس أنفاسه، كأن نطق الجملة سيعيد المشهد إلى الواقع، لكنه أجبر نفسه على المتابعة:

- كانت تضرب نفسها بجنون. كنت أصرخ عليها، أحاول إيقافها... لكنها لم تكن تستجيب. كان الأمر أشبه بأنها... تقاتل شيئاً لا نراه.

وضعت تانيا يدها على قلبها، ودموعها تجمعت في عينيها وهي تهمس بصوت مذعور:

- يا إلهي!...

أغمض عينيهِ للحظة، وكأنه يحاول طرد الصورة من ذهنه، لكنه حين فتحهما، كانتا مشبعتين برعب لا يزال يسكنه منذ تلك الليلة:

- ذلك اليوم... اتصلتُ بكِ، تانيا... طلبتُ منكِ المجيء
بسرعة، لأنني شعرت أن كاميل... فقدت عقلها.

صمت جون، ثم نظر إلى إلياس بعينين مذعورتين:

- هل تظن أن ما حدث لها بسبب كسرها للمرأة؟

ساد الصمت للحظات بعد كلمات جون، لكن الجو في
الغرفة بات مشحونًا بطاقة غامضة، وكأن الهواء نفسه
يثقل على صدورهم. كان الصندوق الأسود جاثمًا على
الطاولة، يبعث شعورًا مخيفًا، وكأن شيئًا حيًّا يترقبهم
من داخله.

كان الجميع يحدقون به، لكن لا أحد تجرأ على
الاقترب. وكأن الصندوق يحمل في طياته سرًّا لا يريد
أن يُكشف.

كسر إلياس الصمت بنبرة كانت حاسمة، لا تحمل
أي تردد:

- لا مزيد من الانتظار. الليلة... سننهى هذا
الصندوق إلى الأبد.

لورا، التي كانت تجلس بصمت، نهضت ببطء، عيناها
تحملان العزم ذاته، وصوتها خرج ثابتًا، لكن بوهج
داخلي أشبه بمن يحمل على عاتقه مسؤولية ثقيلة:

- هذا هو القرار الصحيح... يجب أن ينتهي أمر هذا
الصندوق اليوم، لترتاح الأرواح العالقة به... ولنتحرر
نحن أيضًا.

نظر إلياس إلى الجميع بعينين يقظتين، ثم قال بنبرة
تحذيرية مشبعة بالجدية:

- يجب أن يتحصن الجميع... كل واحد فيكم عليه أن
يقرأ آيات التحصين بيقين. هذه الليلة لن أحتمل أي
خطأ، ليس بعد كل ما وصلنا إليه.

التفت إلى جون، الذي كان ينظر إلى الصندوق وكأن
شيئًا داخله يهمس له. صوته حمل تحذيرًا خاضًا له:

- جون... عليك أن تتحصن جيدًا. لا مجال للضعف
الليلة، ولا لأي تسلسل للخوف. افهم هذا جيدًا.

هز جون رأسه بصمت، عازمًا على ألا يكون نقطة
ضعف هذه المرة. لكن شيئًا ما في داخله ظل

مضطربًا... وكأن هناك قوة خفية تنتظر لحظة شروده.

أمسك إلياس بالصندوق والكتاب الملعون، وسار بهما نحو غرفته، خطواته كانت بطيئة لكن واثقة.

الجميع تابعوه بأنظارهم، وكأنهم يدركون أن ما سيحدث الليلة... سيغير كل شيء.

اجتمع الجميع في غرفة الجلوس، استعدادًا للجلسة التي قد تغير مصيرهم إلى الأبد. كان المكان مثقلًا بصمت ثقيل، كأن الهواء نفسه يحمل همسات خفية، تترقب ما هو آتٍ. أضواء المنزل الخافتة ترتعش بين الحين والآخر، كأن هناك ظلًا خفيًا يسير خلفها، يراقبهم من بعيد.

في وسط الغرفة، أمام الطاولة الخشبية العتيقة، جلس إلياس بثبات، نظراته حادة، تترصد الكيان الذي سيواجهه. أمامه استقر الصندوق الأسود والكتاب الغامض، يتوسطان المشهد كأنهما حجر الأساس لهذا الكابوس المستمر. إلى يمين إلياس، كان

الشريف والماء المقروء عليه القرآن ممزوجةً بالملح،
جاهزين لخوض المواجهة، وعلى يساره وعاء كبير فارغ،
ينتظر ما سيحدث.

على الأريكة المقابلة، جلست لارا، والخوف يتجسد
في نظراتها المرتعبة. كانت عيناها معلقة بالصندوق،
وكأنها تخشى أن يتلعبها في أي لحظة. بجانبها، تانيا
تمسك بيدها بقوة، وشفتاها المرتجفتان تتمتمان
الآيات بصوت خافت، كأنها تحاول أن تزرع الطمأنينة
في قلب ابنتها، رغم الخوف الذي يعصف بها.

لورا جلست إلى يمين إلياس، ملامحها جامدة، كأنها
منحوتة من صخر، لكن أعصابها المشدودة فضحت
المعركة الداخلية التي تخوضها. هذه هي اللحظة
الحاسمة، اللحظة التي تنتظرها منذ زمن، لحظة
التخلص من الصندوق الذي سرق والدتها منها، لكي
تستعيد حريتها... وتتنفس الصعداء.

أما جون، فقد وقف عند النافذة، يراقب السماء
الداكنة، كأنه يبحث عن بارقة أمل وسط ظلمة هذا

الليل الطويل. لم يكن بحاجة للكلمات، فقد كانت
ملامحه المنهكة تقول كل شيء. هذا الكابوس
طاردهم طويلاً... لكنه يتمنى أن ينتهي الليلة، للأبد.
كسر إلياس الصمت، وصوته العميق كان أشبه
بجرس إنذار:

- بسم الله الرحمن الرحيم... سنبدأ الآن.

ثم التفت إلى جون، نظراته كانت صارمة، لا
تحتمل الجد:

- اجلس بجوار لارا وتانيا، لا نريد أن يكون
أحدكم بعيداً.

ثم نظر إلى لورا وأشار إليها:

- تعالي واجلسي بجواري، سأحتاج إلى مساعدتك.

تحركت لورا بسرعة، كأنها كانت تنتظر هذا الأمر،
بينما جون لم ينبس بكلمة، لكنه خطا نحو ابنته
بخطوات مثقلة، كأنها تحمل عبئاً ثقيلاً. جلس بجانب
لارا، وحاول أن يرسم على وجهه ابتسامة خاوية من

الحياة، لكنها لم تخفِ القلق الذي يعصف به. مدّت لارا
يدها لتشد على يده بقوة، وهمست بصوت خافت،
كأنها تتمسك بأمل أخير:

- سارة تقول إن علينا أن نسترخي... سننتصر
بإذن الله.

أومأت تانيا برأسها، وخرج صوتها المرتعش كأنها
تحاول إقناع نفسها قبل الآخرين:

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص
- بإذن الله...

أمسك إلياس قارورة الماء، وسكبها في الوعاء
الكبير، صوت الماء المتدفق ملأ الغرفة، لكن الصمت
الذي تلاه كان أكثر ثقلًا. العيون معلقة بكل حركة
يقوم بها، كأنهم يحفظون كل خطوة، كل تفصيلة عن
ظهر قلب.

ثم بدأ يتلو المعوذات بصوت عالٍ، نبراته كانت ثابتة
وقوية، كأنها سيف يشق الظلام، حرب لا يمكن لأحد
إيقافها.

أمسك بالكتاب الملفوف بالقماش، وبدأ بفكه ببطء.

كلما تحركت يداه، تسارعت أنفاسهم، وكأنهم يقتربون أكثر من الهاوية.

لارا شدّت قبضتها أكثر على يد والدها، تنفسها أصبح متقطعًا، وكأنها تختنق بالخوف الذي يحيط بها. وأخيرًا، ألقى إلياس القماش جانبًا، ونظر إلى الكتاب للحظة، قبل أن يقول بصوت يشع بالقوة، وهو يكرر الآية العظيمة:

- (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30)
أَلَّا تَغْلُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ (31)) [النمل: آية 30،
[31]

ثم وضع الكتاب داخل الماء. وما حدث بعدها... لم يكن متوقعًا.

ارتجّت الأضواء في الغرفة، وأصبح الهواء أثقل، كأن المكان نفسه ينبض بشيء خفي. رائحة كريهة تسلت إليهم، فأدركوا أن ما يواجهونه... ليس مجرد كتاب.

ثم جاءتهم همسات كانت همسات ثقيلة، لكنها

ليست بشرية. لم يكن مجرد همس، بل كلمات. بلغة لم يفهمها أحد، لكنها كانت تحمل في طياتها تهديدًا واضحًا.

لورا شهقت فجأة، بدأت تتلو القرآن بلغتهم، الكلمات خرجت منها كأنها سهام تخترق الظلام.

أما إلياس، فقد ظل ثابتًا، صوته يرتفع مع كل اهتزاز، مع كل ومضة من الضوء، وكأنه لا يواجه مجرد كتاب... بل كيانًا مطلقًا يحاول الإفلات من قبضته.

أمسك إلياس بالكتاب المغمور داخل الماء، بدأ فتح صفحات الكتاب بأطراف أصابعه وهو يشعر بقشعريرة باردة تسري في جلده، قال بنبرة قوية:

- (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20))
[البقرة: آية 20]

تردد صوته في الغرفة، بينما انقلبت الصفحة الأولى ببطء داخل الماء، لتنطلق منها فقاعات كثيفة، كأن

الكتاب يتنفس... أو يحتضر.

لم يكن مجرد كتاب... بل كيان حي، يلفظ أسرارهِ
للمرة الأخيرة.

بين الصفحات، امتدت رموز غريبة، وخطوط متشابكة
لم تبدُ كحبر ثابت، بل كانت تتحرك... تذوب... تختفي
ببطء داخل الماء، كأنها تحاول الهروب، أو ربما تتهرب
من شيء لم يكن ينبغي الكشف عنه.

قلب إلياس صفحة أخرى. فجأة... اهتز الوعاء بعنف!
تبعه صوت مكتوم، أشبه بصرخة مخنوقة قادمة من
أعماق الماء، أو من بين طيات الأوراق الملعونة.

توقفت أنفاس الجميع. نظرت لورا حولها بعينين
مذعورتين، ثم همست بصوت مرتجف:

-هل سمعتم ذلك؟

التقت نظراتهم في توتر صامت. أوماً جون وتانيا
ولارا برؤوسهم ببطء، دون أن يجرؤ أحدهم على كسر
الصمت الذي خيم على المكان.

رفع إلیاس عینیہ، نظر إلی لورا بحدۃ، کانت نظرتہ
أمرًا بالصمت... أمرًا لا یقبل الجدل.

فهمت الرسالة، أغمضت عینیها وأخذت نفسًا عمیقًا،
ثم بدأت تقرأ المعوذات بصوت ثابت، رغم أن قلبها کان
یرتجف.

تساقطت الكلمات الغامضة من الصفحات، واحدة تلو
الأخری، تتحلل داخل الماء، تاركة أثرًا رماديًا قاتمًا،
كأنها وصمة من ماضٍ لم یمت بعد.

توقف إلیاس للحظة، نظر إلی الصفحة الأخيرة...
کانت مختلفة. وسط الورقة ظهر رمزٌ غامض، تحيط به
دوائر من طلاس معقدة، تتشابك وتلتف حوله كما لو
کانت تحمیه.

لكن الحبر هذه المرة... لم یذب. ظل ثابتًا، یقاوم
الماء، یقاوم الانصهار، یقاوم الكلمات المباركة التي
تتلی فوقه.

أحس إلیاس ببرودة مفاجئة تزحف عبر أنامله، كأن
الورقة تبث إلیه تحذيرًا... أو لعنة أخيرة.

أخذ نفسًا عميقًا، شد قبضته، ثم بدأ بتلاوة المعوذات بصوته القوي.

- (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5)) [الفلق: آية 1، 5]

صوته حمل يقينًا لا يُكسر. لكن ذلك لم يكن كافيًا... لم يكن الكتاب وحده من يحمل الأسرار.

نظر إلياس إلى الطاولة، حيث كان الصندوق الأسود يتربص بهدوء في مكانه... في انتظار اللحظة المناسبة لتألقه. دون تردد، أمسكه بحذر شديد، ورفع بهبطاء... ثم غمره في الماء حتى استقر في قاعه.

فجأة، انطلقت صرخة مدوية من لارا، اخترقت أرجاء المنزل كالسهم، واهتز الهواء من حولها، وكأن شيئًا غامضًا قد انفجر في الغرفة. ^{جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص}

توقف الزمن للحظة، قبل أن يقفز جون وتانيا من مكانهما، عيونهما متسعة برعب، أنفاسهما متقطعة. كان المشهد أمامهما كابوسًا يتجسد أمام أعينهما.

سقطت لارا على الأرض بعنف، ظهرها انحنى بزاوية غريبة، وكأن شيئاً غير مرئي يحاول انتزاعها من جسدها. عيناها توسعتا برعب، ثم انفتح فمها دون إرادة منها... وخرج منه صوت ليس بصوتها، بل صوت نينا.

لكنها لم تكن نينا المعتادة، الساخرة والمراوغة، كانت تبكي، تنتحب وتستغيث.

- أخرجوه... أخرجوه من الماء... أرجوك... إني أحترق! أخرج به وسأخبرك الحقيقة!

كان صوتها مختلفاً... هَشّاً... يائساً. وكأنها، لأول مرة، تخشى شيئاً حقيقياً.

اندفع جون نحوها بجنون، قبض على ذراعها، وهزها بعنف كمن يحاول إيقاظها من كابوس مستمر، ثم صفعها بقوة جعلت رأسها يرتد للخلف وهو يصرخ:

- اخرجي من ابنتي، أيتها اللعينة! اخرجي الآن!

لكنها لم تستجب. انفجرت في نوبة صراخ حادة، جسدها يرتعش كأن النيران تلتهمه من الداخل، كأنها

تقتلع روحها قطعة قطعة.

صرخت تانيا، وهي تمسك بذراع جون، تحاول سحبه بعيدًا عنها:

- جون، توقف! إلياس سيتصرف... ابق بعيدًا عنها!

رفع إلياس الصندوق عن سطح الماء، نظر إلى نينا بنظرة قاتلة، كما لو أنه يعلم أن هذه اللحظة هي التي ستكشف كل شيء. قال بصوت حاد، مليء بالإصرار:

- أخبريني الحقيقة. دون أي كذب.

ارتجفت نينا، عيناها توسعتا بخوف، وكأنها أخيرًا أدركت أن لعبتها انتهت. نظرت إلى إلياس بعينين غارقتين في الذعر. ثم تمت بصوت متقطع:

- كاميلا... كاميلا هي السبب!

صرخ جون بغضب، وجسده يرتعش:

- لا تكذبي! كيف تكون السبب؟!

نظرت نينا إلى إلياس، كأنها تستنجد به، دموعها

تلمع تحت الضوء الخافت.

- أنا لا أكذب... لقد كانت تعرف! من يفتح الصندوق،
ويكمل الطقوس حتى النهاية... لا يمكنه التراجع.
هذا هو القانون.

ضيّق إلياس عينيه، كأن شيئاً ما بدأ يتضح له. قبض
على يده بقوة، ثم سألها بحدة:

- ماذا فعلت كاميللا؟ أخبريني كل شيء.

ارتجفت شفتا نينا، وكأنها تقاوم قول المزيد، لكن
شيئاً أقوى منها أجبرها على النطق:

- أنتم البشر... دائماً تظنون أنكم ضحايا. تظنون أننا
نقتحم حياتكم بالقوة... نقتحم أجسادكم، عقولكم،
أحلامكم... لكن الحقيقة؟

شدّ إلياس قبضته، ملامحه صلبة، منتظراً أن تكمل
حديثها، كما لو أن كل كلمة هي جزء من لغز كان يجب
حله.

ابتسمت نينا بسخرية، صوتها مشحون بمرارة خبيثة:

- نحن لا ندخل إلا إذا سمحتم لنا بذلك.

ساد صمت ثقيل في المكان. كانت العيون مشدوهة،
وأصوات الأنفاس تتسارع، كما لو أن الفهم قد بدأ
يتسلل إلى عقولهم واحدًا تلو الآخر.

همست تانيا، صوتها يكاد يختنق:

- ماذا تعنين...؟

مالت نينا برأسها، نظراتها اخترقت عيونهم كمن
يكشف لهم سرًا مدفونًا في الظلام منذ الأزل:

الخوف، الغضب، الحسد، الجشع، الشك... أنتم
تفتحون لنا الأبواب بأيديكم. نحن لا نكسر الأبواب
المغلقة... أنتم من تتركونها مواربة، تنتظروننا أن
ندخل.

ابتسم إلياس بهدوء قاتل، لكن نبرته تحمل يقينًا
لا يتزعزع:

- معك حق نينا.

رفعت نينا حاجبها وكأنها لم تتوقع هذا الاعتراف

منه، بينما جون وتانيا ولورا نظروا إليه بصدمة،
وملامحهم تجمدت.

تابع إلياس حديثه وهو يتقدم نحوها بخطوات ثابتة:

- نعم، نحن من نفتح لكم الأبواب... نحن من نترك
الخوف والضعف يلتهماننا... نحن من نستمع
لهمساتكم... لكن.

جثا على ركبتيه أمامها، وأصبح وجهه مقابلاً
لوجهها تمامًا:

أنتم لا تتوقفون عند ذلك. لا تكتفون بمن سمح لكم
بالدخول... بل تستبيحون كل الأرواح دون وجه حق!

ابتسمت نينا بخوف، وارتجف طرف شفرتها، وكأن
كلماته أصابتها في عمق قلبها.

إلياس وعيناه تضيقان بإصرار قاتل ونبرته المنخفضة
حادّة وكأنها سهام تخترقها:

- كم من روح لم تمنحكم الأذن، ومع ذلك
التهتمتموها؟ كم من بريء لم يكن له يد في ما حدث،

ومع ذلك دفع الثمن؟ أنتم لستم مجرد همسات
تُسمع... أنتم طاعون يتسلل إلى كل شيء... حتى
لمن لم يطلبكم.

ميلت نينا رأسها قليلاً، وعيناها غمرهما الظلام، ثم
قالت بنبرة متعكدة، كأنها تحاول تحديه:

- وهل تعتقد أن هذا سيغير شيئاً إلياس؟

اقترب منها إلياس أكثر، وعلى وجهه ابتسامة
ساخرة قال بنبرة منخفضة، لكن تحمل تهديداً واضحاً:

- بالطبع لا. لكن سيغير كيف سينتهي الأمر مع لارا.

نهض إلياس متوجهاً نحو الصندوق وعيناها تراقبانه
بخوف، تسارعت نبضات قلبها، وبدأ جسدها يرتعش
وهي تراه يحمل الصندوق بيده، ويقربه من الماء.
صرخت بخوف:

- لا... لا... لا.

ما أن انغمر بالماء إلا واهتز جسد لارا بعنف، وكأن
نينا تحاول تمزيقها من الداخل. الضوء الخافت بدأ

يرتعش وكأن شيئاً على وشك الانفجار.

أما إلياس، فلم يكن ينظر إليها. كان يركز تمامًا على الصندوق، يده غارقة في الماء، محاولًا فتحه. كان الصندوق محكم الإغلاق، كما لو أن قوة غامضة تحرسه. رفع إلياس صوته بالقرآن، وكأن الكلمات كانت تهمس للماء نفسه:

- (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (79) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (80) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (81) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (82)) [يونس: آية 79، 82]

انفتح الصندوق فجأة، واهتز الماء بعنف، وكأنه يغلي في لحظة واحدة. بدأت فقاعات سوداء تتصاعد منه، تحمل رائحة حريقٍ ممزوجة برائحة عفنٍ خانق، وكأنها أنفاس كائنٍ ظل مدفونًا لقرون في أعماق الظلام.

شهقت لارا، لم تكن شهقة عادية، بل شهقة من رأى شيئاً غير قابل للتصور. عيناها اتسعتا إلى أقصى حد، وجسدها ارتفع عن الأرض وكأن شيئاً غير مرئي كان يسحبها للأعلى. كانت أطرافها متيبسة، وفمها مفتوحاً في محاولة يائسة لالتقاط الهواء، ولكن... لم يكن هناك هواء.

ثم دوى صوت انفجارٍ يصم الآذان، ولكن لم يكن انفجاراً عادياً. جاء الصوت من الطابق العلوي، اهتزت الجدران، ارتجف المنزل بأسره، كما لو أن زلزالاً اجتاحه. تساقطت الصور من الحوائط، وتحطمت المصابيح على الأرض، مخلفة شظايا زجاجية تلمع في الظلام الداكن الذي ابتلع المكان.

وفي اللحظة ذاتها، تلاشى صوت نينا الباكي. لم يكن اختفاءً عادياً، بل... كان توقفاً مفاجئاً، وكأن شيئاً قد انتزعها من الوجود.

ثم... حل الصمت. لكن ليس صمتاً عادياً، بل صمتٌ مريبٌ، ثقيلٌ، كأن المكان نفسه توقف عن التنفس.

حتى إلياس، الذي ظل صوته يتردد منذ البداية، اختفى صوته الآن. لا شيء. لا نفس، لا حركة، لا همسات. كأن المنزل قد تجمد في لحظة... ما بين الحياة والموت.

سكن المنزل أخيرًا بعد العاصفة... لكن الصمت الذي عمّ المكان لم يكن صمت راحة، بل صمت ثقيل، كأنه تردد اللحظة الأخيرة بين النور والظلام.

أخذ إلياس نفسًا عميقًا، وزفره ببطء شديد، ثم أخذ المصحف، ووضعه على صدره، وكأنه يريد أن يعيد توازنه منه. كان صوته في البداية هادئًا، لكنه ازداد صلابة مع كل حرف نطق به، كأن القوة التي تقرأ بها الكلمات تعيد تشكيل الواقع نفسه:

- (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)
((81)) [الإسراء: آية 81].

ترددت الكلمات في المكان، كأنها تمزق شيئًا غير مرئي، شيئًا كان متغلغلًا في الهواء نفسه. ارتجف جسد لورا، شعرت أن الصوت يتسلل إلى وعيها،

يسحبها من العدم الذي كانت غارقة فيه منذ لحظات.
استجمعت ما تبقى من إرادتها، وتحركت ببطء، كأنها
تخشى أن تكتشف أن ما حدث لم يكن سوى كابوس
آخر. امتدت يدها إلى هاتفها المرتجف، وما أن
أمسكته حتى أضاءت مصباحه بقلق. وجهت الضوء نحو
الأرض... فتجمدت أنفاسها.

كانت لارا، تانيا، وجون معددين بلا حراك. شعرت أن
الأرض تهتز تحتها، وتسالت رعشة باردة إلى أطرافها،
ارتجف المصباح في يدها، كأن صدمة المنظر لا تحتمل.
تراجعت خطوة، ثم نظرت نحو إلياس، الذي ظل صوته
وحده يملأ الفراغ.

اقتربت منه ببطء، عيناها معلقتان على الوعاء الذي
كان يصدر أصوات صرير خافتة، كأن شيئاً داخله يحتضر.
تحركت قطع الصندوق القديم، وانفصلت بعضها عن
بعض، كما لو أن لعنته كانت تتفكك، قطعةً قطعة.
وفي اللحظة التي تحطم فيها الغطاء تمامًا، انتفض
جسد لارا بعنف. كان المشهد أقرب إلى خروج أرواح
متعددة من جسد واحد، كأن شيئاً ما كان يسكنها

ويرفض الرحيل.

ارتفع صوت إلياس بفرح، كان انتصارًا أكبر من مجرد
نهاية معركة:

- الله أكبرُ الله أكبرُ، الله أكبرُ الله أكبرُ، أشهدُ أن لا
إله إلا الله، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ الله.

نهض إلياس بخطوات واسعة، وضع يده على جبين
لارا، حتى سكن جسدها، ثم ابتسم بسعادة وقال:

- الحمد لله... لقد انتهى الأمر. أخيرًا.

هَبَّ نسيم عليل يملأ المكان، وكأنه يحمل معه نَفْسًا
من السماء، فيما تسلت خيوط الفجر الخافتة عبر
النوافذ، مُعلنة بزوغ النور بعد ليل طويل من الظلام.
ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتي إلياس، سرعان ما
تحولت إلى ضحكة تنبض براحة النصر. التفت إلى لورا،
التي كانت جاثية عند قدميه، ودموعها تنساب بهدوء
على وجنتيها، لكنها لم تكن دموع حزن، بل دموع فرح
وانتصار... انتصار لروحها، ولذكرى أمها التي استُلبت
منها ذات يوم.

فتح جون عينيه ببطء، محاولاً استيعاب ما حدث. هل كان ما جرى مجرد حلم، أم أنه الحقيقة ذاتها؟ لكن صوت ضحكة إلياس التي اخترقت السكون جعله ينتفض جالساً. رفع رأسه فرأى إلياس يجلس بجانب لارا، يرفع بصره إلى السماء مرة، ثم يضحك مرة أخرى، كأنما يستنشق طعم الانتصار لأول مرة. نهض جون ببطء، قلبه يضج بمشاعر مختلطة، رغم أنه لم يدرك تمامًا ما حدث، ثم قال بصوت تغمره الحيرة والذهول:

- الأمر انتهى، أليس كذلك؟

هز إلياس رأسه مبتسماً، لكن صوته كان مشوباً بثقل المعركة التي خاضها:

- إن شاء الله، لقد انتهى.

لم يستطع جون تمالك نفسه، احتضن إلياس بقوة، وارتجف صوته بالبكاء:

- لقد انتهى الأمر... لقد انتهى.

في هذه الأثناء، استيقظت تانيا على صوتهما، أجمعت للحظة، لكن نظرتها اتجهت مباشرة إلى لارا.

رأتها لا تزال مستلقية، لا تتحرك. ركضت نحوها، قلبها ينبض بقوة:

- لارا... لارا. هل تسمعينني؟

هزتها برفق، صوتها يترجى إجابة، أي إجابة. ثم... أخيرًا، فتحت لارا عينيها.

شعرت وكأنها استيقظت من حلم طويل، حلم استنزفها منذ طفولتها. نظرت حولها إلى الوجوه المحيطة بها، جون، تانيا، إلياس، ولورا. جميعهم حولها.

فجأة، أدركت أن روحها تغيرت، أصبحت أخف، لم تعد تشعر بالثقل داخلها. ثقل نينا الذي كان يسكنها اختفى، للمرة الأولى، كانت وحدها داخل نفسها. كانت... حرة.

غطت وجهها بيديها، وانفجرت في البكاء. لكنه لم يكن بكاء خوف أو ألم، بل بكاء شخص عثر أخيرًا على نفسه بعد سنوات من الضياع.

تحدثت تانيا بخوف، وعيونها مليئة بالدموع:

- لارا حبيبتي... هل أنت بخير؟

نظرت لارا إلى عيني أمها، وابتسمت من بين دموعها، ثم التفتت إلى والدها، وقالت بصوت باك:

- أمي، أبي، أنا هنا. هذه المرة الأولى التي أشعر أنني هنا، أنا حرة.

بكي جون وتانيا، وعانقاها بقوة. شعرت لارا بالأمان الذي سرق منها منذ طفولتها، شعرت أنها عادت إلى الحياة بعد سنوات من التيه.

ابتسم إلياس ولورا بسعادة وهما يشهدان هذا المشهد المليء بالسكينة. كانت هذه اللحظة التي قاتلوا من أجلها، اللحظة التي بدت يومًا بعيدة، مستحيلة، لكنهم الآن يلمسونها بأرواحهم، كأنها ضوء في نهاية نفق طويل. غير أن إلياس لم يسمح لنفسه بالاستسلام للراحة بعد، فكان هناك أمر آخر يجب أن يُحسم.

بخطوات ثابتة، صعد إلى الطابق العلوي، حيث دوى صوت الانفجار. عندما وصل، وجد باب غرفة لارا محطّمًا،

وكان قوة غير مرئية مزقته من الداخل. شعر بأنفاسه تتباطأ وهو يدخل الغرفة، لكن ما رآه أوقفه في مكانه. رفع يده إلى أنفه فوراً، فقد ملأت الغرفة رائحة كريهة خانقة، رائحة العفن والموت.

على الجدار، حُفرت رموز غامضة، لكن وسطها انشق كأن قوة هائلة مزقته من الداخل. كان المكان مغطى بأشلاء سوداء لزجة، وكان شيئاً غامضاً، كياناً غير مرئي، قد لقي حتفه هنا. خلفه، سمع خطوات تقترب، وصوت جون يخرج في همسة مرتجفة:

- يا إلهي... ماذا حدث هنا؟

تجمدت ملامح لارا عند رؤيتها للمشهد، شحبت بشدة وكان معدتها انقلبت رأساً على عقب. لم تحتمل الرائحة، فاندفعت مسرعة إلى دورة المياه، حيث أفرغت كل ما في جوفها. لحقت بها تانيا على الفور، تربّت على ظهرها بحنان، وهمست بقلق:

- لارا، هل أنت بخير؟

رفعت لارا وجهها، عيناها دامعتان، ثم أومأت برأسها

بصوت متقطع:

- الرائحة... إنها لا تُحتمل.

وسط الصمت المتوتر، تحدثت لورا بصوت منخفض،

لكنه مفعم بالخوف:

- لا يمكننا التوقف هنا... يجب أن ننهي ما بدأناه.

ألقى إلياس نظرة أخيرة على الجدران المشوهة، ثم

قال بحزم، وهو يغادر الغرفة:

- معك حق.

نزل السلالم بسرعة، وعاد إلى الوعاء الذي تحول

ماؤه إلى قطعة من الظلام الدامس، سائل ثقيل كأنه

يحمل بقايا اللعنة التي أرهقت كل من لامسها. أدرك

أن ترك أي أثر منها سيكون خطأ فادحًا.

نظر إلى الجميع بعينين حادتين، وقال بصوت صارم:

- يجب أن نحرق ما تبقى من القطع.

لم يتردد أحد، وكأنهم جميعًا شعروا أن الشر لن

ينتهي حقًا إلا عندما يُمحى آخر أثر له. أمسك إلياس

بقطعة القماش التي كانت تغطي الكتاب، وجمع بقايا القطع المتكسرة بعناية، وكأنه يلتقط شظايا كابوس لا يمكن السماح له بالعودة مجددًا.

خرج الجميع إلى الحديقة، حيث الهواء بدا أنقى وأكثر صفاءً مما كان عليه منذ سنوات. كأن المكان نفسه كان ينتظر هذه اللحظة ليتحرر. وضع إلياس القماش في حاوية حديدية صغيرة، وأشعل النار. سرعان ما اشتعلت ألسنة اللهب، تلتهم القطع بوحشية، وكأنها كانت تنتظر هذه اللحظة للانتقام منها. تصاعد الدخان إلى السماء، لكنه لم يكن أسودً كما توقعوا، بل كان شفافًا، نقيًا... وكأنه، أخيرًا، قد تحرر من ظلامه.

رفعت لارا رأسها نحو السماء، عيناها تلمعان تحت ضوء الفجر الذي بدأ يشق طريقه وسط العتمة. شعرت أن روحها خفيفة، وكأن شيئًا كان يسحقها طوال حياتها قد تبخر أخيرًا. لم تحاول مسح دموعها، بل تركتها تنهمر بحرية.

ثم همست، بصوت ناعم لكنه مفعم بالإحساس،
وكأنها تخاطب روحًا لم تعد هنا... ولكنها تشعر بها
أكثر من أي وقت مضى:

- أمي... لقد تحررت.

بعد مرور يومين على أحداث تلك الليلة التي أعلن
فيها إلياس انتصار النور على الظلام، مرت الساعات
ببطء، كأن الزمن نفسه يتعافى من كابوس اجتاحتهم
جميعًا. لكن صباح اليوم كان مختلفًا. تسلت أشعة
الشمس عبر النوافذ، لترسم على الجدران ألوانًا دافئة،
وكأنها تغسل آثار السنين الماضية. كان الهواء أنقى،
والعصافير تغرد بنغمات جديدة، والهدوء يملأ المكان،
لا يكسره سوى صوت القرآن الذي يصدح في كل
زاوية.

كان هذا ميلادًا جديدًا... حياة لم تتخيلها لارا أو
والداها يومًا، كأنهم يتنفسون للمرة الأولى دون
خوف من الظلال التي كانت تطاردتهم.

وقفت لارا أمام المرآة، تتأمل انعكاسها. للمرة الأولى منذ سنوات، لم ترَ في الزجاج سوى نفسها. لا ظلال خلفها، لا همسات في عقلها، لا عيون أخرى تراقبها من الداخل. شعرت بشيء غريب... خفة لم تعهدها. ابتسمت، ابتسامة لم تكن فقط على شفتيها، بل في عينيها، في قلبها، في كل نبضة من جسدها. أغمضت عينيها، وهمست بامتنان:

- الحمد لله. جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

في الطابق السفلي، رائحة القهوة تملأ المكان، تحمل معها شعورًا بالألفة التي افتقدوها. تانيا تسكب القهوة بهدوء، يداها هذه المرة ثابتتان، بلا ارتعاش، بلا خوف من المجهول. جون يتحدث عبر الهاتف، صوته هادئ، خالٍ من التوتر والقلق الذي كان يطفئ عليه في الماضي. وكأن الجميع يحاولون أن يتذوقوا هذا السلام الجديد، أن يصدقوه، أن يسمحوا له بالتغلغل في أرواحهم دون خوف من أن يُسلب منهم مجددًا.

أما إلياس، فكان واقفًا أمام النافذة الواسعة، يراقب السماء بصمت. كان يفكر... ليس في الماضي، ولكن في الخطوة القادمة. جلسة التنويم المغناطيسي الأخيرة... تلك التي ستدمج الشخصيات داخل لارا، لتصبح كيانًا واحدًا.

هل سينجح الأمر؟ هل ستعود لارا إلى ذاتها الحقيقية أخيرًا؟

انعقد حاجباه بتفكير عميق، قطعتة خطوات لورا، وهي تقترب منه حاملة كوبين من القهوة. مدت له أحدهما، وقالت بنبرة مترددة:

- بماذا تفكر؟ لماذا تبدو ملامحك غارقة في الهم؟

التفت إليها مبتسمًا ابتسامة خفيفة، كأنما يحاول طمأنتها، لكنه لم يستطع إخفاء قلقه. أخذ الكوب، ارتشف منه قليلًا، ثم قال بصوت هادئ، لكنه يحمل في طياته ثقل القرار:

- لأنني سأقوم اليوم بجلسة التنويم المغناطيسي الأخيرة مع لارا.

نظرت إليه لورا بدهشة وقالت بقلق:

- هل تعتقد أن نينا ما تزال...؟

في تلك اللحظة، توقف كل شيء. التفت جون وتانيا، بينما شهقت لارا بصدمة لما قالت، وقفزت من مكانها متوجهة نحو إلياس، لحق بها والداهما. نظرت إليه بخوف، ودقات قلبها تتسارع، وقالت بصوت هش:

- ماذا سمعت؟

وضع إلياس الكوب على الطاولة بجانبه، واقترب منها مبتسمًا ابتسامة دافئة، ومسك ذراعيها برفق. برق عينيه الممتلئ بالنصر بعث في قلوبهم الطمأنينة. قال بنبرة واثقة:

- نينا انتهت تمامًا، لن تعود إليك بإذن الله.

زفر الجميع بارتياح، بينما واصل إلياس حديثه بالنبرة المطمئنة نفسها، ولكن محملة بالجدية:

- لكن اليوم، بإذن الله، ستكون آخر جلسة.

قاطعه جون بعجلة:

- لماذا؟

أجاب إلياس:

- لأن الوقت قد حان لجعل الذوات تتحد. سارة وإلين الآن بحاجة إلى لارا كي تكون ذاتًا وحدة.

في تلك اللحظة، لمعت عينا لارا بشيء جديد... لم يكن خوفًا، ولا ترددًا، بل إدراكًا. وضعت يدها على صدرها، وكأنها تتحسس الأجزاء المتبقية منها، ثم أومأت برأسها ببطء، قبل أن ترفع نظرها إليه، وقالت بصوت ثابت، مليء بالإصرار:

- نعم، أنت على حق. حان الوقت لفعل ذلك.

نظرت إليه بإصرار لم يعهده منها أحد من قبل:

- نستطيع أن نبدأ الآن.

تانيا، بحنان الأم التي تخشى على ابنتها، أمسكت بذراعها قائلة برقة:

- لارا حبيبتي، لا يزال الوقت مبكرًا. ارتاحي قليلًا.

لكن جون، على غير العادة، قاطعها بنبرة هادئة

لكنها حازمة، نظر إلى لارا بعينين مليئتين بحب لا يحتاج إلى كلمات:

- لا عزيزتي، يجب أن ينتهي هذا الأمر في أسرع وقت. لقد أجلاناه لسنوات طويلة.

نظر إلياس إليهم جميعًا، رأى في عيونهم التصميم نفسه الذي كان يشعر به، ثم ابتسم ابتسامة واثقة، وهو يسير نحو غرفة الجلسات العلاجية، قائلاً بصوت جهوري:

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

- لنبدأ تجهيزات الجلسة.

في منتصف الغرفة، وقف إلياس يتفقد أدواته بعينيه المهتمتين. كانت هذه الجلسة مختلفة عن كل ما سبق. انتهت نينا، وحان وقت استعادة لارا لذاتها بالكامل. كان جون يتفقد أضواء الغرفة ويجعلها خافتة، مريحة للعين. بينما استلقت لارا على السرير، وتانيا بجانبها تنظر إليها بقلق، لكن تعابير لارا التي ارتسمت على وجهها، مع توهج عينيها المتحمستين، جعلتها تشعر بالراحة. أما لورا، فجلست على الأريكة

بهذوء، تشعر بالقلق من ظهور نينا مجدداً.

ألقى إلياس نظرة أخيرة على المكان، أخذ نفساً عميقاً، ثم اتجه نحو لارا، جلس أمامها وقال بصوت هادئ، ولكن حازم:

- حسناً، الجميع في أماكنهم. أعتقد أن كل شيء على ما يرام.

ابتسم لها ابتسامة خفيفة، لكنها كانت أكثر من مجرد طمأننة، كانت وعداً:

- هل أنت مستعدة؟

ابتسمت لارا وقالت بحماس:

- نعم، لطالما كنتُ مشتتة بينهن، وبينني... أريد أن أكون واحدة. أريد أن أعود إلى نفسي.

أوماً إلياس برأسه ببطء، ثم أمسك بقلادته الفضية بين أصابعه، يحركها في دوائر متناسقة، صوته ينساب كموج هادئ:

- لارا، ركزي على القلادة، دعي عينيك تتبعا

حركتها... تنفسي بعمق... استرخي... أنتِ الآن في مكان آمن، لا يستطيع أحد الوصول إليه.

تابعت لارا القلادة حتى غطت في نوم عميق، وكأن روحها انجرفت إلى أعماق ذاتها. وجدت نفسها في فضاء شاسع، أبيض بلا حدود، ينبض بهدوء غريب. كان الصمت يلف المكان، لكنه لم يكن صمًا موحشًا، بل أشبه بسكون ما قبل البوح. نظرت حولها بعينين متسائلتين، تنتظر ما سيقوله إلياس.

قال إلياس بصوت مؤكد:

- لارا... هذه الخطوة ستكون عميقة، قد تشعرين بأنكِ تغرقين في ذكرياتكِ، قد تلتقين بهن في أماكن لم تزوريها من قبل. لكن تذكرتي... أنتِ المسيطرة، أنتِ التي ستختارين الطريق.

أومأت برأسها، بينما تأملت المكان حولها. بدا كأنه انعكاس لعالمها، لكنه أكثر هدوءًا... أكثر نقاءً. أمامها، كان هناك كرسيان فارغان، على كل واحد منهما استقرت ذكريات إحدى الشخصيات التي سكنت

روحها.

اقتربت من كرسي سارة، حدّقت في الذكريات التي تنبض بالحياة أمامها، ولم تستطع منع دموعها من الانهمار. رأت كيف كانت سارة الدرع الذي حماها، الصوت الذي ثبتها عندما اهتزّت، النور الذي قاوم ظلام نينا.

ثم انتقلت إلى كرسي إلين، وتأمّلت ضحكاتها، تلك التي لم تفارقها حتى في أصعب اللحظات. رأتها تملأ الأرجاء بحيويتها، تخلق الجمال من العدم، تعيش بحرية لا تعرفها لارا. ضحكت وسط دموعها، تتساءل كيف استطاعت إلين أن تكون بهذا الصفاء رغم كل شيء.

أغمضت عينيها ومسحت دموعها، ثم أخذت تدور في الفراغ، صوتها يحمل رجاءً ممزوّجاً بالحزن:

- سارة... إلين... أين أنتما؟

فجأة، من العدم، ظهرت فتاتان أمامها... كلتاهاما تحمل ملامحها، ولكن بروحين مختلفتين. كانت إحداهما تمسك بكتاب، وتسير بهدوء وثبات، والأخرى تتألق

بملايس زاهية، وتمشي بخفة وكأنها نسمة عابرة.
توقفتا أمام لارا مباشرة، وعلى وجهيهما ارتسمت
ابتسامة حزينة.

نظرت إليهما لارا، وعيناها تفيضان بمشاعر
مختلطة... شعرت بأن قلبها يخفق بعنف. طوال
حياتها، كانتا جزءًا منها، تحميانهما، تواسيانهما،
تساندانهما حين لم تستطع حمل نفسها. ولكن اليوم...
اليوم حان الوقت ليصعدن واحدة.

تنفست بعمق، وابتسمت برقة وهي تهمس:

- لم أكن أظن أننا سنصل إلى هذه اللحظة... أن
أراكما هكذا، بلا فواصل، بلا همسات بيننا.

تقدمت سارة خطوة، وأمسكت ذراعها برفق، ثم
قالت بحزن:

- لم تكوني جاهزة من قبل، لارا. كنت بحاجة إلينا.
لكن الآن، أنت قوية.

ترقرقت الدموع في عيني إلين، وقالت
بنبرة مرتعشة:

- هل هذا يعني أننا سنختفي؟

شعرت لارا بوخزة في صدرها، تقدمت نحوهما خطوة، نظرت إليهما بعينين تحملان امتنانًا عميقًا، وقالت بصوت دافئ:

- لقد ظننتُ أنني سأبقى ممزقة للأبد... أنني لن أستطيع العيش ككيان واحد. لكنكما كنتما هنا دائمًا... تحميانني، وتذكرانني بأنني لست وحدي.

ابتسمت سارة بحزن، لكن وجهها أشرق بنور الإيمان الذي انعكس على ملامحها، وقالت:

- لقد كنتِ تائهة في ظلمات نينا... وكنتِ بحاجة إلى من يذكرك أن النور أقوى. كنتِ حصنك حين كانت تهمس بالأكاذيب، لكنني... كنتِ دائمًا جزءًا منك. منذ البداية.

عقدت إلين ذراعيها محاولة أن تبقى قوية، رغم أن الدموع ملأت عينيها، ثم قالت بصوت حاولت أن تجعله مرحًا:

- أما أنا... فقد كنتُ مجرد ابتسامة على وجهك. كنتُ
أهرب من الألم، أجعل كل شيء يبدو جميلاً، وأقنع
نفسي بأنني أساعد. لكن الحقيقة... أنني كنتُ أهرب
مثلك تمامًا. ونيّنا استغلّنا ذلك... أقنعتنا أن الحياة
فارغة، وأنا لن نستطيع العيش فيها.

أمسكت لارا بيديهما بقوة، وابتسمت رغم دموعها
المتساقطة:

- نينا انتهت الآن. لقد كانت الظلام الذي غدّاه
خوفي... أما نحن، فلم نعد بحاجة إلى الهروب. يمكننا
العيش معًا، والفرح معًا، دون خوف. أنتما أنا، وسأحمل
كل واحدة منكما بداخلي، لكن هذه المرة... لن تكون
أصواتًا منفصلة، بل جزءًا واحدًا... كاملاً.

سارة نظرت إلى لارا بعينين مطمئنتين وقالت بهدوء:
- إذاً حان الوقت لتتوحد.

إلين ابتسمت بصدق وسعادة:

- هيا... لنكن لارا... كاملة، قوية، ومتصالحة
مع ذاتها.

أغلقت لارا عينيها، واستنشقت نفسًا عميقًا،
وهي تهمس:

- هيا بنا... لنعدْ إلى منزلنا.

تعانقن بقوة، وكأنهن يخشين أن يفقدن بعضهن
بعضًا، وفي تلك اللحظة شعرت لارا بشيء دافئ
يتغلغل في روحها. وكأن كل الأجزاء المكسورة تلتحم
أخيرًا، لم يعد هناك صدًى متداخل، لم تعد هناك
أصوات منفصلة، بل شعور بالكمال لأول مرة منذ
سنوات.

استيقظت لارا، والدموع تتسلل على وجنتيها، لكنها
لم تكن دموع حزن، بل دموع فرح، دموع تحرر. وضعت
يدها على صدرها، شعرت بسلام لم تعرفه من قبل.
ابتسمت، وامتزجت ملامحها، وكأنها تحمل شيئًا من
كل الشخصيات، وقالت بصوت يجمع بين هدوء سارة
وحيوية إلين:

- أنا هنا... بكاملِي. أخيرًا، أصبحت أنا.

ارتفع صوت ضحكة دافئة من جون، ومسحت تانيا

دموع الفرح من عينيها. وضعت لارا يدها على قلبها،
هذه اللحظة، كانت تنتظرها طويلاً.

وسط الدموع التي انسابت بصمت، رفعت لارا عينيها
إلى والديها، ونبضات قلبها تتسارع بين خوف وتيقن.
همست بصوت مرتجف، لكنه مفعم بالقوة:

- أبي... أمي... لقد وجدت طريقي. سأكون
مسلمة... وسأسير على نهج سارة. ثم نطقت
بالشهادة بصوت ثابت، مغمور باليقين:

- أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا
رسول الله.

ساد الصمت للحظات، لكنه لم يكن صمت تردد، بل
صمت لحظة تغيرت فيها الحياة. ارتجف قلب جون
وتانيا تحت وقع كلماتها، كأنهما أدركا الآن الحقيقة
التي كانت تطرق أبوابهما منذ زمن. لم يستطيعا
مقاومة الدموع التي تجمعت في أعينهما، فتقدما
نحوها، وعانقاها بقوة، كأنهما يخشيان أن تضيع
منهما مجددًا.

وبين شهقات امتزجت باليقين، قال جون بصوت
متهدج، لكن ممتلئ بالصدق:

- بعد كل ما رأيناه... وبعد كل ما عايشناه... كيف لنا
أن ننكر الحقيقة؟ الإنسان لا يُولد عبثًا، والطريق واضح
لمن يبحث عنه... ونحن أيضًا نشهد أن لا إله إلا الله،
وأن محمدًا رسول الله.

تساقطت دموع لارا، لكنها هذه المرة لم تكن دموع
حيرة أو ضعف، بل دموع ولادة جديدة. نظرت إليهما،
فوجدت في أعينهما النور نفسه الذي شعرت به
جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص
يتغلغل في قلبها.

أما إلياس، فوقف يراقب المشهد، عيناه تشعان
بسعادة لا توصف، ثم رفع رأسه إلى السماء، وأغمض
عينيه بخشوع، وقال بصوت يملؤه الامتنان:

- اللهم لك الحمد... لك الحمد والشكر... من قبل
ومن بعد.

تمت بحمد الله



@N_BHS2